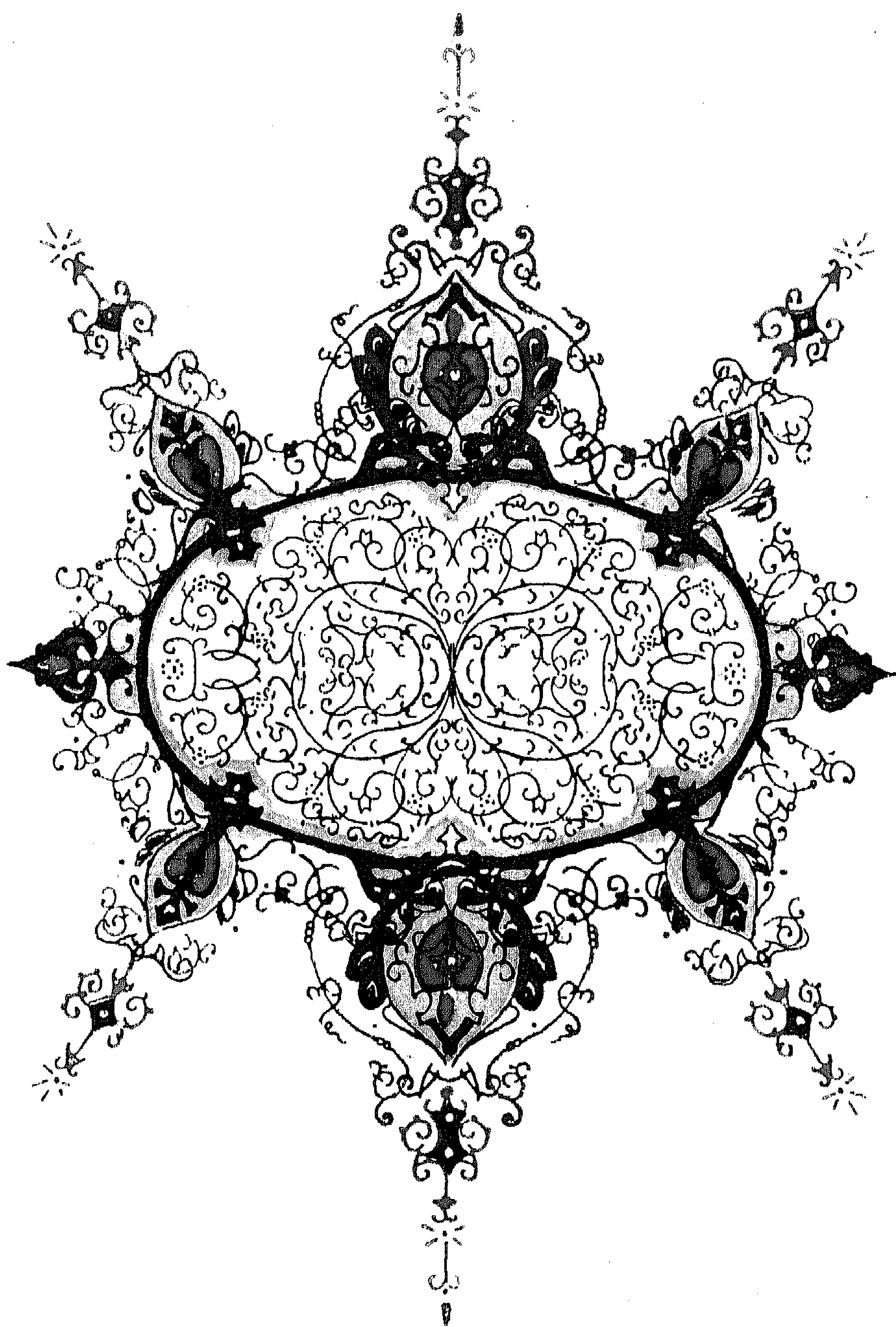
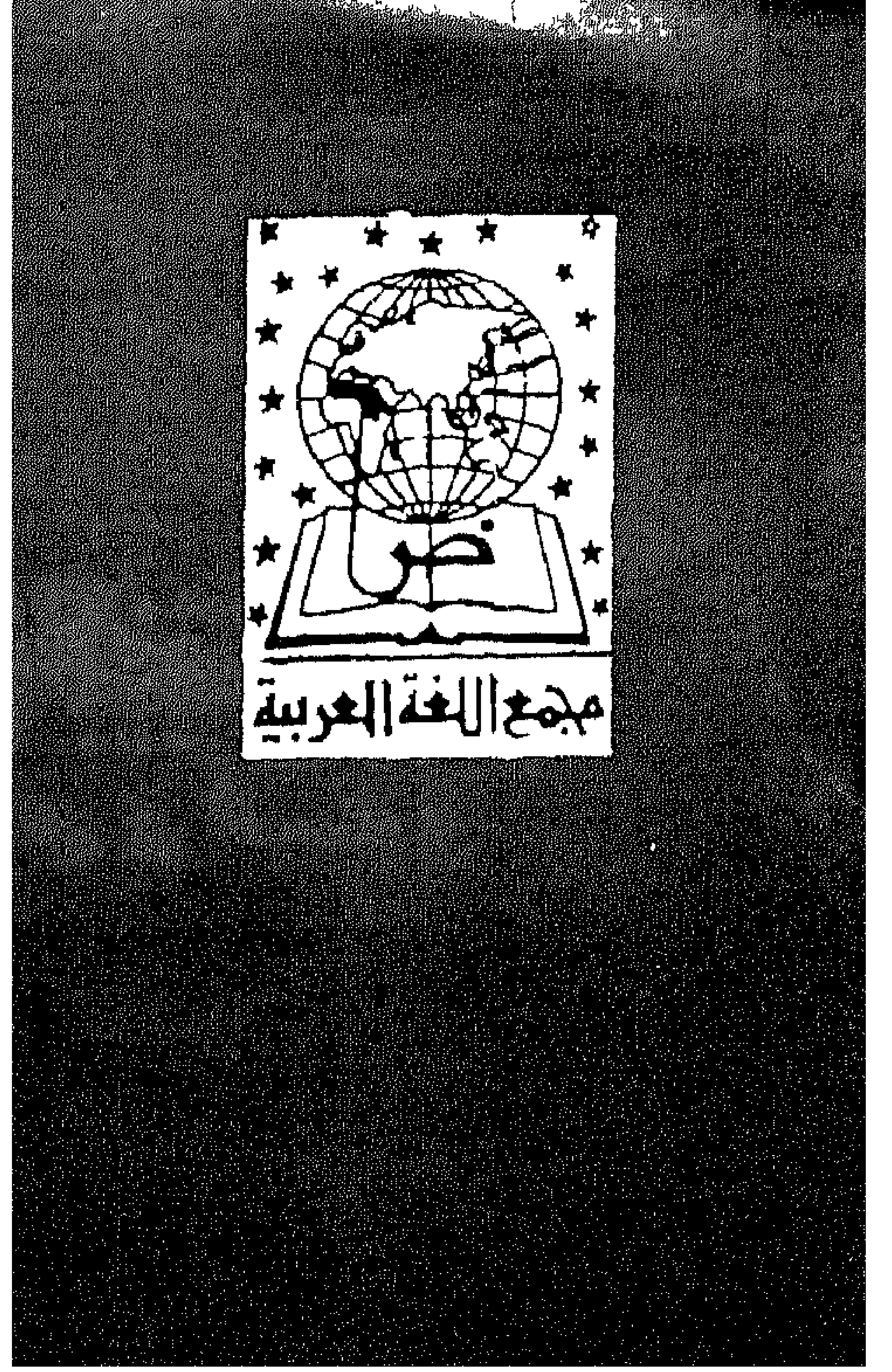
مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الحادى والستون
ربيع الأول ١٤٠٨ هـ
نوفمبر ١٩٨٧ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
(المعهد السويسرى سابقا) بالزمالك

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين فى السنة)

الجزء الحادى والستون

ربيع الأول ١٤٠٨هـ - نوفمبر ١٩٨٧م

الفهرس



تصدير

للدكتور مهدي علام

من مكتبتي

تحرك شوقي اليوم لصديقين في مكتبتي ، وهما ابنان لشخص واحد ، أي أن مؤلفهما شخص واحد ، وأحدهما مطبوع بالحروف العادية ، والآخر مطبوع على ما كان يعرف منذ سبعين سنة باسم مطبعة الغراء ، أو «مطبعة البالوظة» . وكانت تستعمل في طبع ملازم الدراسة في المدارس والكليات . وهما من تأليف المرحوم الأستاذ حسن توفيق العدل .
وقد احتل هذان الكتابان مكانهما في مكتبتي في سنة ١٩١٧ م ، وهي السنة التي قبلت فيها في دار العلوم .

والصلة التي بيني وبين الكتابين ترجع إلى صلة قوية مع مؤلفهما : ذلك أنه قبل ذلك بنحو سنتين ، كان المرحوم الأستاذ أحمد الحملاوي يدرس لنا البلاغة في مدرسة ماهر باشا ، وكان يومئذ يتكلم عن فن الجناس في البديع ، فشرح أنواعه ، ومنها الجناس المصحّف فقال : ومن أمثلته قولي مودّعاً زميلي المرحوم حسن توفيق العدل عند سفره الى برلين منتدباً لتدريس اللغة العربية في جامعتها :

سر في أمان إلى برلين مدّرعاً
سيفاً من الحزم يُنضِي حده اللسِن
فيهما الإشارة ، فاتلوها مصحّفة
البِرُّ واللِّين ، أو فالبِرُّ واللبن

وقد تقاسم إعجابي ساعتئذ التوليد الذي ولده تصحيف برلين ، إلى بر ولين وإلى بر ولبن ، واسم الأستاذ الذي كان ذاهباً إلى هذه المدينة الثرية بمدلولها البلاغي . وفي آخر الدرس سألت الأستاذ الحملاوي عن هذا الشخص الذي ينتدب للتدريس بجامعة برلين ، فحدثني عنه ، وسألت عن مؤلفاته فاهتديت إلى بعضها ؛ ومن ذلك الوقت اتجهت إلى سلوك سبيله في التعلم ؛ ولما عرفت أنه تخرج من دار العلوم ، استقرر رأيي على أن أتقدم للامتحان الذي يعقد للقبول ، عندما أبلغ السادسة عشرة ، وهي أصغر سن يسمح فيها بالالتحاق بالمدارس العليا .

وكان من حسن حظي أنني اجتزت الامتحان التحريري والشفوي الذي كان سبيل الالتحاق في حقبة من تاريخ دار العلوم ؛ وظل ذلك المثل الأعلى الذي نشأ من بيت من الشعر

أمامى حتى تخرجت ، وبعثت فى بعثة علمية إلى إنجلترة : وفى أثناء وجودى فى إنجلترة زرت ألمانيا لاعتبارات لغوية ؛ ولكننى كان معى كتاب حسن توفيق العدل : « رسائل البشرى ، فى السياحة فى ألمانيا وسويسرا » ؛ فزرت الأماكن التى زارها فى ألمانيا ، وصورتها ، ووضعت صورها فى مسجل كتبت عليه بالحبر الأبيض :

سر فى أمان إلى برلين ، مدرعاً

سيفا من الحزم ينضى حده اللسن

فيهـا الإشارة ، فاتلوها مصحفة

البـر واللين أو فالـبر واللبن

أما الكتابان الصديقان فى مكتبتى فهما

١ — تاريخ آداب اللغة العربية :

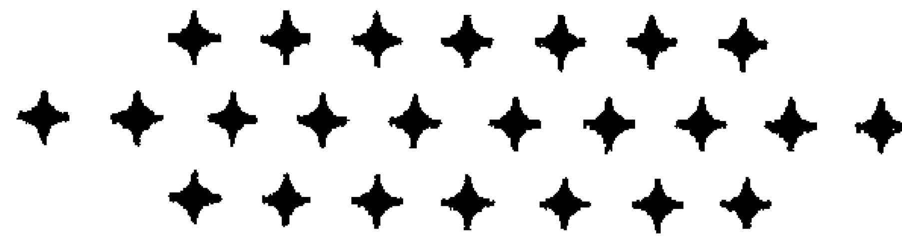
٢ — المقامة العدلية .

والكتاب الأول مجموعة المحاضرات التى كان المرحوم حسن توفيق العدل يلقيها على طلابه فى دار العلوم ؛ بعد أن عاد من ألمانيا :

وهى أول محاولة لتأريخ الأدب العربى ، على الطريقة الحديثة ، التى استمرت عشرات الأعوام ، بتقسيمه إلى عصور ، ووصف هذه العصور بأهم سماتها ، بعد أن كان يتبع فى تدريسه النظام التقليدى فى كتب الأمالى والكامل ونحوهما . كانت نشأة هذه المذكرات قبل أن أدخل دار العلوم ، بل قبل أن أولد (فقد كانت وفاة المؤلف سنة ١٩٠٤) ، ولكن هذه المذكرات ظلت تطبع على مطبعة الغراء كل عام ، ويقتنيها الطلاب إلى جانب ما كان لديهم من مذكرات أساتذتهم الممارسين والنسخة التى عندى هى ثمرة لهذا التقليد التقديرى لها ولمؤلفها .

أما الكتاب الثانى فهو مقامة على النسق الحريرى والبديعى : وفى المقدمة التى أولها قصة لها ، سأقدمها مع تاريخ حسن توفيق العدل فى التصدير التالى للعدد الذى يلى هذا من مجلة المجمع :

محمد مهدى علام
نائب رئيس المجمع والمشرف على المجلة



Mahdi Allam
1927

تاريخ
آداب اللغة العربية

تأليف

حضرة الأستاذ الفاضل المرحوم

حسن أفندي توفيق

فصل ثالث	سنة ثانيه
سنة ١٣٣٢	سنة ١٣٣٣
١٩١٤	١٩١٥

صفحة الغلاف للجزء الأول من مذكرات الأستاذ حسن توفيق العدل،
وكنا نتبادل طبعها على مطبعة الفرائد بعد وفاته، وهذه بعد وفاته بعشر سنوات،

بحوث ومقالات

لغات
في خدمة المعجم الكبير

للدكتور أحمد السعيد سليمان

وما كان أجدر المعجم الكبير بأن يسمى معجم العربية الأكبر فهو أغزر المعجمات العربية مادة ، وأكثرها عدد كلمات وأوفرها شواهد شعرية ونثرية .

لم يأخذ المجمع فيه برأى أصحاب اللغة الأساسية الذين طالبوا بنفى القديم والمهجور والحوشى من معجماتنا ، أو لعل المجمع إذ لم يستجب لهم فى معجمه الكبير استجاب لهم فى معجمه الوسيط فأخلاه تماماً من الغريب ، والنادر والجافى وما أبطل التطور الحضارى استعماله ، وأحل محل هذا كله طوائف من الصحيح الشائع ، فكان المعجم الوسيط بمانفى من الغريب ، وبما أحل من المأنوس المستعمل خير معجم للعربية الأساسية وربما كان الأول .

وقرر المجمع أن يستودع معجمه الكبير لغة العرب بشواردها وأوابدها ومعربها ، ودخيلها ومولدها تلبية لما يتطلبه قراء العربية فى مختلف عصورها ، ومن أجل هذا لم يقنع المجمع بالمعجمات العربية مصدراً لمادته ، على كثرة هذه المعجمات وتنوع مناهجها ، وإن من أعضائه وخبرائه ومحرريه لمن يغوصون فى المخطوط والمطبوع يستخرجون فوات المعجمات العربية من الألفاظ والمعانى لتدرج فى المعجم العربى لأول مرة موصلة مفصلة مشروحة شرحاً اشتقاقياً .

وهذا الذى كتبه على نفسه من التأصيل وبيان الاشتقاق هو ما تخففت منه الأكاديمية الفرنسية فى تحرير معجمها الفرنسى ، فقد التزمت منذ قيامها فى سنة ١٦٣٤ بأن ترصد المستعمل من صحاح الفرنسية فتسجله فى معجمها لا تسجل معه غيره من الدخيل أو الدارج ولا تبحث فى اشتقاق أو تاريخ

وقد وافق المجمع هذه الأكاديمية فى أمر الاصطلاحات العلمية ، فكلاهما لا يأخذ من هذه الاصطلاحات إلا الشائع الذى يحتمل وروده فى الكتب غير المتخصصة

ولم يكن المعجم الكبير فى حرصه على التأصيل والاشتقاق بدعاً فى المعجمات العربية فإنها ، قديمها وحديثها ، نصت على المعرب وحاولت تأصيله ، بل لقد أفرد المعرب بكتب مشهورة مثل كتاب « المعرب من الكلام الأعجمى » للجواليقى ، وكتاب « المعرب والدخيل » لمصطفى المدنى ، وكتاب « التذييل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل » لمحمد بن أحمد العذرى البشبيشى ، وكتاب شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجى .

وقد درس المجمع هذه الكتب وغيرها من كتب المعرب ومحصها وأخذ منها وترك وصحح بعض الأخطاء الشائعة فيها .

فقد كان يظن مثلا أن أصل « إبريق » هو اللفظ الفارسى « آبريز » ، وكنا نتساءل ما حمل العرب على قلب الزاى قافاً فلا نجاب ثم زعم لغو تركى أن « إبريق » هو اللفظ التركى « إوريق » وتجاهل أنهما لفظ واحد وأن واو إوريق التى تنطق (ڤ / V) هى باء الإبريق أسىء نطقها ، ثم أذن الله أن يشفى الغلة فوقعنا على القول الفصل فى مستدرك دومينار على المعجمات التركية فقد رجع الإبريق إلى الكلمة اليونانية إمبريكس وصدقت المعجمات اليونانية قول دومينار .

وكنا نظن أن الآلة الموسيقية المعروفة بالبربط إنما هى من الكلمتين الفارسيتين : (بر) بمعنى الصدر ، و (بط) اسم الطائر المعروف وأنها سميت بذلك لشبهها بصدر البطة ، ثم رأينا علماء الفارسية من أصحاب اللغة أنفسهم يرجعونها بعد طول البحث إلى الكلمة اليونانية Barbitos (باربيتوز) التى دخلت فى الفهلوية فى صيغة بربط Barbut

وهكذا لا يدرج فى المعجم الكبير إلا الصحيح المصفى مما ورد فى المعجمات العربية ومعجمات المعرب والدخيل ، وإلا ما يستخرج من بطون الأسفار مما أغفله أصحاب المعجمات .

ولقد كان من نتائج البحث فى المعرب أن وقفنا على قواعد للتعريب يمكن أن تقضى على الخلاف بين المعربين المحدثين فقد لوحظ مثلا أن العرب فى الشام يقلبون الكاف الفارسية غيناً فيقولون غوته Goethe جوته ويقولون ديغول Degaul فى Degaul والمأثور عن العرب أنهم كانوا يقلبون هذه الكاف جيما فقد قالت العرب فى كورب جورب وفى كهبذ جهبذ وفى زركون زرجون وفى آبكون آبجون ولكنهم قالوا فى آذركون آذريون بالياء وهو قلب نادر والرأى أن نقلب الكاف جيما فى المعربات الجديدة لكيلا تتفرق بنا السبل فى نقل الاصطلاحات وكتابة الاعلام ، هذا كله فى المعرّب

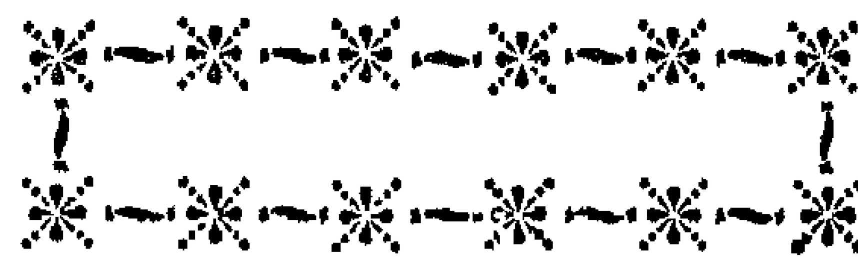
فأما العربى المحضن فإن المعجم الكبير يضع فى رأس كل مادة نظائرها الساسية فى زهاء عشر لغات : البابلية وعبرية التوارة والآرامية اليهودية والآرامية .

الفلسطينية المسيحية والأكدية والحبشية والأوجاريتية والعربية الجنوبية القديمة والعبرية المتأخرة .

فهذه مجموعة من اللغات منها السامى ومنها الهندى الأوروبى كالفارسية ومنها الأورالى الآلتائى كالتركية كلها فى خدمة المعجم الكبير .

صنع الله للغة كتابه وحببها إلى قلوب الأجيال الصاعدة من أبناء العرب .

أحمد السعيد سليمان
عضو المجمع



تجربة مجمع اللغة العربية الأردنى في تعريب التعليم العلمى الجامعى

للدكتور عبد الكريم خليفة

كم هو صعب أن يختار المرءُ هديته عندما تكون المناسبة جليلة القدر ، تشيع فى أجوائها شذا الحب والاحترام والولاء . . فلم أجد تحية أجمل وقعاً على نفسى ولا أصدق تعبيراً ، أقدمها بين يدى المجمع الشيخ بالقاهرة ، فى عيده الخمسين غير باقة ترمز إلى مشاركة متواضعة قام بها مجمع اللغة العربية الأردنى فى خدمة لغتنا العربية الخالدة ، لغة القرآن الكريم لكى تستعيد قدرتها على استيعاب مطالب العلوم والفنون فى تقدّمها . ونحن مجامع وشعوب ننتمى إلى هذه اللغة وهل هنالك أسمى من الانتماء إلى هذه اللغة الشريفة وكتابها الخالد ؟ وهل هنالك علاقة أسمى من علاقة الشقيق بشقيقه والتلميذ بشيخه ؟

فإذا تحدثنا عن مجمعنا الشيخ بالقاهرة فى عيده الخمسينى ، فنحن نتحدث عن هوية حددت بدايتها الزمنية وثيقة ميلاده ، أى مرسوم تأسيسه ، ولكن إذا نظرنا إليه من حيث هو فكرة ومدرسة فى خدمة العربية وتراثها فإن جذوره تضرب بعيداً فى أعماق تاريخنا العربى الإسلامى . ولا شك أن تاريخ العناية باللغة العربية . وتاريخ نشوء مدارسها ومجامعها فى مصر الشقيقة يعكس سيرة هذه الأمة فى التقدم والتحرر .

انطلق مجمعنا الشيخ بالقاهرة ، بعلمائه الأفذاذ ، يبحث كل ماله شأن فى تقدم اللغة العربية والحفاظ على سلامتها ؛ وقد أدرك منذ البداية وعلى حدّ تعبير رئيسه الجليل الأستاذ الدكتور مدكور : « إنه لايمكن أن تتحقق نهضة علمية بدون

نهضة لغوية واصطلاحية تسير معها جنباً إلى جنب » . وكان للبحوث العلمية التي قدمها علماؤنا وأساتذتنا في مجمع القاهرة ، دور أساسي في تلمّس وسائل النهوض بمتن اللغة لاسيما في مجال الوضع وإطلاق القياس وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان والتسليم بالتعريب والاعتداد بالكلمات المولدة وتسويتها بالأصلية .
وبذلك فقد أرسى قواعد أساسية يمكن أن تشارك في صياغة منهجية علمية موحدة لنقل العلوم والمعارف والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية ، وإلى إيجاد لغة علمية عربية موحدة . وكان لمجمعنا الزاهر بالقاهرة جهود متميزة في مجال المصطلحات العلمية فأضحى بحق حجة في هذا الباب إذ أخرج منذ سنة ١٩٤٢ ، حوالى عشرين مجموعة اشتملت على أكثر من خمسين ألف مصطلح في العلوم المختلفة .

وقد شاءت السياسة الاستعمارية أن تمزق أمتنا إلى كيانات سياسية ودول ورثنا حدودها ، كما رسمها لنا الأجنبي ، وبتنا مع الأسف ، نستميت في التحزب لها والدفاع عنها في عهود ما يسمى بالاستقلال والتحرر من الاحتلال الأجنبي المباشر . وبقيت اللغة العربية ، وقد حفظها القرآن الكريم ، صامدة أمام هجمات الاستعمار وأعوانه ومؤامراتهم من أجل النيل من وحدة أمتنا وهويتها . . . وقد تتلاقت حولنا ، في كثير من الأحيان ، وقد ادلهمت الخطوب واكفهرت الأجواء بين الأشقاء ، فلا نجد سوى القرآن الكريم ولغته العربية الخالدة ، سياجاً يحفظ وحدة أمتنا في مشاعرها وصفاء انتمائها ، وإرادتها في البقاء أمة حية معطاءة بين الأمم تشارك كما شاركت عبر القرون في صنع الحضارة العالمية وتقدم المعرفة الإنسانية .

ولا شك أن هذه المفاهيم السامية التي تتغلغل في ضمير أمتنا . وتمتد جذورها بعيدة في تراثها عبر القرون ، هي القوة الكامنة التي تدفع أبناء العروبة وعلماءها في أقطارهم المختلفة ، لكي ينهضوا نحو خدمة اللغة العربية والإسهام في تقدمها والعمل على احترامها ورفعة شأنها .

ومن خلال هذه المفاهيم ، فقد انطلقنا في مجمع اللغة العربية الأردني ، لكي نشارك بجهد متواضع في خدمة العربية التي تعتبرها جوهر هويتنا والرابط المتين

فى وحدتنا. وأننا نعتبر مجمعنا فى الأردن، رمزاً للتعبير عن إرادة هذا البلد العربى الأصيل، بإمكاناته المادية المحدودة، من أجل خدمة اللغة العربية، لغة العروبة والإسلام، ولا أدلّ على ذلك من ظهور مجمع اللغة العربية الأردنى، لأول مرة سنة ١٩٢٤ مصاحباً لظهور الكيان السياسى الأردنى .. وعين رئيسه وأعضاؤه، وكان منهم الشيخ أحمد شاكر الكرمى، ومحمد كرد على، ومحمد إسعاف النشاشيبى والأب انستانس الكرمى، ولكن شاءت الظروف أن لا يستمر هذا المجمع، لقلة المال والرجال، على حدّ تعبير الأستاذ الرئيس محمد كرد على، رئيس المجمع العلمى بدمشق، مجمع العروبة الرائد.

وفى سنة ١٩٦١ م أنشئت اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر فى وزارة التربية والتعليم، واستمرت هذه اللجنة فى عملها حتى نهاية شهر أيلول سنة ١٩٧٦م حين بدأ مجمع اللغة العربية الأردنى عمله. ومنذ البداية، كان لنا شرف الانضمام إلى اتحاد المجامع العربية، وإن النظرة التى ينطلق منها مجمع اللغة العربية الأردنى، تتحدد بوجوب وجود مجمع واحد للغة العربية، وأننا نتطلع إلى ذلك اليوم القريب إن شاء الله، الذى يتطور فيه اتحادنا هذا لكى يصبح مجمعاً واحداً، ترفده أقطار العروبة فى مختلف أصقاعها بجهود علمائها وباحثيها من أجل أن تلحق أمتنا بركب الحضارة وتشارك مشاركة أصيلة فى بنائها.

وقد رأى مجمع اللغة العربية الأردنى أن القضية الكبرى التى يجب أن تطرح أمام اتحاد المجامع العربية، هى قضية تعريب التعليم الجامعى فى جميع مجالات المعرفة وفى مختلف مستوياته. وبعبارة أخرى فقد حان الوقت لكى تصبح القضية الأولى أمام المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية العربية، قضيّة وجوب جعل اللغة العربية لغة التدريس الجامعى والبحث العلمى فى جميع مجالاته ومراحله.

فإن تعريب التعليم الجامعى وجعل اللغة العربيّة لغة البحث العلمى والتقنيات الحديثة ضرورة حتميّة تقتضيها مصلحة الأمة العربيّة، وتُمْليها المواطنة الصادقة المخلصة والغيرة على شخصية الأمة وتراثها المجيد، وتفرضها الإرادة من أجل النهوض

بالأمة واللحاق بركب الحضارة الإنسانية والمشاركة المبدعة فى بنائها .

ولهذه الأسباب جميعها ، فقد رأى مجمع اللغة العربية الأردنى أن يتجاوز مرحلة المناداة بالمبادئ ، والحوار والمناقشة حول قدرة اللغة العربية وأهليتها وتجاربها التاريخية إلى مرحلة التطبيق العملى . فقرّر أن يتبنى – على الرغم من إمكاناته المادّيّة المحدودة – مشروعاً محددًا فى مجال تعريب التعليم العلمى الجامعى ، ويشتمل هذا المشروع على ترجمة جميع الكتب العلميّة التى تُدَرّس فى كليّة العلوم فى الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك . واختار كلية العلوم ، لأنها الكلية الأساس التى تقوم حولها جميع كليات العلوم التطبيقيّة مثل الطب والصيدلة والهندسة والزراعة . الخ

ومن أجل تنفيذ هذا المشروع ، بدا المجمع اتصالاته . فاتصل بأعضاء الهيئة التدريسية المختصة بكليتى العلوم فى الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك ، وقد وجد هذا المشروع ترحاباً من أكثر علمائنا فى هاتين الجامعتين . وغنى عن البيان أن أقول : إنّهم جميعـاً فى الذروة فى مجالات تخصصاتهم ، وهم أيضاً من خريجى أشهر الجامعات الأجنبية .

بدأ المجمع بتنفيذ المرحلة الأولى من مشروع تعريب التعليم العلمى الجامعى ، ويقضى بترجمة الكتب العلميّة المقرّرة بكليتى العلوم فى الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك للسنة الأولى فى حقول: الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء والجيولوجيا.

وبعد أن تمّ اختيار الكتب العلمية المقررة ، على أساس أحدث الكتب العلمية وأعلاها مستوى ، قام المجمع بتعميم هذه القائمة على جميع الجامعات والمؤسسات العلميّة فى الوطن العربى يشرح لها مشروعه ويعلمها بنيته ترجمة هذه الكتب إلى العربيّة ، وأنّه إذا كانت هنالك أية جهة تقوم بترجمة بعض هذه الكتب فسيقوم المجمع باختيار كتب أخرى وذلك لكى يتم التنسيق ولا يتكرر الجهد .

وبعد أن تلقّى المجمع إجابات مشجعة قام باختيار لجان علمية مختصة وحرص على أن يكون معظمها من أعضاء هيئة التدريس الذين يتولون تدريس هذه

المواد فى الجامعتين الأردنية واليرموك. وشارك معهم أعضاء متخصصون من مجمع اللغة العربية الأردنى ، وقد حرص المجمع على أن يستفيد من تجارب المجامع والجامعات العربية فى هذا المجال ، فوضع بين أيدى اللجان المختصة ، التى كلفها بالترجمة ، جميع ما أنتجته مجامعنا اللغوية فى القاهرة ودمشق وبغداد من مصطلحات علمية وكذلك جميع ما أنجزته مؤتمرات التعريب والمؤسسات العلمية فى الوطن العربى ، وفتح لهم أيضا باب الاجتهاد ، على أن ينتهى كل كتاب بقائمة بالمصطلحات العلمية التى استخدمت ومقابلاتها باللغة العربية وأن ترتب ترتيبا هجائيا ، وذلك لكى تطرح أمام اتحاد المجامع العربية والمؤسسات العلمية فى الوطن العـربى بغية توحيدها . فإن حرصنا على تعريب جميع العلوم لا يوازنه سوى حرصنا على توحيد جميع هذه المصطلحات وبالتالى أن تكون لنا لغة علمية عربية واحدة . فإنه لخطر كبير أن تنشأ لغات علمية عربية ويصبح الباحث العربى فى قطر لا يفهم ما يكتبه عالم فى قطر آخر نتيجة اختلاف المصطلحات والرموز العلمية . . . وهكذا فنحن نعتبر وحدة اللغـة العلمية قضيّة أساسية لا يمكن التهاون بها .

كان المجمع يختار لكل كتاب لجنة من المتخصصين ، ويحرص فى غالب الأحيان أن يشرك أكبر عدد ممكن من ذوى الكفاءات ، ولا يلجأ إلى مترجم واحد إلا عند الضرورة القصوى. وكان العمل يقسم بين الزملاء ، أعضاء اللجنة التى تتولى الترجمة ، بالاتفاق فيما بينهم ، إذ يقوم كل عضو بترجمة الجزء الذى يخصه ، ويتولى مهمة الإشراف أحد الإخوة المختصين من أعضاء اللجان وأحيانا من أعضاء المجمع ، وذلك للمحافظة على وحدة الكتاب والحرص على وحدة المصطلحات العلمية المستعملة فى الكتاب الواحد .

وقد استفدنا من تجاربنا المتواضعة فأصبحت الترجمـة النهائية يجيزها مراجع علمى ، ثم مراجع لغوى ، تكون مهمته فقط تصويب الأخطاء النحوية

والتراكيب اللغوّية ، ونحرص على أن يكون المترجم ذاته – إن أمكن – هو الذى يشرف على الطباعة ، وتدقيق تجاربها .

وقد أنجز المجمع المرحلة الأولى من مشروع تعريب التعليم العلمى الجامعى وصدرت من منشوراته الكتب التالية ، وقد توخى أن تكون من أفضل الكتب العلمية وأحدثها ، وهى :

١ – كتاب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية ، تأليف سووكووفسكى وصدر الكتاب فى جزأين .

٢ – كتاب الجيولوجيا العامة ، تأليف روبرت فوستر ، وصدر فى جزء واحد .

٣ – كتاب البيولوجيا ، تأليف غولد سبى ، وصدر فى جزأين .

٤ – كتاب الكيمياء ، تأليف فورد ريك لونفو ، وصدر فى جزء واحد

٥ – كتاب الفيزياء ، تأليف فورد ، وهو فى ثلاثة أجزاء ، صدر الجزء الأول وسيصدر الجزءان الثانى والثالث منه قريبا .

وفى المنهجية التى يتبعها المجمع ، رأى أن يقوم بتقويم هذه المرحلة ، قبل أن ينتقل إلى المرحلة الثانية ، وبالفعل فقد طلب إلى عضوين من أعضاء هيئة التدريس فى جامعة اليرموك وهما من المتخصصين (بالتقويم) ، أن يقوما بدراسة علمية موضوعية لتقويم هذه المرحلة . وقد قاما بهذه الدراسة سنة ١٩٨١ م ، وقدّمت إلى مجمع اللغة العربية الأردنى تحت عنوان : « تقويم المرحلة الأولى فى تعريب التعليم العلمى الجامعى التى تبناها مجمع اللغة العربية الأردنى » وتقع هذه الدراسة فى خمس وثلاثين صفحة ، وثلاثة ملاحق تقع فى تسع وثلاثين صفحة . وكانت هذه الدراسة على غاية الأهمية ، فقد حددّت المشكلة وألقت الضوء على أهميتها وشملت الدراسة طلبة السنة الأولى فى الجامعتين الأردنية واليرموك الذين درسوا كتب الرياضيات والأحياء والجيولوجيا التى تمت ترجمتها من اللغة الإنجليزية إلى

اللغة العربية فى العام الجامعى ١٩٨٠ – ١٩٨١ [(١)] .

وكذلك شملت الدراسة أعضاء هيئة التدريس فى الجامعتين الأردنيـة ، واليرموك الذين درّسوا كتب الرياضيات والأحياء والجيولوجيا ،التى ترجمت من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية وقد دُرست باللغة العربية لطلاب السنة الجامعية الأولى فى العام الجامعى سنة ١٩٨٠ – ١٩٨١ . . . . ، وكـذلك شملت المترجمين وعملية الترجمة ، منهجا وأسلوباً .

وتمخضت هذه الدراسة القيمة عن التوصيات التالية :

١ ـ مشاركة الغالبية العظمى ممن لهم علاقة فى عملية التدريس فى الجامعات الأردنيـة فى اختيار الكتب العلمية الجامعية للترجمة ، وإتاحة الفرصة للمتخصصين فى موضوعات هذه الكتب ولمن لهم خبرة فى مجال الترجمة لمشاركة مدرسى الجامعات فى عملية التعريب على أن توضع معايير محددة لاختيار تلك الفئات .

٢ ـ تشجيع مجمع اللغة العربية الأردنى على مواصلة تبنى عملية تعريب التعليم العلمى الجامعى فى الأردن بالتعاون مع إدارات الجامعات الأردنية والأقسام المختصة وخاصة عند اتخاذ قرارات اختيار الكتب المنوى تعريبها بحيث يكون ذلك الاختيار لتلك الكتب ولمترجميها فى ضـوء معايير محددة وواضحة يتفق عليها المعنيون بالأمر .

٣ ـ ترك الحرية للمترجمين للتصرف فى ترجمة بعض الأمور التى لا بد لهم من التصرف فى ترجمتها ، وعـدم التمسك بالترجمة الحرفية وبخاصة عندما يلاحظ هؤلاء المترجمون قصور الترجمة الحرفية فى إعطاء المعنى الحقيقى باللغة العربية كما هو باللغة الإنجليزية .

---

(١) وعلى الرغم من النتائج الباهرة لعملية التدريس باللغة العربية ، إذ نزلت نسبة الرسوب مثلا فى مادة الأحياء من ٣٥٪ عندما كانوا يدرسون باللغة الإنجليزية إلى ٣٪ عندما درس الطلبة باللغة العربية ، فى حين أن الطلبة على حد تعبير أساتذتهم درسوا باللغة العربية مادة أوسع وبصورة أعمق وأدق ، وعلى الرغم من هذا كله ، فقد عاد المسئولون فى العام الجامعى التالى إلى التدريس باللغة الإنجليزية .

٤ ـ تحويل طباعة الكتب بعد عملية ترجمتها إلى الجهات التى لها خبرة جيدة فى الطباعة والإخراج وأن تتولى عملية تدقيق الكتب بعد عملية ترجمتها فئات متخصصة فى موضوعات الكتب التى يتم تعريبها .

٥ ـ مراعاة مجمع اللغة العربية الأُردنى للمعايير التى أوردها المترجمون والمدرسون لاختيار الكتب العلمية التى ستترجم ، وكذلك المعايير التى حدّدوها لاختيار المترجمين .

٦ ـ مواصلة السعى لاستصدار قرار سياسى لتعريب التدريس الجامعى ، ومواصلة ترجمة الكتب الأَجنبية إلى اللغة العربية فى الجامعات الأُردنية

٧ ـ مواصلة عملية تقويم تعريب التدريس الجامعى وترجمة الكتب العلمية الجامعية فى الجامعات الأُردنية باستمرار .

وقد أولى المجمع عنايته الكاملة للنتائج التى توصلت إليها هذه الدراسة ، فوضع معظم هذه التوصيات موضع التنفيذ وفى ضوء ذلك انتقل المجمع إلى المرحلة الثانية من مشروعه فى تعريب التعليم الجامعى . وتقضى المرحلة الثانية بترجمة جميع الكتب العلمية فى مستوى السنة الثانية وبالفعل فقد جرى اختيار هذه الكتب ، وفق معايير محددة ، وأن طبيعة هذه المرحلة العلمية المتقدّمة قد فرضت تعدد الكتب فى مجال الاختصاص الواحد .

وبالفعل ظهر من كتب المرحلة الثانية

١ ـ الجبر المجرد ، تأْليف ديفد سون وجيوليك .

٢ ـ مقدمة للتكوين الجنينى ، تأْليف ستيفن أو بنهايمر .

٣ ـ مقدمة للبصريات الكلاسيكية تأْليف جرجين ماير .

وسيصدر قريبا إن شاء الله عدد آخر منها . وأما الكتب الأُخرى فما زال بعضها بين أَيدى المترجمين وبعضها الآخر بين أيدى المراجعين العلميين . والمراجعين اللغويين . . .

ويمضى مجمع اللغة العربية الأُردنى فى مشروعه هذا وفق خطته ، وضمن إمكانات مادية محدودة ، غير زاعم

لنفسه القدرة على إنجاز هذه المهمة الجليلة ، ولكنه يأخذ على عاتقه تعميق هذا الاتجاه ، وإعطاء المثل العملى للقدرة على التعريب . . . فإن الهدف الذى يجب أن تسعى إليه أمتنا ، هو تعريب العلوم من حيث هى علوم . . . أى تعريب علم الرياضيات من حيث هو علم . . . وتعريب علم الفيزياء من حيث هو علم . . . وليس ترجمة كتاب فى الرياضيات من هنا وترجمة كتاب فى الفيزياء هناك . . . ووضع مئات من المصطلحات العلمية فى هذا المجال العلمى أو ذاك .

قضايا ومشكلات :

كان مجمع اللغة العربية الأردنى يعلم يقيناً مدى حجم المهمّة عندما تبنى فى مجالات عمله ، مشروع تعريب التعليم العلمى الجامعى ، ويعلم كذلك أن هنالك صعوبات ومشكلات مهمة تحتاج إلى الجهد والصبر والأناة من أجل التغلب عليها

انطلق المجمع بالترجمة من حيث هى نَقْلُ مادّة الكتاب من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية ، ولكن الهدف الذى يسعى إليه هو تعريب العلوم . لا ترجمتها فقط . ومن هذا فقد سمّى مشروعه : « تعريب التعليم العلمى الجامعى » وليس « ترجمة الكتب العلمية الجامعية » . فالمجمع يحرص فى النهاية على تحويل المادة العلمية من مادة غريبة عن العقل العربى واللسان العربى .والتداول اليومى إلى مادة قادرة على التمازج مع الفكر العربى واللسان العربى . وذلك من خلال تفاعل حقيقى وخصب بين المادة العلمية واللغة ولا غرو إذا جعل جهوده فى الترجمة تتضافر مع جهوده على جميع المستويات لكى تصبح اللغة العربية لغة التدريس الجامعى وأن يحقق نَقْل هذه الكتب إلى اللغة العربية التفاعل بين اللغة العربية والعلم. فيتداولها الطلبة وأساتذتهم فى محاوراتهم ومحاضراتهم وتجاربهم ومختبراتهم . . ويتعدى مجال هذا التداول إلى أصحاب المهن والحرف وغيرهم فى المجتمع . وأن هذا هو السبيل الوحيد لتأصيل الفكر العلمى فى مؤسساتنا العلمية بصورة خاصة وفى مجتمعنا العربى بصورة عامة

فاللغة العلمية شأنها شأن اللغة الأدبية لا تَحْيا إلا بالاستعمال والتداول ولا تَحْيا ببقائها فى بطون الكتب أو فى مجلدات من المصطلحات العلمية تتجمع على رفوف مكتبات المجامع اللغـوية والجامعات . . . وسوف لا أتطرق فى هذا البحث إلى المشكلات والصعوبات المادية التى واجهها المجمع فى عمله هذا من حيث مشكلة اختيار المترجمين من ذوى الكفاءات العلمية واللغوية العالية أو فيما يتعلق بمسيرة الترجمة والانضباط الزمنى أو فى عملية الطباعة وغير ذلك من الصعوبات المادية ، ولكنى سأقف عند بعض القضايا التى طرحتها تجربتنا المتواضعة فى مجمع اللغة العربية الأردنى ولا سيما فيما يتعلق بالدقة فى الترجمة وبموضوع التنسيق فى الأسلوب والحرص على وحـدة الكتاب المترجم والوقوف أيضاً عند أهم هذه القضايا وهى الرموز والمعادلات والمصطلحات الغلمية .

حرص المجمع على الدقة فى الترجمة

فاشترط على المترجمين ، أن تتوافر فى ترجماتهم الأمانة العلمية والدقة المتناهية فكان المجمع مضطرا فى بعض الأحيان إلى رفض بعض الترجمات التى لا تَرْقى إلى المستوى العلمى المطلوب ، ويكلف خبراء آخرين إعادة ترجمتها من جديد . وقد يكتشف أيضاً وجود أمور غير كاملة بعد دَفْع الكتاب إلى المطبعة فيضطر المجمع إلى إصلاحها . . . وان الدقة فى الترجمة تفرض ولا شك أن تكون اللغة صحيحة التركيب واضحة الأسلوب ، وأن تؤدى الحقيقة العلمية بشكل واضح ومفهوم ، وأن تستعمل مصطلحات علمية موحدة . . فكان يشترط على من يعهد إليهم بالمشاركة فى ترجمة كتاب واحد ، أن ينسقوا فيما بينهم وأن يوحدوا مصطلحاتهم ومع ذلك فكان يضطر فى بعض الأحوال إلى ندب أحـد الأساتذة المتخصصين بالمادة لصياغة الكتاب من جديد حرصا على وحدة الكتاب ، أسلوبا ومنهجا . .

وأن أهم قضية تواجهنا فى عملية تعريب الكتب العلمية الجامعية ، تتمثل بموضوع تقرير المصطلح الواحد والشكل الواحد والرمز الواحد حتى يصل هذا الشكل أو المصطلح أو الرمز بصورة واحدة إلى جميع الطلاب وفى جميع

« العلوم » ومن جميع « الأساتذة » وفى جميع الكتب .

اشترط المجمع أن ينتهى كل كتاب بثبت بالمصطلحات العلمية التى استخدمت فيه وبوضع مقابلاتها باللغة العربية ، وقد لاحظ أن هذه المصطلحات كان كثير منها جديدا أو مغايرا لبعض ما هو وارد فى المجموعات التى أصدرتها المجامع اللغوية والمعاجم المختصة ولذا قام المجمع بدراستها وإقرارها ، وفق منهجه فى العمل ، لكى يلتزم بها المترجمون فى الترجمات التالية تجنبا لنشوء أكثر من لغة علمية واحدة فى مشروع واحد . وتوطئة لدراستها فى اتحاد المجامع اللغوية ومؤتمرات التعريب ، ولا سيما وأن مؤتمر التعريب الخامس ، قد عقدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى مجمع اللغة العربية الأردنى سنة ١٩٨٤ كما هو مقرر . . . فالمصطلحات والرموز العلمية يتداخل بعضها فى بعض ولا سيما فى الرياضيات والفيزياء ، والجيولوجيا والأحياء . فإن توحيد المصطلحات المشتركة مثلا بين الفيزياء والرياضيات تصبح ضرورة بالغة حتى تكون لغة الرياضيات هى نفسها فى الفيزياء والإلكترونيات .

وإن طرح هذه القضايا العلمية ، من خلال هذه التجربة المتواضعة يقودنا إلى الوقوف أمام حقيقة الترابط العضوى الوثيق بين العلوم الطبيعية ، باعتبارها جميعاً جوانب مختلفة لتفسير طبيعة الوجـود . وهكذا فـلا يمكن تعريب الفيزياء بانفصال عن تعريب الرياضيات وتعريب الكيمياء بانفصال عن تعريب الفيزياء وبالتالى فإن المؤهلين لمناقشة مصطلحات ورموز ورسوم وأشكال الكيمياء ليسوا فقط الكيميائيين ، بل هم أيضاً الرياضيون والفيزيائيون والجيولوجيون . . . الخ .

وهكذا فإننا إذا ما تعدينا حدود الترجمـة إلى التعريب بمعناه الواسع نواجه مشكلات أساسية بعضها يتعلق بالمصطلحات العلمية والرموز وبعضها يتعلق بوسائل النهوص بمتن اللغة فى مجال الاشتقاق والقياس والنحت والوضع والتعريب . . . وقد كان لمجمعنا الشيخ بالقاهرة جهود خيرة يسجلها تاريخ

نهضة هذه الأُمة بالاعتزاز والفخر ، فقد يسَّر المجمع مثلا من أمر الاشتقاق وفكّ بعض قيوده . . . وجعله أداة طيعة في أيدي الأُدباء والعلماء ... وأغنى علماؤه الأفذاذ لغتنا بأبحاث لغوية أصيلة تحتل مكان الصدارة في الاحتجاج الحديث ، وذلك سعيا لجعل هذه اللغة الشريفة ، وافية بمتطلبات العلوم والفنون في تقدمها وملاءمتها لحاجات الحياة في العصر الحاضر .

وإذا كان مجمع اللغة العربية الأُردني استطاع وضع مشروع لتوحيد المصطلحات العلمية التي استعملت في الكتب العلمية المترجمة مستعينا بجهود مجامعنا اللغوية في القاهرة ودمشق وبغداد ، وبما أنتجته مؤتمرات التعريب ، فضلا عما يجتهده ، فقد رأى فيما يتعلق بالرموز العلمية أن يؤلف لجنة خاصة من خيرة العلماء في الرياضيات والفيزياء والكيميــاء لوضع نظام كامل ومتكامل لتعريب الرموز العلمية في هذه العلوم ، وقد بدأت هذه اللجنة عملها ، وحدّدت فلسفتها التي تصدر عنها ، وهذه الفلسفة تتلخص بأن لا يلجأ دارس العلوم المختلفة باللغة العربية إلى استخدام حروف أجنبية فَقَدَتْ إيحاءاتها بالنسبة له ، كما أنها تحرص على أن لا تطلب من القارئ العربي تَعَلم حروف جديدة . ويسرني أن أعلن أنها قطعت شوطا بعيدا في هذا المضمار ، وأن هذا النظام المعرّب للرموز سيكون ، على حدّ تعبير الخبراء ، أفضل من النظام الحالي الذي يستعمل الحروف اللاتينية ، من حيث شموله ودقته وقابليته للنمو والتطور .

اصداء ونتائج :

جعل مجمع اللغة العربية الأُردني من مشروعه في تعريب التعليم العلمي الجامعي. أحد الحقول المهمة في مجالات عمله . فأولاه منذ البداية اهتماما كبيرا . وقد كان لإنجازاته المتواضعة في هذه الفترة القصيرة من عمره ، أصداء ونتائج طيبة ، فإلى جانب الدراسة التقويمية التي قام بها المجمع للمرحلة الأُولى من مشروع التعريب ، ظهرت دراسات قيمة قام بها عدد من الباحثين ومنها دراسة ميدانية قام بها أحد الباحثين الشباب من قسم الفيزياء في الجامعة الأُردنيــة وقدّمها إلى المؤتمر الثاني

للفيزيائيين والرياضيين العــرب الذى عقد فى عمان فى أيار سنة ١٩٨١ ، تحت عنوان : « تعريب التعليم العلمى الجامعى فى الأردن » . وفى حديثه عن كتاب الجزء الأول من كتاب الفيزياء الذى ترجمه المجمع . يستعرض أهم ركائز المنهجية التى اتبعها المترجم بقوله : « إننا بذلنا جهدا كبيرا فى انتقاء وابتداع المصطلحات العلمية اللازمة ، وحققنا فى أصل كثير منها ، كما حاولنا إرساء الأسس التنظيرية لعملية التعريب . رمتها ، مستهلين هذه العملية بوضع إطار شامل فى غاية المرونة لتعريب رموز وحدات النظام الدولى . على أن يكون الهدف الرئيسى فى هذه المرحلة هو إرساء الأساس الذى تقوم عليه عملية التعريب ، تراكم عليه شيئا فشيئا ، بحيث نستطيع أن نستعمل فصلا منطقيا حادا يبتركل فائض دخيل وثمة هدف آخر لا يقل أهمية يكمن فى إحياء تراثنا العلمى كما يجب أن يكون الإحياء : بمعنى أن ننطلق من الحاضر ، وأن نستخدم أفضل ما فى بطون الكتب ــ كتب التراث ــ فى بحوثنا المعاصرة ، وهذه فكار بحاجة إلى صقل وتهذيب . والقصد من ذلك ألا ندرس التراث العلمى من حيث هو تاريخ علوم فقط .

ولا شك أن هذه الإشارات ترسم الملامح العامة لمنهجية المجمع فى الترجمة والتعريب وذكر الباحث فى دراسته هذه ، تحت عنوان « الإبداعات التى قدمتها التجربة » ، وقال : « ولكن هذه التجربة ــ تجربة مجمع اللغة العربية الأردنى ــ على الرغم من أنها واجهت الكثير من الصعوبات والمشكلات ، إلا أنها قدمت لنا بعض الإبداعات التى برزت فى كتاب الفيزياء . . . ومن الأمور التى عُنى بها المشرف ، الترجمة الأمينة الكاملة ، بما فى ظلاله المتفاوتة وإيماءاته المتباينة حيث أورد بالبنط الأسود ما كان أصلا بالبنط المائل ، وأبقى تبويب الكتاب وترتيبه على حالها بقدر الإمكان ، كما حافظ على روح الأسلوب ما وسعه ذلك ، فلم يحجم عن إضافة كلمة هنا وكلمة هناك ، توخياً للبيان والتبيين . كما قام بترقيم الأشكال الواردة فى ختام كل باب ،

الأصل الذى تركها عائمة هائمة بدون بخلاف أرقام ، وصحّح حفنة من الأخطاء البسيطة الواردة أصلا فى بعض الوحدات والرموز ، كما استخدم إطارا عربياً شاملاً لرموز وحدات النظام الدولى الذى أخـذه بتصرف طفيف من المشروع الذى نشره المجمع عام ١٩٧٩ م ، كما قام بتذييل المَتْن بعدد من الحواشى والهوامش أكبر بكثير مما هو مألوف فى مثل هذا العمل ، وترد هذه فى ثلاثة أصناف :

الأول : علمى بحت يفسر ما استغلق من أمور المتن أو يعلق على مدلول رموز علمية غير مألوفة ، ويربط المادة بما يجرى الآن من بحوث وفرضيات .

الثانى : تراثى ، بمعنى أنه يعود إلى الجذور والأصول محلّلاً وشارحاً .

الثالث : لغوى بحت ، يلقى الأضواء على أصل أحد المصطلحات أو يحيى كلمة علمية جميلة من تراثنا العلمى . . .

وكان لهذه الدراسة وغيرها من الدراسات العلمية البناءة فى تقويم أعمال المجمع دور كبير فى مسيرة المجمع العلمية وتلمسه الوسائل التى تعينه على تحقيق أهدافه

وقبل ظهور كتاب الفيزياء هذا كان المجمع قد اشترك بمنشوراته فى معرض الكتاب العلمى الذى أقامته بالكويت مؤسسة الكويت للتقدم العلمى فى الفترة الواقعة من ٤ إلى ١٣ تشرين الثانى سنة ١٩٨١ ، وبتاريخ ١٩٨٢/٥/٢٣ تلقى مجمع اللغة العربية الأردنى رسالة من مؤسسة الكويت للتقدم العلمى تفيد أن كتاب «الجيولوجيا» وهو أحد الكتب العلمية التى قام المجمع بترجمتها ونشرها ضمن مشروعه الرامى إلى تعريب التعليم العلمى الجامعى ، قد فاز بجائزة معرض الكتاب العربى السابع لأحسن كتاب مترجم فى العلوم ، وذلك بناء على توصية لجان التقويم .

وقد حرص المجمع على دعم خطته فى ترجمة الكتب العلمية ، بإقامة الندوات العلمية المتخصصة والمشاركة فى المؤتمرات العلمية من أجل تعريب التعليم الجامعى .

وفى برنامج المؤتمر العلمى العربى الثانى الفيزياء والرياضيات ، عقدت ندوة حول تعريب العلوم فى الجامعات العربية يوم الخميس بتاريخ ٢٧/ ٥ / ١٩٨٢ . وقد أكد المشاركون فى الندوة أن قضية التعريب لا تنحصر فى كونها قضية لغوية ، وإنما تتعدى ذلك لتشكل قضية سياسية ، تفرض تحدياً قوياً على الأمة العربية ، وخيارا بين البقاء فى حالة من التبعية أو النهوض بالحضارة العلمية العربية من جديد ، لتتمكن الأمة العربية من مجابهة تحديات العصر العلمية . ودعا المشاركون إلى إقامة مؤسسة علمية عربية تحشد فيها خبرة العلماء والمتخصصين العرب ، وتكون مهمتها نقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية لتشكل القاعدة الأساسية لبناء نهضة علمية عربية عن طريق الترجمة والتأليف والابداع العلمى .

وقد حرص المجمع على أن يقوم بإهداء نسخة من كل كتاب يترجمه إلى جميع وزارات التعليم العالى والجامعات والمؤسسات العلمية فى الوطن العربى ، وكان لهذا العمل المتواضع أصداء طيبة فى الخارج والداخل .

واستمر مجمع اللغة العربية الأردنى فى خطته وفى عمله الدؤوب يمد الخزانة العربية بالكتب العلمية المترجمة إلى العربية ، ويستثير همة أبناء هذه الأمة من علمائها الذين يعتزون بتراث أمتهم ولغتهم العربية ، لغة العروبة والإسلام .

وبتاريخ ١٢ / ٨/ ١٩٨٣ ، علقت إحدى الصحف المحلية على كتاب مقدمة للبصريات الكلاسيكية والحديثة فقالت :

« ضمن مشروع تعريب التعليم العلمى الجامعى ، ومن منشورات مجمع اللغة العربية ، صدر مؤخرا كتاب هام فى الفيزياء ، وهو « مقدمة للبصريات الكلاسيكية الحديثة » . . . وبعد أن يستعرض الكاتب قيمة الكتاب العلمية والأغراض التى يحققها يقول : ولعل أهم ما يميز الكتاب ، عدا عن قيمته العلمية الهامة ، ذلك الجهد الواضح جدا الذى بذل فى ترجمته وإخراجه ، ويبرز هذا من اللغة العلمية الدقيقة

الملاحظة في الكتاب ، ومن سلاسة العبارات والحرص على استعمال المصطلحات العربية المناسبة ، وعلى تشكيل الكلمات هذا إضافة لتلك الأشكال والصور الواضحة والمتقنة . . . إن كتابا من هذا النوع يعد بحق أفضل ما صدر عن مجمع اللغة العربية الأردني ، ومن أفضل ما ترجم إلى اللغة العربية من كتب علمية ، ولا يساويه في ذلك إلا القليل جداً من الكتب سواء أكان ذلك على مستوى العالم العربي أم على مستوى منشورات مجمع اللغة العربية الأردني . . . (1)

لا أريد في هذا المقال أن أمحّص هذه الأحكام ، وليس من هدفي أيضاً أن أستقصي ما كتب ونشر في تقييم منشورات مجمع اللغة العربية ، ولكنني أود أن أشير إلى أن هذه الجهود المتواضعة قد أثمرت ، وكان لها أصداء طيبة ، وربما كان من المفيد أن نقف عند بعض المؤشرات ذات الدلالة العلمية والسياسية التي بدأنا نلمسها في جامعاتنا العربية ، وعلى الخصوص في الجامعات الأردنية. ففي مقال نشره أحد الأساتذةفي دائرة الفيزياء بجامعة اليرموك ، في جريدة الرأي الأردنية بتاريخ ٩ / ٩ / ١٩٨٣ يقول :

« ومن خلال تدريسي لمادة الكهرومغناطيسية في دائرة الفيزياء باللغة العربية في الفصل الماضي – الفصل الصيفي – والتي كنت قد درستها باللغة الإنجليزية في فصول سابقة لمست الفرق الشاسع في تحصيل الطلبة العلمي . فقد ارتفعت نسبة النجاح في هذه المادة من حوالي ٥٠٪ عند تدريسها بالإنجليزية إلى حوالي ٨٧٪ عند تدريسها باللغة العربية وأصبحت المادة مرغوبة جدا لدى الكثير من الطلبة بعد أن كانت شبحاً يخشون الاقتراب منه وقد اتضح هذا من كتابات الطلبة في نماذج تقويم المساق التي وزعت عليهم في الحالتين ، والتي توزع بانتظام على الطلبة في دائرة الفيزياء ، وقد تكونت

(١) انظر : جريدة الرأي الأردنية في عددها رقم ٤٨١٢ الصادر بتاريخ ١٢ / ٨ / ١٩٨٣ تحت زاوية « المكتبة العلمية » .

ملاحظات مماثلة لدى زملائى الآخرين فى دائرة الفيزياء ، عند مرورهم بتجربة تدريس بعض مواد السنة الأُولى باللغتين العربية والإنجليزية »

وفى هذا المقال ذاته ، يقول الكاتب :

« وإدراكاً من دائرة الفيزياء فى جامعة اليرموك لأَهمية استخدام ، اللغة المناسبة والمفهومة لدى الطلبة فى التدريس فقد بدأَت الدائرة بتدريس مواد السنةالأولى باللغة العربية ، ضمن خطة موضوعة للتعريب تدريس الفيزياء فى جامعة اليرموك . . » .

ومنذ أَيام قلائل ، تقدم ثمانون من أعضاء هيئة التدريس فى الدوائر العلمية فى جامعة اليرموك ، بمذكرة إلى المسئولين فى الجامعات الأردنية وإلى رئيس مجمع اللغة العربية الأردنى يعربون فيها عن إيمانهم بالتعريب وعزمهم على التدريس باللغة العربية ، ويقدمون من خلالها مشروع خطة لتعريب التعليم الجامعى فى جميع مجالاته . ومن الجدير بالذكر أن هذه الوثيقة تحمل تواقيع ثمانين عضو هيئة تدريس من أَصل مئة وعشرين من من أَعضاء هيئة التدريس الأردنيين . وجميعهم فى الذروة من حيث تخصصاتهم العلمية . وكان من بينهم جميع رؤساء الدوائر العلمية . وعميدان أيضاً من أَصل ثلاثة عمداء .

ولا شك أَن هذه الأَصداء الخيرة ، كانت نتيجة وعى عميق بين الأَساتذة والطلبة الجامعيين . وهذا أُستاذ آخر فى الرياضيات فى الجامعة ذاتها وجميع هؤلاء الأَساتذة . هم فى الذروة فى تخصصاتهم العلمية وقد تخرجوا جميعاً من أحسن الجامعات الأَجنبية يقول :

أَشارت نتائج استبيان شارك فيه خمسمائة طالب فى دائرة الفيزياء فى جامعة اليرموك إلى أن ٣ر٩٥٪ من الطلبة يتفقون على ضرورة أَن يكون التدريس باللغة العربية لتسهيل نقل الأَفكار العلمية ، كما أَشارت إلى أن ٥ر٨٩٪ منهم يؤيدون عملية التعريب . .

وتتوالى الأَبحاث والمقالات فى هذا المجال لتؤكد جميعها أن التـدريس الجامعى بأَية لغة غير اللغة العربية ، من

العوامل الأساسية في ضعفنا العلمى والحضارى . . . وأن العربية قادرة على استيعاب جميع المعارف الإنسانية وأن التعريب مطلب حضارى ، يحفظ للأمة تاريخها وشخصيتها ويضعها على قدم المساواة مع الأمم المتحضرة للمشاركة الفعالة الأصيلة فى بناء الحضارة الإنسانية ، لاسيما وأن جميع الدلائل تشير إلى أن الإنسان يخطو نحو فجر حضارة عالمية جديدة منطلقاً من هذا العَصْر الذى تتفجر فيه المعارف العلمية ، وتتطور بسرعة لاتُجْدِى معها الوسائل التقليدية ، ولا البقاء فى التبعية الفكرية والعلمية خارج نطاق التراث والجوهر . وإن لغتنا العربية هى التى تعطى لهذه الأمة هويتها وتمدها بأسباب الحياة .

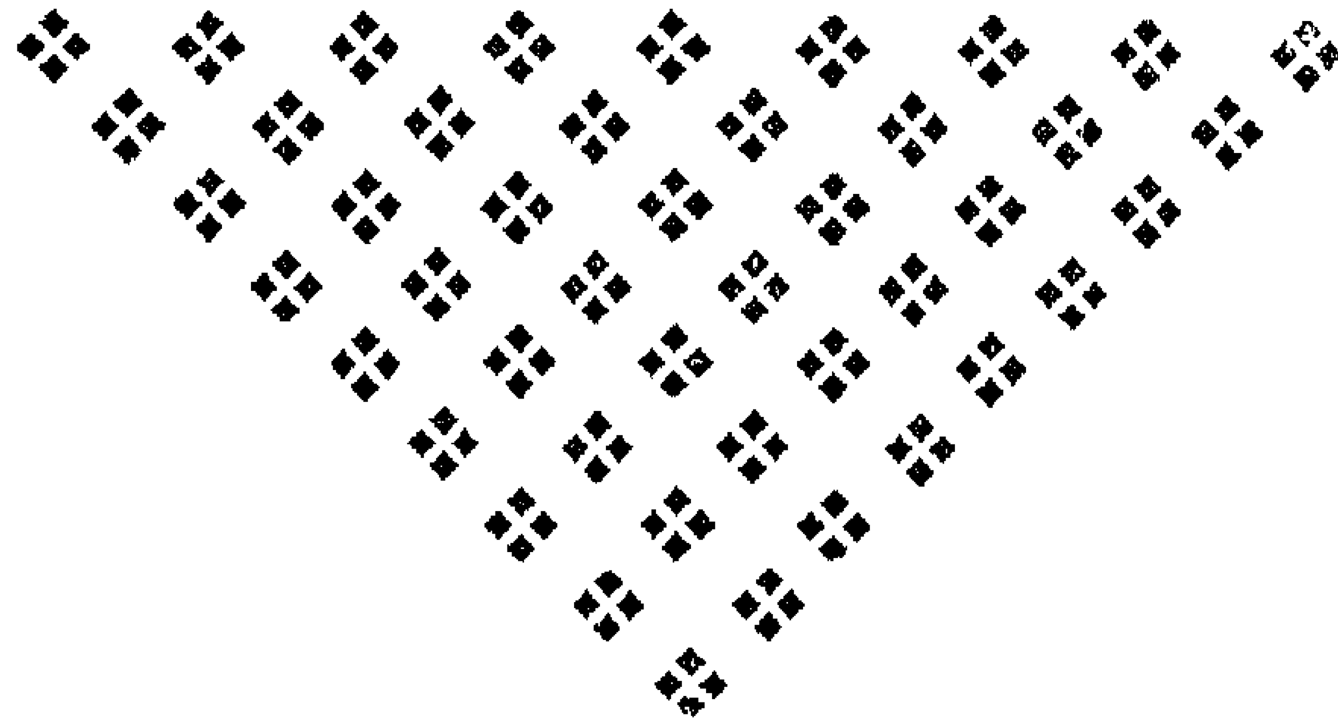
وخلاصة القول ، فإن مجمع اللغة العربية الأردنى يمضى قدماً بإذن الله ، فى جهوده المتواضعة فى خدمة اللغةالعربية ، يحدوه الإيمان ، بأن الوقت قد حان لكى تصبح اللغة العربية لغة التعليم الجامعى والبحث فى جميع مستوياته ومجالاته ، ولكى تتحول تجربة تعريب العلوم فى الجامعات العربية من مجرد كلام ينشر فى الكتب إلى ممارسات عملية فى الجامعات ومؤسسات البحث العلمى ، تنعكس آثارها فى جميع مرافق الحياة .

وإن الفلسفة التى ننزع عنها فى المجمع الأردنى ، تتمثل بإيماننا بوحدة أمتنا ووحدة لغتها ، ونعتبر أنفسنا لجنة من مجمع لغوى عربى واحد ، وأن العمل الذى نقوم به ليس سوى رافد من روافد هذا النهر الكبير الذى نرجو أن يسقى الوطن العربى ويمده بالخصوبة والخير والبركة . وإنه لمن طبائع الأشياء أن يكون للغة الواحدة مجمع واحد ، ولا نعلم أن لنا لغة سوى اللغة الفصيحة ، لغة القرآن الكريم ، لغة العروبة والإسلام .

وأخيرا فالتحية العاطرة أزجيها إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة ،حصن العربية ورمز مجدها الشامخ ، مع الاحترام العميق إلى

رئيسنا الجليل الأستاذ الدكتور إبرهيم مدكور، حفظه الله ، وإلى علمائنا الأفذاذ ، شيوخ العربية وفرسانها الذائدين عن حياضها والعاملين فى سبيل رفعة شأنها ، جزاهم الله عن العروبة والإسلام خير الجزاء .

عبد الكريم خليفة
عضو المجمع
ورئيس مجمع اللغة العربية الأردنى



دراسات فى النظام الصوتى الصرفى

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

مقدمة :

تنبه نفر من علماء العربية القدامى فردوا كثيرًا من المواد اللغوية إلى أصولها المعنوية المشتركة ، والتى اشتقت منها تلك المواد ، وكان من هؤلاء ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) فى كتابه (مقاييس اللغة[١]) حيث يقول فى مقدمته : « وقد ألف الناس فى جوامع اللغة ما ألفوا ، ولم يعربوا فى شىء من ذلك عن قياس من تلك المقاييس ، ولا أصل من الأصول ، والذى أومأنا إليه باب من العلم جليل ، وله خطر عظيم ، وقد صدرنا كل فصل بأصله الذى يتفرع منه مسائله .. » .

على أن العربى كان يحسّ من دخيلة نفسه وقوة طبعه ، ولطف حسّه ، أن الاشتقاق قانون نفسى مطرد لا يتغير ، لا يحيد عنه ، ولا ينفر منه .

وورد فى كتاب الترقيص عن أبى حاتم « قال : سألت الأصمعى : لم سُمِّيت مِنًى مِنًى ؟ قال : لا أدرى . فلقيت أبا عبيدة فسألته فقال : لم أكن مع آدم حين علمه الله الأسماء فأسأله عن اشتقاق الأسماء ، فأتيت أبا زيد فسألته فقال : سميت مِنًى لما يُمْنَى فيها من الدماء[٢] » .

وبشفافية الحسّ العربى رفض أعرابى اشتقاق (مُسْحَب) اسم مفعول من (سَحب) الثلاثى المتعدى بدلا من (مَسْحوب) الذى هو الأصل والقياس ، وذلك حين ارتاب أبو عمر الجرمى فى فصاحة أعرابى ، فأراد امتحانه ، وألقى عليه بيتاً هو .

كم رأينا من (مُسْحَب) مُسْلحبٌ
صـاد لحمَهُ النُّسور والعِقبانِ

---

(١) تطلق المقاييس ، ويراد بها الاشتقاق الأكبر .
(٢) المزهر ١ / ٣٥٣ .

فأفكر الأعرابى فيه ، ثم قال : رُدّ علىّ ذكر (المسحوب) حتى قالها مرات ، فعلمت أن فصاحته باقية .

لكن جاءت بعد ذلك (مدرسة الاشتقاقيين) حيث خرجت بالاشتقاق عن حدّه وطبعه ، وزادوا فيه تشويشاً وتهويماً ، فقالوا : إن (الرَّحْل) مشتق من الرحيل ، و (الخروف) منسوب إلى موعده فى الخريف ، و (الغراب) . من الغربة والإيذان بها حيث يعيش هذا الطائر ، و (الفرَس) من الافتراس ، و (الحمار) من لونه الأحمر ، و (الخيل) مشتق من الخيلاء[1] . وغاب عنهم أن المعانى الحسية أسبق فى الوجود ، وأنها أصل الاشتقاق والمعنوى فرع للحسّى . (فالجميل والجمال) أصلهما من (الجمل) عند العرب ، وكانوا يرونه أجمل الحيوانات ، كما اعتبروا أى شبه بين الإنسان والحيوان فى الصبر والاحتمال هو (جمال) أيضاً ، والله تعالى يقول : « فصبر جميل » .

و (البطلان) التى منها الباطل ضد الحق أصلها من كلمة (الباطل) بمعنى إبليس ، وقد ورد هذا المعنى الأصلى فى قول الله تعالى : « وما يُبْدِئُ الباطلُ وما يُعِيدُ[2] »

(أ) الأصل الاشتقاقى :

يرى بعض العلماء أن الأصل هو الثنائى فرمى : أصلها الثنائى (رَمْ) حرك حرفه الثانى بفتحة مشبعة علامتها ألف ، فلامه ليست حرفاً ، بل إطالة أو إشباع الفتحة السابقة . والمثال (وثب) أصله الثنائى (ثبِ) زيدت فيه الواو تتويجاً . والأجوف (قام) أصله (قَمْ) أشبعت حركة حرفه الأول . أما المضاعف فهو مركب من حرفين مثل : لعْ لعْ ، مرْ مرْ ، فهو عبارة عن ثنائيين مكررين . ومن العلماء الذين يرون ثنائية الأصل ابن فارس والشدياق وجرجى زيدان والكرملى والدومنكى ، ولهم حجج كثيرة منها :

أن أصول الكلمات السامية كانت

---

(١) انظر فى ذلك قصة طريفة لأبى عمرو بن العلاء فى : المزهر ١ / ٣٥٣ (ط دار إحياء الكتب العربية)

(٢) سورة سبأ ، آية ٤٩ ، وفى الكشاف للزمخشرى (٣ – ٤٦٧) طبعة الاستقامة ١٩٥٣ م « الباطل إبليس لعنه الله والمعنى : ما ينشىء خلقا ولا يعيده وقال الزجاج : أى شىء ينشىء إبليس ويعيده ؟ فجعله للاستفهام » .

مؤلفة من حرفين اثنين ، ثم زيد فيا بعد على كل أصل منها حرف ثالث ، وقالوا : بأن الثنائيات صورة بعيدة مغرقة فى القدم ، ودليل ذلك التدرج الطبيعى ، والانتقال من هذه المرحلة إلى ما استقرت عليه الكلمات من ثلاثية الأصوات .

ويرى معسكر آخر أن أصل اللغة يرجع إلى الثلاثى ، وأنه لم يتطور عن غيره ، ولهم أدلتهم أيضاً ، على أنه يجب أن نشير إلى أن النظرية الثنائية مازالت فرضاً واحتمالا ، وأنها لم ترق إلى مجال القواعد الثابتة ، كما أنه اعترض على النظرية الثلاثية بأنها تنفى أصالة ماعدا الثلاثى ، وهم مع ذلك يلجئون فى إثبات نظريتهم إلى التأويل .

وعلى مذهب القائلين بأصالة الثنائى وتنميته لما فوقه إلى الثلاثى عن طريق تضعيف الحرف الثانى أو إضافة حرف علة إلى أول المادة الثنائية أو فى وسطها أو فى آخرها ، يرون أن اللغة وجدت فى أثناء تطورها فى المضعف ثقلا فراحت تبدل من أحد الضعفين حرفا من حروف العلة : انظرما يلى :

كعّ تطورت إلى كاع .

ضرّ يضرّ ضرّا تطورت ضار يضير ضيْرا

ذم تطورت إلى ذام .

طبّ ، غمّ تطورت إلى طاب ، غام .

مدّ تطورت إلى ماد .

صرّ (الصوت) تطورت إلى صار .

حفّ تطورت إلى حاف .

غبّ تطورت إلى غاب .

طمّ يطمّ طموما تطورت إلى طما يطمو طموا

همّ تطورت إلى همى .

محّ تطورت إلى محا .

حمّ (الحديد) تطورت إلى حمى

شجب تطورت إلى شجا (أحزن) .

هذا وقد يبدل أحد الضعفين نوناً مثل :

احرجّم تطورت إلى احرنجم .

اظّلم تطورت إلى انظلم [1] .

وأبدلت نوناً ، لأن النون حرف موسيقى محبب فى اللغة ، ولهذا يرى بعض الباحثين [2]

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٩ - . مصطفى جواد .

(٢) المرجع السابق .

أن وزن (افّعَل) هو الأَصل ثم تطور إلى (انفعل) فهى صورة جديدة للمطاوعة وهى فرع عن (افّعل وافتعل) .

فالتضعيف هو الوسيلة الأُولى لتنمية اللغة ونقلها من الثنائية إلى الثلاثية ، فالمضعف تولد منه على طريق الإبدال : الأَجوف ثم الناقص وكأَنه نوع من القطعة[1] (الترخيم) ثم المثال ثم السالم ، فالسالم جاء آخرا ؛ لأَن زيادة حرف على المضعف أَليقُ بحكمة الواضع فى التفنن فى نقصه ، إذ لو جعلت السالم أَصلا لزم عنه العدول من الكمال إلى النقصان . والدليل على أَصالة المضعف قراءة أَبى حيوة (وعزنى فى الخطاب)(٢٣ سورة : ص) قال ابن جنى فى المحتسب (٢ / ٢٣٢ دار إحياء الكتب العربية تحقيق الأُستاذ النجدى والدكتور عبد الفتاح شلبى) أَصله : عَزَّنى غير أنه خفف الكلمة بحذف الزاى الثانية أو الأُولى كما حكاه ابن الأَعرابى من قولهم ، ظَنْتُ ذاك : أى ظننت ، هذا ويمكن لظاهرة المخالفة أن تفسر الصلة بين المضعف وبين الأَجوف والناقص[2]

الجبّ تطورت إلى الجوْب (القطع

دسّس تطورت إلى دسّى (وقد خاب من دساها) .

تسرر تطورت إلى تسرّى .

(وليملل الذى عليه الحق) تطور إلى (فهى تملى عليه بكرة وأَصيلا) .

فهذه صور للتطور ورسوم للارتقاء .

على أن حدود التطور لم تقتصر على الأَفعال واشتقاقها بعضها من بعض ، بل نرى من (الأَفعال) ما تطور إلى (حرف) خالص انظر مثلا :

البدوىُّ عَلَى الجبَلَ - فهى فعل ومع كثرة الاستعمال والتداول أصبحنا نقول[3] : البدوىُّ على الجبلِ فهى نفسها حرف جر ، والعلاقة بين المثالين واضحة مدلولا واستعمالا

كما كان الأَصل الاشتقاقى محك خلاف بين البصريين والكوفيين ، فيرى البصريون

---

(١) ثنائية الأصول اللغوية ١٢٦ للأستاذ حامد عبد القادر ، ونشر بمجلة المجمع ج ١١ .

(٢) حروف تشبه الحركات . د. إبراهيم أنيس ، ونشرت بمجلة مجمع اللغة العربية ج ١٦ .

(٣) البحوث والمحاضرات دورة ٣٣ مجمع اللغة العربية : من دلائل القدم فى العربية د. عبد الستار الجوارى.

أن المصدر هو الأصل والفعل فرع عليه ، والكوفيون على العكس يرون أن الفعل هو الأصل والمصدر فرع عليه .

وحجة البصريين منها : أن الفعل يدل على الحدث والزمان ، فلو كان المصدر مشتقاً من الفعل لدل على ما يدل عليه الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث ، كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وعلى ذات الفاعل والمفعول ، فلما لم يكن المصدر كذلك علم أنه ليس مشتقا منه .

كما استدلوا على أن المصدر هو الأصل بتسميته مصدرًا ، والمصدر هو الموضع الذى يصدر عنه ، ... فلما سمى مصدرًا دل على أن الفعل قد صدر عنه ، وكذلك احتجوا بأن قالوا : بأن المصدر يدل على زمان مطلق ، والفعل يدل على زمان معين ، فكما أن المطلق أصل للقيد ، فكذلك المصدر أصل للفعل .

كما احتج الكوفيون بأدلة منها : أن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ، ألا ترى أنك تقول : قاوم قياماً — فيصح المصدر لصحة الفعل ، وتقول : قام قياماً — فيعتل لاعتلاله ، فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دل على أنه فرع عليه. كما تمسكوا بأن المصدر يذكر تأكيدا للفعل ، ولاشك أن رتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد ، فدل على أن الفعل أصل والمصدر فرع[1] ... وهناك من الأدلة للفريقين غير هذا ، وأرجح رأى الكوفيين فى هذا النزاع مسترشدًا بما يلى :

١ ـ مايراه نفر من المستشرقين من أن أغلب الكلمات يرجع اشتقاقه إلى أصل ذى ثلاثة أحرف (لبعضها أصل ذوحرفين) وهذا الأصل فعل يضاف إلى أوله أو آخره حرف أو أكثر ، فتتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدل على معان مختلفة .

٢ ـ أن العقلية الفعلية قد ساد على اللغات السامية ؛ لأن لأغلب الكلمات فى هذه اللغات مظهرا فعلياً . ففى الساميات الفعل هو كل[2] شيء ، أما من ذهب

(١) الإنصاف لابن الأنبارى : مسألة ٢٨ .

(٢) تاريخ اللغات السامية ١٤ ولفنسون .

إلى أن أصل المشتقات هو المصدر – فهو مذهب نشأ عن الفرس حيث بحثوا فى اللغة العربية بعقليتهم الآرية ، والأصل فى الاشتقاق عند الآريين هو : المصدر – فعلماؤنا متأثرون ومقلدون .

وليس النزاع الذى ذكرنا طرفاً منه وحده فحسب ، بل وقع خلاف فى دوائر البصرة نفسها حيث قال جمهورهم : إن المصدر متى ثبت أنه أصل للفعل ثبت أنه أصل للمشتقات بالواسطة ، إذ المشتقات متعلقات بالأفعال ، ومتى ثبتت فرعية المتعلق ، ثبتت فرعية المتعلق به ، وقال جماعة منهم السيرافى : المصدر أصل للفعل ، ولكنه ليس أصلا للمشتقات ، بل الفعل هو الأصل للمشتقات ، إذ لا يلزم من كون الفعل متفرعاً عن المصدر ، أن تكون متعلقات الفعل متفرعة كذلك عن المصدر ، بل ينقل السيوطى عن طائفة من المتأخرين اللغويين بأن : كل الكلم مشتق ، كما نقل عن طائفة من أهل النظر أن : الكلم كله أصل !! وإذا كنا قد رجحنا رأى الكوفيين فلا زال الطريق شائكاً ، فأى الأفعال هى الأصل ؟ يذهب بعض العلماء المحدثين إلى أن اسم الفاعل هو الأصل ، وبعضهم يذهب إلى أن صيغة الأمر هى أصل اشتقاق الأفعال . أما نحاة العرب فبعضهم يرى أن الفعل الماضى هو الأصل ، وبعضهم يرى أن فعل الحال هو الأصل ، وآخرون يرون أن فعل المستقبل ، إلى غير هذه الآراء . كما يرى بعضهم أن بدايات الفعل فى العربية إنماهى تطور من استخدام بعض صور اسم الفعل[1] ، أو أن الفعل إنما تطور عن كلمات استخدمت وقصد بها الاسم والفعل معاً ؛ ثم أخذ مدلول الفعل فيها يتحدد ، ويستقل بإضافة فكرة الزمن ، ويرى نفر من العلماء أن ننظر إلى (الجذر[2]) وهذا يحل مشكلة الأصل الاشتقاقى ، فمسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات واشتراكها فى شىء معين ، والقدر المشترك بين الكلمات المترابطة . وأصح ذلك هو الحروف الأصلية الثلاثة ، فأنت إذا

(١) الفعل زمانه وأبنيته ١٢١ د. السامرائى .

(٢) مناهج البحث فى اللغة ١٨٢ د. تمام حسان .

نظرت إلى : ضرب ضارب مضروب مضرب ضرب ، رأيت أنها تشترك فى (ض ر ب) وتتفرع منها ، فهذه الحروف الثلاثة جذور العربية التى تتفرع منها الكلمات . فالفعل واسم الفاعل واسم المفعول إلخ صور من صور التعبير الشكلي للمادة التى لا يصدق عليها وصف بالفعلية أو الاسمية .

وفى كتب العربية نجدهم يتوسعون فيشتقون من أسماء المعانى ، فلقد اشتقوا من أسماء العدد وهى أسماءُ معان جامدة ، ففى المخصص[1] : كانوا تسعة وتسعين فأمأيتهم . كما اشتقوا من أسماء الأزمة ففى اللسان[2] : وأخرف القوم - دخلوا فى الخريف . كما اشتقوا من أسماء الذوات : يديته : ضربت يده ، فهوميدى ، ويُدِىَ : شكا يده[3] ، ومن العجيب أن العرب قد اشتقت من الحرف ، ففى الخصائص[4] : سألتك حاجة فلوْليْتَ لى : أى قلت لى (لولا) فاشتقوا الفعل من الحرف المركب من (لو + لا) . ومعنى ذلك أن (الأصل) فى اللغة متعدد ، إذ قد اشتقت العرب من الأفعال ومن الأسماء الجامدة والمشتقة ومن الحرف .

وفى المشتقات تطالعنا أحوال عجيبة ، فقد نجد مصادر ولا أفعال لها ، كما أهملت بعض المفردات واستعملت جموعها ، كما استعملوا بعض المصغرات من غير أن يستعملوا لها مكبرًا ، كما روى عنهم أنهم أماتوا بعض المصادر . والحقيقة أن المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها ، وقد يسبق بعضها بعضاً فى الوجود ، ولهذا لا يمكن أن تكون الأفعال حين وجدت وجدت معها مشتقاتها ، فقد تعيش اللغة زمنا وليس بها إلا الفعل وحده أو المصدر وحده - حسب حاجة اللغة واستعمالاتها فى حضارتها وبداوتها .

ملحوظتان :

١ - إذا ترددت الكلمة بين أصلين فى الاشتقاق فالتمس ما يرجح أحدهما ، وله وجوه :

(ا) كون أحد الأصلين أشرف .

---

(١) ١٧ / ١٢٩ .
(٢) ١٠ / ٤٠٩ .
(٣) اللسان ٢٠ / ٣٠٣ .
(٤) ص ١ / ٤٣٦ .

(ب) كونه أخص فيرجع على الأعم .

(جـ) كونه أسهل وأحسن تصرفاً .

(د) كونه أليق .

٢ ـ قد يعرض للفرع المشتق مع الأصل المشتق منه تغييرات منها :

(ا) زيادة حركة كعَلِمَ من العلْم .

(ب) زيادة مادة : كطالب وطلب .

(جـ) زيادة حركة وحرف كضارب من الضرب .

(د) نقصان حركة كفرْس من الفرس .

(راجع القائمة فى المزهر للسيوطى[١]).

رسائل وقضايا حول الأصل الاشتقاقى :

هناك كلمات شائكة الدلالة ؛ لأن وجهات النظر تختلف فيها ، وأيسر شىء لدى اللغويين الاشتقاقيين أن يربطوا بين مواد لغوية زعموا أنها اشتقت منها ، وما ذلك إلّا لأنهم فتنوا بالعربية حتى سمت على كل لغات البشر . وأما اللغات الأُخرى غير العربية « فإن القول بأن لها أى فضل يعتبر قولًا منبوذًا عند أهل الملل[٢] »

ومن هذه الصيغ التى ردوها إلى العربية التى اشتقت منها :

(ا) « جَنَّات عَدْن[٣] » فاشتقت من : عَدَنت الإبل بمكان كذا وكذا ، إذا ألفته ولزمته ، ومنه قيل لمعدن الذهب والفضة : معدن ، لأن جوهر الذهب والفضة يثبت فيه لكن الواقع أن (عدن) ورد ذكرها فى سفر التكوين[٤] « وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقًا » فهى علم على مكان[٥] وعن جويبر فى تفسيره المعرّب أنها بالرومية ، وقيل : بالسريانية وفسرت بالكروم والأعناب .[٦] فكيف إذن تشتق (عدن) عند علماء العربية من (عَدَن) بالمكان ، إذا أقام وخلد به !

---

(١) ص ١ - ٣٤٩ .

(٢) كتاب الزينة لأبى حاتم الرازى ١ / ١١ .

(٣) سورة مريم : ٦١ ، وطه : ٧٦ .

(٤) الإصحاح الثانى : الآية ٨ - ٩ .

(٥) كتاب الزينة ٢ / ٢٠١ .

(٦) المتوكلي للسيوطي ٨ ، ٩ (ط دمشق ١٣٤٨ هـ) .

بل يذهبون أكثر من ذلك حيث يقولون : يَعدِن ويَعدُن : لغتان !! فالكلمة ليست عربية حتى يمكن ردها إلى أصل عربي .

(ب) من المعروف فى الدراسات اللغوية المقارنة أن السين فى العبرية والآرامية تقابلها الشين فى العربية ، وقد وردت (سكِّين) فى العبرية ، و (سكِّينًا) فى الآرامية ، والكلمة (سكِّين) دخيلة فى العربية ، انتقلت إليهـا من الآرامية بسينها ، ولو كانت الكلمة أصيلة فى العربية لقيل : (شكين) بالشين[1]

وعلى الرغم من أن الكلمة دخيلة إلَّا أن ابن جنى يشتق منها حيث يقول : « وكذلك سكين إنما هو موضوع لكثرة تسكين الذابح به[2] » .

ومن ذلك قول ابن جنى فى (المِسْك) بأنه فِعْل من « أمسكت الشيء ، كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسّة عليه ، ولا يعدل بها صاحبُها عنه[3] فابن جنى يشتق منه على الرغم من كونه فارسيًّا .

وإذا كان (الإريس) بمعنى الأكار ليست عربية فلا عبرة بالفعل (أرَس) بمعنى : صار أكارا ، لأنه مشتق من الاسم المعرّب[4] .

ومن ذلك صيغة (ميناء) فقد خلطت المعاجم فى أصلها واشتقاقها ومدها وقصرها فبعضها ذكرها فى مادة (مون) أو (مين) لأن الميناء هو مرفؤ السفن حيث تموّن فيه .

واللسان يذكرها فى (وَنى) حيث يقول : وهو مفعال من الوَنَى ، وهو الضعف ، والفتور ، وكأن السفن تنى فيه ، أى تفتر عن سيرها ، والميناءُ يمد ويقصر كذلك . ويرى نفر من الباحثين أن كلمة (مينه) فى المصرية القديمة هى المرسى للسفن ، ورسمها الرمزى عندهم : مركب أو سفينة .

والحفريات والآثار تؤكد أن مصر أول أُمة استخدمت الملاحة والنقل النهرى وإقامة المراسى على الشواطئ ، وما زالت حيث كانت تحمل السفن من مرساها

---

(١) نصوص فى فقه اللغة العربية ١ / ١٨٣ ، دكتور يعقوب بكر — هامش .
(٢) الخصائص ٣ / ٢٦٧ .
(٣) الخصائص ٢ / ١١٨ .
(٤) دراسات مقارنة فى المعجم العربى ٨٦ وما بعدها ، للدكتور يعقوب بكر (بيروت) .

الفول الذى تنتجه أرض الصعيد ، ومثلها كلمة (المنيا) فى الصعيد تحمل اسم : منية الفولى ، منيا القمح ، على بحر مويس ، أو بحر موسى فى الشرقية ، وكانت المرسى التى تحمل منه السفن – محصول القمح فى الدولة القديمة فى : بوبسطه وصا الحجر[1] . فالكلمة ليست عربية ، ومن التعسف أن تردها المعاجم فى الاشتقاق إلى أصل عربى

(ج) وهناك صيغ كثيرة وقع فيها خلاف كبير حول الأصل الذى اشتقت منه ، لاسيا فى الألفاظ المعرّبة :

١ – فالمثزاب ، ومعناه بالفارسية : بُل الماء ، رأى يرى أنه من أصل فارسى ، ورأى يرى أنه من أصل عربى ، ومن دعاة العربيـة ابن فارس ، ومن دعاة الأصل الفارسى الأصمعى

٢ – إبليس ، أصـله يونانى معرّب ، وبعضهم يرى أن الأصل عربى .

٣ – جهنّم ، عبرية الأصل ، وقيل : أصلها عربى[2]

٤ – خِوان ، فارسى ، وحكى عن ثعلب أنه قال وقد سئل : أيجوز أن يقال : إن الخوان سمى بذلك لأنا نتخوّن ما عليه ، أى نتنقّص ؟ فقال : مايَبْعد ذاك[3] .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى قول أبى بكر محمد السرى السراج فى رسالة الاشـتقاق[4] ، فى (باب ما يجب على الناظر أن يتوقاه ويحترس منه) قوله : « ومما ينبغى أن يحذره (الناظر) غاية الحذر أن يشتق من لغة العرب لشىء قد أخذ من لغة العجم ، فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت » ، ويقول ابن جنى فى المحتسب[5] : « وإذا جاز للعرب أن تخلّط فى العربى وهو من لغتها فكيف يكون – ليت شعرى – فيما ليس من لغتها ؟! » .

---

(١) صحيفة الأخبار القاهرية (٣٠ مايو ١٩٧٣م) .
(٢) المعرب للجواليقى ١٠٧ (تحقيق الشيخ أحمد شاكر – دار الكتب المصرية) .
(٣) نفسه ١٢٩ .
(٤) ص ٣١ (ط . دمشق) .
(٥) ص ١ / ٨٠ .

والحقيقة أن دراسة (الأُصـول) تحتاج إلى معرفـة دلالات المـادة فى الساميات وتطورها ، والعرب لم يكونوا على معرفة كاملة لبعض اللغات السامية ، ولهـذا اسـتعانوا بالاشـتقاق لالتماس التخريجات لتلك الألفاظ ، وفسَّروها كما لو كانت عربية محضة كما سبق .

(د) وهناك صيغ كان الأَجدر بها أن تظل بمنأى عن فرع الاشتقاق ، من ذلك :

- قولهم فى الإتباع : شَيْطان لَيْطان ، وخَراب يَباب ، وحَسَن بَسَن ، ، وجائع نائع[1] . والغرض من هذا الإتباع تأْكيد الكلمة الأُولى عن طريق المجانسة الصوتية ، مع مخالفة فى بعض الحروف ، وقد سئل بعضهم عن ذلك فقال : هو شىء نَتِدُ به كلامنا ، أى نقوِّى به كلامنا . ولكن نفرًا من اللغويين حاول جاهدًا أن يأْتى (بأَصل) للكلمة الثانيـة ، ويوضح اشتقاقها ، فليطان – من لاط بقلبى يلوط أى لصق ، كما حاولوا أن يجدوا أصلًا ومعنى لكلمة (بَسَن) وهو من : بَسَّس السويق[2] .

ومِمَّا يؤكد أن الكلمة الثانية لا معنى ولا اشتقاق لها ما جاء فى الجمهرة[3] « قال أبو بكر : سألت أبا حاتم عن (بَسَن) فقال : لا أدرى ما هو » وأبو حاتم بقوله : « لا أدرى » تخلص من التعسف ، وأَمن العثار الذى تردى فيه آخرون حين أَرادوا المخارج فوقعوا وأَوقعوا فى المحارج .

٢ – بل حاول كثير من اللغويين أن يرجعوا أَسماء الأَشخاص والقبائل إلى أُصول لمجرد الاشتراك فى الأَصوات ، ومن هؤلاء ابن دريد فى كتابه (الاشتقاق) وإليك نماذج التقطناها من هذا الكتاب :

(ا) عَكّ – من قولهم : عَكَّ يومنا ، إذا اشتد حره[4] .

---

(١) المنصف لابن جنى ٢ / ٣٢٥ (ط. إحياء التراث) .
(٢) الكافى فى اللغة ٥٥ ، طاهر الجزائرى (ط. كردستان) القاهرة ١٣٢٦ هـ) .
(٣) ص ٣ / ٤٢٩ .
(٤) الاشتقاق ٢٨٧ (ط. وستنفلد) .

(ب) هُجَيْم – من قولهم : هجمت البيت ، إذا هدمته[1] .

(ج) هُذَيل – يقال : هَوْذَل الرجل ببوله ، إذا اضطرب بوله فقد هوذل[2]

ثم نراه يتخبط في الاشتقاق ، ويكثر من الزعم كما في حديثه عن (حمير)[3] مع أن لغة حمير مخالفة للغة مضر وربيعة ولا شك أن كثيرًا من علمائنا حاولوا وتكلفوا وتسكعوا في بُنيّات الطرق ، ذات اليمين وذات الشمال حتى ربما قالوا قولًا في لفظ ،ثم قالوا خلافه في نظيره[4]

(ب) الأصل التاريخى (٥) :

أشرت فى أول الكلام إلى الأُصول المتخيلة تلك التى أخذ بها علماؤنا الصرفيون ثم سرنا شوطًا طويلًا مع الأُصول والفروع فى كثير من أبواب الصرف والعربية ، والحديث الآن عن نوع جـديد وهو (الأَصل التاريخى) والهدف منه أن نقتفى آثار الصيغة فى أطوار حياتها ، وما أصابها عبر التاريخ ، وأرى أن البحث فى مثل هذا أجدى من حديث علماء الصرف فى الأُصول التى تخيلوها فى باب الإعلال وسأكتفى بمثل يسيرة :

١ – ذكر أبو الطيب اللغوى فى كتابه الإبدال أنه يقال : ولد فى الدّفئ . . وطيئ تقول : فى الدَّثَئ – إذا ولد فى الشتاء وقبل الصيف . وأرجح أن الصيغة بالثاء أصل ، ففى اللغات العربية الجنوبية القديمة :دثأ – معناها الربيع أو محصولات الربيع ، وهو معنى (دشأ) و (ديش) فى الأَكدية بمعنى العشب الكثيف . وفى العبرية (دِشِأ) بمعنى العشب الغض وفى أرامية العهد القديم والأَرامية اليهودية (دِتْئا) والثاء فى العربية تكون شينًا فى الأَكدية والعبرية ، وتاء فى الأَرامية[6]

---

(١) الاشتقاق ١٠٨ ، وانظر : مادة عكل وتميم ومهرة بن حيدان وعذره وكندة .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الاشتقاق ٣٠٦ .

(٤) انظر : المزهر ١ / ٣٥٣ ، ٣٥٤ حيث زعموا أن الثوب إنما سمى ثوبا لأنه ثاب ، أى رجع لباسا بعد أن كان غزلا .

(٥) انظر حديثا قيما فى : دراسات فى علم اللغة القسم الثانى ١١٣ فما بعدها دكتور كمال بشر ط دار المعارف بالقاهرة .

(٦) نصوص فى فقه اللغة العربية ٢ / ٢٩٤ ط بيروت . د . يعقوب بكر .

٢ – يقول السيرافى فى شرحه على الكتاب[1] « كلمة ست فى العدد أصلها سدس ودعاهم إلى ذلك كثرة استعمالهم إيَّاه فى كلامهم ، ولأَن السين مضاعفة وليس بينهما حاجز قوى ، والحاجز أيضًا محرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينًا فتلتقى السينات ، ولم تكن السين تدغم فى الدال لما ذكرت لك فأَبدلوا من السين أشبه الحروف بها من موضع لئلا يصيروا إلى أثقل مِمَّا فروا منه إذا أدغموا ، وذلك الحرف التاء كأَنه قال : سِدْتٌ – ثم أدغموا الدال فى التاء[2] .

أما النظرة الحديثة فترى أن الأصل : سدث – كما هى فى اللغات اليمنية القديمة والأَجريتية شبهت الدال بالثاء بالانقلاب إلى الهمس بدل الجهر ، وشبهت الثاءُ بالدال بالانقلاب إلى الشدة بدل الرخاوة فصار الحرفان تاءين وأُدغمت التاءُ فى التاء ، فالدال شديدة مجهورة والثاءُ مهموسة رخوة ، والتاءُ شديدة مهموسة فقلبت الدال تاءً لتتشابه مع الثاء فى الهمس ، وقلبت الثاءُ تاءً لتتشابه مع الدال فى الشدة .. والسين النهائية فى سادس كانت ثاء ... وقد قلبت سينًا لتتشابه مع السين الأُولى ، وكلاهما – مهموس رخو .

٣ – ورد عن أبى عبيدة عن يونس : أن أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون النبى عليه الصلاة والسلام ، والبرية ، والذرية[3] . وزاد ابن سيده كلمة أُخرى وهى : الخابية[4] فالعرب تركت الهمز فيها إلَّا أهل مكة ، فإنهم يهمزون هذه الأَحرف ، ولابد قبل الحكم عليها من تحليلها : فالبرية : معناها الخلق وهى من برأ الله الخلق ، فأَصلها على ذلك الهمز ، وقد تأْخذ من البرى – وهى

---

(١) ٦ / ٥٩٣ مخطوط بمكتبة تيمور رقم ٥٢٨ نحو .
(٢) انظر الكتاب ٢ / ٤٢٨ ط أولى .
(٣) إصلاح المنطق ١٥٩ .
(٤) المخصص س ١٧ / ١٥٣ ، س ١٤ / ٨ .

التراب ، فأصلها غير الهمز والياء أصلية[1] .

والنبي : أصله من النبأ وقد جمع على : نبئاء فأصله الهمز ، وينقل ابن سيده عن سيبويه قوله : وليس أحد من العرب إلّا وهو يقول : تنبأ مسيلمة . ولكن كيف يتفق هذا (أى أن الأصل فيه الهمز) مع ما روى من أن رجلًا قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) : يا نبيءَ الله - بالهمز ، فقال له : لا تنبر باسمى : أى لا تهمز[2] ، وقد يكون الرسول إنما كره (النبيء) بالهمز ، لأنه توهم أنه من : نبأ من أرض إلى أرض ، والمعنى : يا من خرج من مكة إلى المدينة على غير وجه التكريم . على أن شبهات حامت حول هذا الحديث[3] ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع من ينشده :

يا خاتم النبئاء إنّك مرسل
بالحق كل هدى السبيل هداكا

ولم يعترض على هذا . وفى شرح المفصل[4] : أن التخفيف لازم لكثرة الاستعمال بحيث صار الأصل (الهمز) مهجورا . وبعضهم يرى أنه من النباوة ، أى الرفعة ، فلا يكون على هذا أصله الهمز ولا تخفيف فيه ، ومن الذى أصله الهمز (الذرية) إذا أخذت من ذرأ الله الخلق ، فإن أخذت من الذرّ والياء للنسب ، فلا تكون الهمزة فيها أصلية[5] .

٤ - ترعة : الباب بالسريانية ، ثغر : أى فمّ ، واشتقاقه من : ثَغره يثْغَره بمعنى شقّه . وهما من أصل واحد فالثاءُ فى العربية تقابل التاء فى الآرامية والشين فى العبرية ، فالمادة العربية (ث غ ر) تقابل العبرية (شَ عَ رَ) ، أى باب والآرامية (ت ع ر) ومدلول المادة فى الساميات : الباب أو الفتحة أو الشق . وفى اللسان : (ترع) « إن منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة » حديث شريف . والترعة : الباب . والصيغة الآرامية تحولت بالقلب

---

(١) اللسان ١ / ٢٢ .
(٢) اللسان ٧ / ٤٠ .
(٣) الإتقان للسيوطى ١ / ١٠٠ ط حجازى .
(٤) انظر ٩ / ١٠٩ .
(٥) انظر المخصص ١٤ / ٨ ، اللسان ١ / ٣١ .

المكانى إلى (ت ر ع) ، وألحقت بهـا الفتحة الطويلة للتعريف فصـارت (ت ر ع ا) ، وفى العربية حسبنا أن الفتحة الأخيرة التى على العين هاء تأنيث وعاملناها على ذلك ، مع أنها فى الأصل علامة التعريف[1] .

٥ـ ركْبة ـ نراها فى الأكدية birke ، وفى العبرية בֶּרֶךְ bérek ، وفى الآرامية burkā ، وفى الحبشية[2] berk لكن العربية آثرت الصيغة المقلوبة (ركبة) وهى الفرع ، وأعرضت عن الأصل (بركة) بدليل قولنا فى العربية (برك الجمل)[3] . ويلاحظ أن معرفة الأصل والفرع لا يكفى فيها فحص (المادة) وحدها كما تقدم من الأمثلة ، بل لابد من ملاحظة (الدلالة) وتتبعها على مدى التاريخ الطويل إذ المعنى عنصر أساسى عبر عنه الإنسان بهذه الألفاظ والأصوات .

فالاعتماد على المعنى فى معرفة الأصل والفرع ـ من الأهمية بمكان لا يقل ، إن لم يزد ، عن الاعتماد فى الاقتصار على معرفة الألفاظ والأصوات وحدهما فى ذلك ، فالمعنى إذا كان عامًا مبهما كان ذلك دليلًا على أن اللفظ ضارب فى القدم سابق .

أما أنواع التخصص فى المادة والتأنق فيها فى خيال الإنسان لمعنى لاحق ، وطور متأخر ، خذ مثلًا كلمة (اللبن) فتخيل الإنسان لها يجب أن يكون أقدم من تخيل الفروق بين أنواع اللبن ، من : السملج[4] (الحلو الدسم) والسامط (ذهبت عنه حلاوة الحليب ولم يتغير طعمه) والقوهة (تغير قليلًا وفيه حلاوة) والممحل (إذا أخذ شيئًا من طعم) والخامط (إذا أخذ شيئًا من رائحة) والهجيمسة (يحقن فى السقاء الجديد ويشرب قبل أن يحمض) ومن ذلك أيضًا كلمة الخاثر ـ فهو أقدم من تخيل الفروق بين أنواع الخاثر من العكلط أو العثلط (خثر جدًا أو تكبد) والملهاج (لم تتم خثورته) ، والمبحثر (تحبب وانقطع) والهادر

(١) علم اللغة بين التراث والمناهج ٨٧ د. محمود حجازى المكتبة الثقافية القاهرة.

(٢) التطور النحوى ص ٢٢ برجشتراسر.

(٣) يقول الأب أنستاس الكرملى : وقالوا : الركبة وكان الحق أن يقال : البركة ؛ لأنهم اشتقوا منها : برك ولم يقولوا : ركب . نشوء اللغة العربية ١٠٦ ط العصرية بمصر.

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٢٢ من مقال للدكتور محمد كامل حسين.

(خشر أعلاه وأسفله دقيق) والإدل (تكبد ولم ينقطع) والممذقر (الماء ناحية واللبن ناحية) والمطثر (علا زبده وخشوره) والهجيمة (الخاثر من لبن الشاة) والروب (الخاثر لم ينزع زبده) والمظلوم (ما يشرب قبل الروب) .

فكل هذه المعانى من تحصيص وتحديد وحضارة نشأت فى طور متأخر عن معنى (اللبن) وهو المعنى العام ، ولعل بعض المتخصصين والمتفننين فى صناعة الألبان كان يخفى عليه بعض هذه الأنواع للبن ، فقد حكى ابن خالويه عن نحوى بغيض كان يتكلم بالإغراب إلى بائع اللبن يريد لبنًا غليظًا فقال : يا لبَّان ، أعندك لبن عثلط علبط عجلط[1] ؟ فقال له اللبَّان : تنصرف أو تصفع ؟ أو ربما بعضنا ممن نشأ فى المدن لا يعرف معنى كلمة (شرش) وهى نوع من اللبن أيضًا

وبهذا كله يكون فهمنا أكثر اتساقًا مع الواقع اللغوى ، واعتمادًا على التحليل العلمى ورعاية لظروف التطور التاريخى ، والساميات أخوات العربية

٦ – إن كثيرًا من الظواهر اللغـوية تسربت من الساميات إلى العربيـة ، ونعرض هنا ظاهرة واحدة تتصل بالأصل التاريخى لضمير المتكلم :

١ – فى كتاب تاريخ صنعاء لإسحاق ابن جرير الصنعانى[2] أن أم وهب بن منبه قالت لابنها : رَأَيْتُ بنحلم كولْدكُ ابنًا من طيب[3] .

٢ – وفى الجزء الثانى من الإكليل :

إنى سمعة (أو شمعة) بنت ذى مراثد
كُنْكُ إذا وحمك[4]

٣ – روى الأصمعى ، قال الفرزدق :

---

(١) العثلط أو العكلط : ما خثر من اللبن أو تكبد

(٢) لوحة ١٦٧

(٣) الطيب : الذهب بالحميرية والمعنى : قالت : رأيت فى الحلم كأنى ولدت ولدا من طيب .
Rabin Ancient West Aralian p, 48,

(٤) والمعنى : كنت إذا اشتهيت .

رأيت أعرابيًّا بمكة ومعه عجوز وغلامان وهو يقول :

(أنْكَ وَهَبْكَ زائدًا ومزيدًا)[1]

والعجوز تقول : إذا شِئْكَ إذا شِئْكَ !

٤ – وروى أبو زيد : سمعت أعرابيًّا يقول لآخر : سُؤْكُ بك ظنًّا[2]

٥ – وروى ابن قتيبة[3] : أنّ سحيمًا عبد بني الحسحاس الشاعر العربي المخضرم كان إذا أُنشد شعرًا جيدًا يقول أحسنك[4] والله

٦ – يقول ابن جني : وأنشدنا أبو علي .

يابن الزبير طالما عَصَيْكا

وطالما عَنَّيْتَنَا إليكا

* لنضربَنْ بسيفنا قَفَيْكا[5] *

وفي نوادر أبي زيد[6] أن الأبيات لرجل من حمير وفي إبدال أبي الطيب[7] :

(وطالما دَعَوْكنا إليكا)

أي دعوتنا

وتحليل هذه الشواهد :

(١) أن بعض اللغات السامية كانت تستخدم الكاف ضميرًا متصلًا للمتكلم المرفوع ، وقد بقي ذلك الاستعمال وعاش في اللغات : الأكادية والحبشية والحميرية كما تصورها الكتب العربية وفي بعض لهجات جنوب بلاد العرب الحديثة ، كالمهرية والشحارية والسقطرية والبوتاحادية والحرسوسية ، وكذلك في قضاء حراز غرب صنعاء ، وقضاء الطويلة شمال غرب صنعاء كما أن بعض الجماعات السامية الأخرى استخدمت الكاف ضميرًا متصلًا للمخاطب المرفوع قياسًا على كاف المتكلم ثم فرقت بينهما بالحركات فضمّت كاف المتكلم في الفعل الماضي ، وفتحت كاف المخاطب .

(١) والمعنى : أنت وهبت زائدا ومزيدا ، وإذا شئت ، إذا شئت إبدال أبي الطيب ١ / ١٤١ .
(٢) والمعنى : سوّت .
(٣) الشعر والشعراء ٢٤١ .
(٤) يعني : أحسنت (سر الصناعة ١ / ٢٨١) .
(٥) خزانة الأدب ٤ / ٤٢٨ (تحقيق عبد السلام هارون) .
(٦) ص ١٠٥ .
(٧) ص ١ / ١٤١ (تحقيق عز الدين التنوخي – دمشق) .

وبعض الجماعات السامية رأت أن هذه الكاف التي كانت تستخدم للمتكلم المرفوع تلتبس بكاف المخاطب فاستغنوا عنها ، واستخدموا التاء كضمير متصل مرفوع للمتكلم ، وحركوها بالضم للتفرقة بين المتكلم والمخاطب . أما العربية ـ فجانست بين المتكلم والمخاطب فاستخدمت التاء للمتكلم والمخاطب مضمومة للمتكلم ، ومفتوحة للمخاطب[1] .

(ب) ويعلل ابن جني لذلك فيقول : أبدل الكاف من التاء لأنها أختها في ـ الهمس[2] ، ويقول الأخفش : إن شئت قلت : أبدل من التاء الكاف لاجتماعها معها في الهمس ، وإن شئت قلت : أوقع الكاف موقعها وإن كان في أكثر الاستعمال للمفعول لا للفاعل ، لإقامة القافية . وقال ابن هشام : ليس هذا من استعارة ضمير النصب مكان ضمير الرفع كما زعم الأخفش وابن مالك ، وإنما الكاف بدل من التاء بدلًا تصريفيًا[3] .

(ج) يرى بعض علمائنا المحدثين أن تعليل علماء العربية القدامى لوقوع الإبدال بين التاء والكاف غير صحيح : إذ الكاف من أقصى اللسان . والتاء من بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ، ولا نعرف في الساميات التبادل بينهما[4] .

(د) أن الكاف هي الأصل في تاريخ الجماعات السامية القديمة للمتكلم ، والمخاطب ، والدليل على ذلك أنه لو كانت التاء هي الأصل لافترضنا أنها قلبت كافا في بعض اللغات السامية بغير علة مفهومة أما إذا كانت الكاف هي الأصل فهمنا سبب إبدالها تاء بسهولة وهو : أن التاء موجودة في المخاطب فأدخلوها على المتكلم أيضًا قياسًا على المخاطب ، ويؤكد ذلك أن الكاف لا تزال على حالها في بعض

---

(١) ضمير المتكلم المرفوع . د . خليل نامى ــ فصلة من مجلة كلية الآداب م ١٩ ج ١ .

(٢) سر الصناعة ٢٨١ .

(٣) الخزانة ٤ / ٤٢٩ .

(٤) دراسات في اللغة العربية ٨٦ د . خليل نامى (دار المعارف) ولكني أرى جواز التبادل بين التاء والكاف لاتحادهما في الصفة وهي : الشدة والإصمات والانفتاح والهمس والاستفال ، وإن اختلفا مخرجا ، أما القول بالتبادل بينهما هنا بين الضميرين التاء والكاف فلا أراه لما سبق تعليله .

اللغات السامية[1] ، وأن الضمير الأصلى فى أقدم اللغات السامية هو (كو) ، وليس (تو) .

أما علماء العربية القدامى فيرون أن (التاء) هى الأصل ، وأنها قلبت كافًا ، وعذرهم فى ذلك أن الدراسات المقارنة لم تظهر فى زمنهم ، بدليل أنهم كانوا يصفون هذه الظواهر بقولهم : هى لكنة أجنبية !

٧ـ ومن الأصول اللغوية التاريخية التى التى لم يحالف علماء العربية التوفيق فيها أنهم عندما وجدوا صيغًا مختلفة عن الفصحى من مثل : (هوىّ) بدلًا من هـ واىَ ، و (قفىّ) بدلًا من قفاىَ ، و (عَصَىّ) بدلًا من عصاىَ ، و (فتَىّ) بدلًا من فتاىَ ، و (بُشرىّ) بدلًا من بُشراىَ ، و (مَحيىّ) بدلًا من محياىَ ، و (هدىّ) بدلًا من هداىَ فى لهجة هذيل عللوا ذلك بقولهم : إن الألف انقلبت إلى الياء فى لهجة هذيل .

وقد وردت للهجة شواهد شعرية كثيرة[2] وأيدتها قراءات قرآنية[3] ، ولهذا يصفون هذه الظاهرة بالجواز مرة ، وبالحسن مرة أخرى[4] .

ومفاد كلام النحاة أن الألف هى الأصل القديم فى الكلمات السابقة ، وأن الياء تطورت عنها ، ولا نوافق النحاة على رأيهم لما يأتى :

١ ـ أن العكس هو الصحيح ، والياء هى الأصل التاريخى ، لوجودها فى كثير من الكلمات قبل أن تتطور تلك الياء إلى الألف ، ومما يؤيد ذلك أن بعض القبائل العربية كانت تقول : هذه أفعوْ ، وبعضها يقول : هذه أفعىْ ، وآخرون ينطقونها : أفعأ بالهمز[5] . ويؤكد ذلك ما روى عن

---

(١) الفلسفة اللغوية : جرجى زيدان ١١٨ هامش (دار الهلال) .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٢، وشرح ابن عقيل ٢/ ٧٣ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١ / ٥ فا بعدها (والبحر المحيط ١ / ١٦٩ ، وحاشية الأمير على المغنى ٢ /٩٧، وجمهرة ابن دريد ٣ / ٤٨٨ ، والمحتسب لابن جنى ١ / ٤١٧ ، مخطوط بالتيمورية رقم ٣٧٩ تفسير .

(٣) انظر : مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٥ ، ٦٢ ، والبحر ٤ / ٢٦٢ ، ٥ / ٢٩٠ .

(٤) شرح التسهيل لابن مالك ٤٦ ط مكة ، وحاشية الصبان على الأشمونى ٢ / ١٨٥ (ط الميمنية) .

(٥) الكتاب ٢ / ٢٨٧ (بولاق) وشرح السيرافى على سيبويه ٥ - ٤٤٠ (مخطوط بالتيمورية رقم ٥٢٨ نحو وشرح الحماسة للمرزوقى ٨٢٩٢ ، والهمع ٢ / ٢٠٦ ، وشرح التصريح ٢ / ٣٣٩ ،

ابن عبّاس رضى الله عنهما حين قيل له : إنى قتلت حيَّة وأنا محرم ، فقال : هل نهشت إليك ؟ قلت : لا ، قال : لا بأْس بقتل الأَفعوْ ، ولا برمىْ الحدوْ[1] .

وهذا هو الطور الأَول من أَطوار النطق والأَصل التاريخى له ، ثم تطور فى — الفصحى إلى الأَلف فصار : أَفعَى ، عصَا ، قفَا ، فتَى . ومعنى هذا أن الفصحى — تخلصت من صوت اللين المركب Diphthong وهو au (أَوْ) و (ai) (أَىْ) إلى الفتح (ā) .

٢ — أنّ الصفويين لم يكونوا ينطقون بنهاية هذه الأَفعال مثل (بكَى ونجَى ، وأتَى ورعَى وبنَى) أَلفًا ، وإنما كانوا ينطقونها ياء فيقولون : بكْى ورعْى ، وأتى[2] . وهذا يؤكد أَصالة الياء[3] ، عكس ما رآه النحاة حين قالوا بأَصالة الأَلف .

(ج) فى تاريخ الصيغ :

أولا : إن اللغة العربية ليست بدعا بين اللغات ، فهى تتطور وتتغير بفعل الزمن على أَلسنة المتكلمين بها ، وحسبنا أَن نثبت ذلك من خلال ما سمّى بصيغة (الافتعال) فهى تتأَثر بالأَصوات المجاورة لها ، لتيسير عملية النطق ، والدليل على ذلك :

(أ) أن بعض العرب يقول : قد

---

(١) الفائق فى غريب الحديث ١ / ١١٩ جار الله الزمخشرى (دار إحياء الكتب العربية ط . أولى) .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٧ — ٢٥ د . جواد على .

(٣) والدليل على ذلك وجود هذا الأصل القديم فى الحبشية الجعزية وهى لغة سامية ففيها : صحو تلو رمى فى : صحا وتلا ورمى وهذا هو الطور الأول أما الطور الثانى : فسكون هذه الحركة للتخفيف فى مثل : أفعى وقد تنبه إلى ذلك ابن جنى (فى الخصائص ٢ / ٤٧١ فما بعدها) هذا ومن الرجز الذى يصور الطور الثانى ما ورد فى (المحتسب ١ / ٦٨ بالتيمورية) من قول الراجز :

* إن لطى نسوة عند الغضى *
* يمنعهن الله ممن قد طغى *
* بالمشرفيات وطعن بالقنى *

وهذا الطور كان يشيع فى قبائل عربية قديمة (انظر : كتابنا اللهجات العربية فى التراث ٢ — ٤٩٨ ط تونس ، ومقالين أحدهما للدكتور رمضان عبد التواب ، والثانى لى فى الدورة ٤٦ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة بلجنة اللهجات والطور الثالث : تطور الحركة المركبة السابقة إلى حركة الإمالة أما الطور الأخير من تطور الأسماء المقصورة ، والأفعال الناقصة والجوفاء فهو التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص فى العربية الفصحى .

اتغر ، وبعضهم يقول : قد اثغر — بالثاء[1] ، ولتكسير هـذا التطور نرى أن الأصل : اثتغر — اجتمعت والتاء وهما مهموسان ولا يجمع بين عملتين متناقضتين ، إذ النطق بالثاء يقتضى الصفير ، وبالتاء يقتضى الانفجار ، فانتقل مخرج الثاء إلى التاء ، وبهذا اتحد الصوتان فى الشدة والمخرج والهمس ، فتم الإدغام ، وصارت (اتغر) بالتاء ، وذلك أيسر لأن فيها اقتصادًا فى الجهد العضلى . ويشبه ما سبق ما جاء عنهم من : أتثر واثثر[2] .

(ب) ما روى عنهم من قولهم : عليك بأبوال الظباء فاصّعطْها ، فإنها شفاء للطحل[3] » . وقد اجتمع فى الصيغة صوتان مهموسان : الصاد والتاء ، فقلبت التاء إلى نظيرها المطبق وهو الطاء فصارت « اصطعط » ثم زاد تأثر الطاء بالصاد فصارت « اصعط وهى أيسر ؛ لعمل اللسان فيها من وجه واحد ، فأوجد صيغة أيسر ، ومما يلاحظ أن بعض هذه الصيغ يمثل فترة زمنية أقدم من الصور الأُخرى من ذلك :

صيغتان من صيغ الأفعال وردتا بصورتين مختلفتين وهما « اتفعل واتفاعل ، إلى جانب : اتفعّل واتفاعل . والصيغة الأُولى هى القدمى ، وورد منها فى النصوص القديمة والتراث والقرآن الكريم الكثير من مثل قوله تعالى : « وما يتذكر إلا من ينيب » « ثم دنا فتدلى » فمن تصدّق به فهو كفارة له » « قالوا تقاسموا بالله » كما ورد من الصيغة الثانية وهى الأحدث قوله تعالى : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت »، « بل ادّارك علمهم فى الآخرة »، « اثّاقلتم إلى الأرض » بل إن الصيغتين القدمى والمتطورة نجدهما فى نص قرآنى واحد فى قوله تعالى : « ليدّبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب »

---

(١) معانى القرآن للفراء ١ / ٢١٥ دار الكتب .
(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ١٩٠ لابن جنى .
(٣) معانى القرآن ١ / ٢١٦ دار الكتب .

وذلك يؤكد أن التطور فى الصيغ لا يظهر فجأة ، ولا يقضى على القديم بين عشية وضحاها[1]

ومثل هذا التطور نلمحه فيما يروى من قراءات قرآنية : « وادّكر بعد أمة[2] ، وقراءة الحسن بالذال[3] . وما ؛ تدّخرون فى بيوتكم[4] » ، وقراءة أخرى « بالذال »[5] وما رواه الكسائى عن بعض العرب : « الطريق ياتّسق وياتّسع[6] ، وما روى عن الشافعى فى الرسالة[7] : وأخرى موتفقة ، وقوله وتختلف سننه وتاتفق[8] ، وقوله ايتفق المقايسون فى أكثره[9] . وهذه الصيغ السابقة فى الفصحى نراها على الترتيب :

يتّسق ويتّسع ، متفقة ، تتّفق ، اتّفق . وهى متطورة عن الصيغ القديمة السابقة ، وعلل بعض الباحثين[10] الصيغة التى أبدلت فيها الواو والياء ـ تاء بقوله : لأنهم لو أقروها لتلاعبت بها حركات ما قبلها فكانت تكون بعد الكسرة ياء وبعد الفتحة ألفا ، وبعد الضمة واوا ، فلما رأوا مصيرها إلى تغيرها لتغير أحوال ما قبلها ـ أبدلوا منها حرفا يلزم وجها واحدا ـ وهو التاء كما يلاحظ فى قانون التطور إنْ أثر الصوت الأول فى الثانى فالتأثر (مقبل) وإن حدث العكس فالتأثر (مدبر) ، كما قد يكون التأثر (كليا) أو (جزئيا).وقد يسميه بعضهم (تقدميا) أو (رجعيا)

---

(١) التطور اللغوى : للدكتور رمضان عبد التواب،مقال له فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ٣٣ .
(٢) يوسف ٤٥ .
(٣) إتحاف فضلاء البشر ٢٦٥ .
(٤) آل عمران ٤٩ .
(٥) تفسير الطبرى ٦ / ٤٣٦ تحقيق محمود شاكر .
(٦) سر الصناعة ١ / ١٦٥ .
(٧) ٢١١ .
(٨) الرسالة ٣١ ط أولى تحقيق الشيخ أحمد شاكر .
(٩) المرجع السابق ٤٧٩ .
(١٠) الجاسوس على القاموس ٥٣٥ ط الجوائب ١٢٩٩ .

وما سبق يؤكد لنا مسار الصيغ وتطورها بين الأجداد والأحفاد ، ويقوى منافذها ومسالكها بين السالفين والخالفين .

ثانيا : ما جاء فى كلمة (الأم) وسأتجه فيها إلى القرآن الكريم وقراءاته :

(أ) فى قوله تعالى : ١ - وإنه فى أم الكتاب [1] » .

فى قوله تعالى ٢ - حتى يبعث فى أمها رسولا [2] .

» ٣ - فلأمه السدس [3] »

» ٤ - « فلأمه الثلث [4] » .

» ٥ - (من بطون أمهاتكم [5] ».

» ٦ - فى بطون أمهاتكم [6] » .

فى قوله تعالى ٧ - « فى بطون أمهاتكم [7] » .

» ٨ - « أو بيوت أمهاتكم [8] »

(ب) ومنه فى الأثر قول من روى عن النبى صلى الله عليه وسلم (أوصى امرأ بإمه [9] . فقرأ الأخوان [10] ، وحمزة الكسائى [11] بكسر همزة (إم) وصلا ، كما كسر الهمزة والميم همزة فيما إذا أضيف إلى جمع ، وذلك فى آيات النحل والزمر والنجم والنور ، وكسر الكسائى الهمزة وحدها ، وذلك فى الوصل أيضاً [12] والسبب فى كسر الهمزة يرجع إلى ظاهرة المماثلة حيث وجدت الهمزة فى الآيات السابقة مسبوقة بكسرة أو ياء ، والياء من جنس الكسر ، فلو لم تكسر لصعب الانتقال من كسر

---

(١) الزخرف آية ٤ .
(٢) القصص آية ٥٩ .
(٣) النساء آية ١١ .
(٤) النساء آية ١١ .
(٥) النحل آية ٧٨ .
(٦) الزمر آية ٦ .
(٧) النجم آية ٣٢ .
(٨) النور آية ٦١ .
(٩) معانى القرآن للفراء : ١ / ٥ - ٦ دار الكتب .
(١٠) البحر ٣ / ١٨٤ .
(١١) إرشاد المريد على إبراز المعانى ٢٨٥ .
(١٢) النشر ٢ / ٢٤٨ .

وشبهه إلى ضم ، وهـذا معنى قول الفراء : « فاستثقل ضمة قبلها ياء ساكنة أو كسرة[1] » .

واشتراطهم حالة الوصل لكسر الهمزة يؤكد ظاهرة المماثلة عند هؤلاء القراء ، بدليل إن وقفت على حرف الجر ، ضممت الهمزة بلا خلاف ، إذ لم يبق قبلها ما يقتضى كسرها .

وقد نقل أبو جعفر النحاس حكاية عن سيبويه أن كسر الهمزة مما سبق لغة كثير من هوازن وهذيل[2] ، وقد أكد هذا العزو ـ أبو حيان إلا أنه عزا الرواية إلى الكسائى والفراء[3] ومن الثابت المقـرر أن هوازن مالت إلى عدم الانسجام[4] فى الضمائر ،فما بالها هنا مالت إليه ؟

وتخلصا من هذا التناقض أعرض اقتراحين :

أولهما : أن هوازن كانت فى الأصل حلفا ضم جملة قبائل مختلفة[5] مفرقة على وجه الجزيرة العربية ، ومادام الأمر كذلك فليس من العسير أن تختلف قبائلها المتناثرة فى هـذه الظاهرة . يؤكد هذا حكاية سيبويه فيما سبق وأنها « لغة كثير من هوازن » فيفهم من قيد الكثرة أن قلة منهم كانت تتخالف لهجتهم مع ما عليه الكثرة .

ثانيهما : أن الكسائى سمع شيخاً من هوازن يقول : عليهُ مال ، وكان يقول : عليهم وفيهم وبهم « يضم الضمير[6] » ويفهم منه ضمنا أن لهجة الأبناء فى هذه القبيلة كانت تجنح إلى المماثلة فى حين أن لهجة الأشياخ ـ الذين يؤثرون المحافظة ـ كانت تفر منها ، وإلا فما معنى التخصيص بسماعه من (شيخ) ؟ وهـذا يوضح لنـا مسار اللغـة

---

(١) معانى القرآن للفراء : ١ / ٥ ـ ٦ .
(٢) إبراز المعانى ٢٨٦ .
(٣) البحر ٣ / ١٨٥ .
(٤) اللسان ٢ / ٣٦٨ .
(٥) تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ / ٣٢١ .
(٦) اللسان ٢ / ٣٦٨ .

ومناخها بين الأجداد والأحفاد، والسالفين والخالفين فى الظاهرة الواحدة .

(د) الأصل ومدى صلته بظاهرة الشذوذ :

على أن هذا الأصل التاريخى يمكن أن يتعرف عليه من خلال ما سماه علماء العربيـة (بالشاذ) تارة أو (الضرورة) تارة أخرى .

وقد جمعت قدرا صالحا من (الشذوذ الصرفى ، ومن الضرائر فيه ، لنرى فيهما الأصل الحقيقى لسير الصيغ : كما نرى من خلال الصيغة معلة تارة أو مصححة أخرى أو مضطربة أحيانا . نرى ونلمس التدرج اللغوى صاعدا على سلم الارتقاء ، أو منحدرا متجمدا – يمثل بقايا مرحلة سالفة .

ولعل كثرة الشذوذ ، وتردد هذه الكلمة فى أبواب الصرف وغيره يرجع سببها إلى أن علماءنا القدامى كانوا يعتقدون أن العربيـة خلقت ففهموا أن كل تطور ينالها إنما ينشأ عن ضعف أو انحراف أو شذوذ – وليس كذلك ، إنما يمثل هذا الشذوذ مرحلة من مراحل حياة الصيغـة ، لم تتطـور تطـورا كاملا ، بل بقيت متجمدة فى إحدى مراحلها فوسمت بالشذوذ عندهم ، ولكن هذا الشذوذ منبهة على أصلها ودليل على أولية حالها ، وهو يشير إلى بقايا من تاريخ الكلمة لا يصح أن نهمله أو نظلمه بالحيف والجور لأنه يمثل بيئة لغوية ، وهذا المنهج الذى اتبعناه يخالف منهج الأقدمين الذين يرون أنه : لا ينبغى أن يلتفت إلى شواذ الأشياء (عبث الوليد للبحترى)

ومثل ذلك ما جاء فى الاقتراح ، للسيوطى ص ٢٩ ط الثانية : « إن الشـاذ ونحوه يطرح طرحا ولا يهتم بتأويله » . والحقيقة التى عومل بها الشاذ أنه إذا كانت الشواهد عليه كثيرة وافرة – دخل فى اللغة الفصحى ، وإن كانت الشواهد عليه قليلة بقى شاذا دون أن يفتح له المشرعون مكانا فى كتب الصرف وغيره ، وأياما كان فالشاذ أقدم عهدا ، وأثبت نسبا من الصيغ الجارية على القواعد الصحيحة التى وضعها العلماء . والذى يهمنا فى هذه الدراسة ، وذلك المنهج الجديد أن نربط هـذه بين الشواذ بحيث

تتواكب وتتواخى فى سلم ارتقائى واضح مترابط ؛ إذ الثابت أن التطور حقيقة فى اللغات يميت صيغا وينشئ أخرى غيرها ، ثم تبقى بقايا لما أميت ، ومن النص الآتى يتضح هـذا : كلمة (مطلع) وردت بالكسر والفتح ـ والقياس الفتح (شرح السيرافى ، ٥ ـ ٢٧٩) أما قياس الكسر فهو أن يكون المضارع تطلع ـ بكسر اللام » وكان الكسائى يقول : هذه لغة ماتت فى كثير من لغات العرب ، يعنى ذهب من يقول : تطلع بكسر اللام ، وبقى مطلع ـ بكسرها فى الزمان والمكان على ذلك القياس (البحر ٦ ـ ١٦١) وصيغة الكسر مع أنها خارجة على قياسهم لكنها لهجة معترف بها فى تميم وقرأت بها القـراءة فى (حتى مطلع الفجر) بالكسر .

وسأعرض أمثلة لما يسمى بالشاذ فى باب (الإعلال[*]) وقوة دلالته على الأصل ، وعلى أولية الكلمة .

أولا : نوع أعل وقياسه التصحيح

مصائب	قياسه مصاوب	(لأن المد فى المفرد أصلى فلا يعل فى الجمع بالقلب همزة) .
معائش	وقياسه معايش	(لأن المفرد معيشة فالمد أصلى) .
ناقة عليان	قياسه علوان	(لأن الواو فى كل قلبت ياء ولم تقع بعد كسر) .
وصبية وصبيان	وقياسه صبوة	
من العلو والصبوة	قياسه صبوان	
ثِيرة جمع ثور	وقياسه ثِوَرة	(لعدم الألف بعد الواو فى الجمع)

طيال[1] جياد وقياسه طوال وجواد (لأن الواو أعلت فى الجمع مع أنها فى المفرد (طويل) ليست معلة ولا شبيهة بل متحركة

قرأ بعضهم :

« للريّا تعبرون » وقياسه للرؤيا (بقلب الواو ياء مع أنها عارضة غير بالتشديد أصيلة)

أنا الليث معدّيا وقياسه معدوّا (لأن الماضى على فَعَل – بفتح العين فالواجب تصحيح الواو)

فما أرق النيّام إلّا كلامها وقياسه النوام (لأن الجمع على فعال والواو لاتقلب ياء فيه فتصح فيه الواو) .

اجلياذ وقياسه اجلوّاذ (لتشديد الواو) .

ديوان وقياسه دوّان (لتشديد الواو) وجمع ديوان – دواوين ودياوين (إبدال أبى الطيب ٢/٤٧٤) ولعل هذا الجمع الأخير تجمد فى دور التهذيب .

داران هامان وقياسه دوران/هيمان (لأنْ فى آخر الاسم زيادة خاصة

جالان سالان وقياسه جولان/سيلان بالأسماء لكن أعلت شذوذًا) .

صيار وصيان[2] وقياسه صوار وصوان (لأن الواو وإن وقعت بين كسرة وألف لكنها ليست عين جمع بل هى عين مفرد)

---

(١) تبين لى أن القماءة ذلـة وأن أعزاء الرجـا طيـالهـا (المفصل : ٣٨١)

كما وردت رواية أخرى (طوالها) ابن يعيش ١٠ / ٨٩ محقق .

(٢) صيار : القطيع من الإبل والشاء .

صيان : ما يصان فيه الثياب .

ثانياً : نوع (صحيح) وقياسه (الإعلال)

ثوب مصْوون وقياسه مصون

ثوب مخْيوط وقياسه مخيط

(والتصحيح جائز عند تميم شاذ عند غيرهم)

خَوَنة جمع (خائن)	وقياسه خان	لعدم قلب الواو ألفاً مع استيفائها شروط الإعلال .
حَرَكة جمع (حائك)		لعدم قلب الواو ألفاً مع استيفائها شروط الإعلال
مَرْيَم	وقياسه مرام	استحقت الإعلال بالنقل لاستكمالها الشروط لكنها لم تعل .
جمع حاجة (حِوَج)	وقياسه حِيَج	استوفت شروط الإعلال ولم تعل .
مِقْودة	وقياسه مَقَادة[1]	
مِكوزة	وقياسه مَكازة	
مدْين	وقياسه مدان	
مَوظَب، مَوْرَق، موهَب	وقياسه كسر العين مثل : الموضع والموعد	
سقاية	وقياسه سقاءة	لأن الياء تطرفت حكماً بعد ألف زائدة والتاء غير لازمة ، ولم تقلب همزة ، والقياس سقاءة .

---

(١) ومن أمثال العرب (إن الفكاهة مقودة إلى الأذى) .
المنصف لابن جنى ١ / ٢٩٥ .

حَيِىَ . عَيِىَ　　وقياسه حَاىَ عَاىَ يقتضى قلبها ألفاً . لأنه مضعف يائى فيه الياء الأولى متحركة مفتوح ماقبلها . كما يقتضى قلبها ألفاً فى مضارعه . لأن كل أجوف من باب (فعل) بكسر العين قلبت عينه فى الماضى ألفاً تقلب عينه فى المضارع ألفاً مثل (خاف يخاف) فيقال (يَحَاىُ يَعَاىُ) ولكن لم يحدث ذلك .

المنائى[1] جمع منية　　وقياسه المنايا　　(الهمزة عارضة فالمفرد منية واللام معتلة فيجب قلبها ياءً لاستيفائها شرط الإعلال) .

سمع من العرب خطائى　　وقياسه خطايا

قراءة بعضهم (إئلافهم)　　وقياسه قلب الثانية ياء (لأن الثانية ساكنة بعد كسر) .

قراءة بعضهم (أئمة)　　وقياسه أيمة　　(قلب الهمزة الثانية المكسورة ياء)

سواسوة　　وقياسه سواسية　　(الواو تطرفت بعد كسرة فتقلب ياء)

نوارا : مصدر نارت الظبية إذا نفرت　　وقياسه نيار

شوارا : شار الدابة يشورها (بمعنى راضها)　　وقياسه شيار　　(استكملت شروط الإعلال ولم تعل بأن وقعت الواو عينا لمصدر وقبلها كسرة وبعدها ألف) .

---

(١) قال عبيدة بن الحارث فى يوم بدر :

فما برحت أقدامنا فى مكاننا　　ثلاثتنا حتى أزيروا المنائيا .

القصوى	وقياسه القصيا	(لأن الواو وقعت لاماً لفعل بالضم وصفاً)
الحلوى	وقياسه الحليا	(لأن الواو وقعت لاماً لفعل بالضم وصفاً)
يوم أَيْوَم	وقياسه أيمّ	(حيث اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون ولم تقلب الواو ياء
عوى الكلب عَوْية	وقياسه عيّة	(لاجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون ولم تقلب الواو ياء والقياس عيّة بقلب الواو ياء وإدغامها فى الياء).
		وسمع عَوَّة .. (قلبت فيه الياء واوا ثم أدغمت الواو فى الواو عكس القاعدة)
رجاء بن حَيْوة	وقياسه حيّة	(لاجتماع الواو والياء والأول منهما ساكن قال السيرافى ٦/٤٢٧ (نسختى) أظهروا الواو لأنه لا يتصرف تصرفاً نعلم به أن أصله واو) .
ضَيْوَن[1]	وقياسه ضيّن	(لأن الواو والياء إذا اجتمعتا والأول منهما ساكن قلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء) .
راءة بعضهم «راضية مرضوّة	وقياسه مرضية	لأن الواو وقعت لاماً لاسم المفعول الذى ماضيه على فعل - بالكسر .
استحْوذ - أعول -	وقياسه استحاذ	اجتمع فيها شروط الإعلال بالنقل فالساكن الذى قبل حرف العلة صحيح ولم تكن الكلمة فعل تعجب . ولامضعفة اللام ولا كانت اللام حرف العلة ولم تعل .
أغيلت المرأة - استروح	وقياسه أغال - استراح	
صددت فأطولت	وقياسه أطال	

(١) ضيون : السنور الذكر .

إعوالا – استحواذاً – إغيالا

شذ : الرّوح[1] وقياسه الإعلال حيث استكملت شروط الإعلال .

الغَيَب[2]

الخَوَل[3]

القَوَد

وشذ (أرى عينى مالم ترأياه) جاء على الأصل المرفوض .

وشذ (فإنه أهل لأَنْ يؤكرما) وقياسه : يكرما حذف الهمزة للاستثقال .

وشذ (حذف الفاء فى مثل ينع / يسع / يَطأُ / بدر) وقياسه ؛ يوسع ويوطأ وعدم حذفها لأن المضارع مفتوح العين .

الفك والإدغام :

شذ : لححت عينه (بفك الإدغام)

أَلل السقاء (تغيرت رائحته)

ضبب البلد (كثر ضبابه)

دبب الإنسان (نبت شعره فى جبينه)

صكك الفرس (اصطكت عرقرباه)

قطط الشعر (اشتدت جعودته)

كلها جاءت بإظهار التضعيف لبيان الأصل .

تَهْلَلُ والشذوذ فيه إظهار التضعيف ، ولا يكون ذلك إلا مدغماً .

مَحْبَب والشذوذ فيه إظهار التضعيف ، ولا يكون ذلك إلا مدغماً .

---

(١) الروح : الطيور المتفرقة عند الرواح .

(٢) الغيب : اسم جمع للغائبين .

(٣) الخول : الخدم .

١ ـ التثنية فى المقصود والممدود :

جملة ما شذ من المقصور ثلاثة أشياء :

١ ـ قولهم : مذروان والقياس بالياء

٢ ـ قولهم ؛ خوزلان : وقاس عليه الكوفيون .

٣ ـ قولهم : رضيان وقاس عليه الكسائى .

والذى شذ من الممدود خمسة أشياء .

١ ـ قولهم : حمراءان والكوفيون أجازوه كما حكى ابن النحاس .

٢ ـ قولهم : حمرايان وحكى أنه لغة فزارة .

٣ ـ قولهم ؛ قاصعان بحذف الهمزة والألف . وقاس عليه الكوفيون .

٤ ـ قولهم : كسابان وقاس عليه الكسائى ونقله أبو زيد عن لغة فزارة.

٥ ـ قولهم : قراوان بقلب الألف الأصيلة واوا .

٢ ـ شواذ التعجب والتفضيل :

تبنى صيغتا التعجب والتفضيل من : فعل ثلاثى مجرد تام مثبت متصرف قابل للكثرة ـ غير مبنى للمفعول ولا معبر عن فعله بأفعل فعلاء

ومن الشـاذ : ما أُأتاه(*) للمعروف وما أعطاه للدراهم .

وما أعوره ، وما أحمره(**)

هـ و أحنك(١) البعيرين . وأقمن(٢) به . وما أعسـاه(٣) وأعس به ، وما أقدر الله أن يدنى على شحط : لعدم قبول صفات الله الكثرة ، هو أزهى(٤) من ديك ، وأشغل من ذات النحيين(٥) (التصـريح والهمع والأشمونى فى هذه الأبواب)

(*) ليس مجردا .

(**) معبر عن فاعله بأفعل فعلاء .

(١) اسم عين .

(٢) من وصف لا فعل له .

(٣) فعل جامد .

(٤) مبنى للمجهول .

(٥) مبنى للمجهول (شغل) .

٣ ـ شواذ النسب :

مما يحذف لياء النسب ياء فعيلة بشرط صحة العين وانتفاء تضعيفها : كحنيفة وصحيفة ـ تحذف منه تاء التأنيث أولا ثم تحذف الياء ثانيا ثم تقلب الكسرة فتحة : حنفى وصحفى « التصريح ٢ / ٣٣٠ » .

وشذ قولهم فى سليمة : سليمى وفى عميرة ـ كلب ـ عميرى وفى السليقة سليقى ، قال الشاعر

ولست بنحوى يلوك لسانه

ولكن سَليقى أقول فأُعرب

فهذه الكلمات جاءت شاذة للتنبيه على الأصل المرفوض والقياس : سلقى مثل حنفى ولكنه جاء على خلاف القياس (الأشمونى ٤ / ١٨٦ ، والتصريح ٢ / ٣٣٠) .

(تعليق ونقد) :

١ ـ قد يجئ فى الباب الحرف ، والحرفان على أصولهما ، وإن كان الاستعمال على غير ذلك ليدل على أصل الباب (انظر : « استحوذ عليهم الشيطان » المجادلة ١٩) وأغيلت المرأة (إذا أرضعت ولدها وهى حامل) وكذلك ، لححت عينه (لصقت)

٢ ـ المراد بالشذوذ ردّ إلى الأصل المرفوض (شواهد المغنى ١٧٢ ، ٢٤٠ ٢٣٢) وتفسير الشذوذ أن التصحيح هو الأصل والإعلال طارئ متأخر وتهذيب جاء فى اللغة ، أحالته الموسيقى اللفظية عن النطق السابق إلى الحاضر على نسق معين ، ولهذا يمثل الإعلال نهاية العمل المتكامل ، إذ العربية فى تاريخها الطويل كانت خاضعة لسنة الارتقاء وهى بين النقص الزيادة والتهذيب والتشذيب ، والهدف من الإعلال فى النهاية التخفيف ، ففيه النقل والقلب والحذف وسبيل ذلك التيسير .

٣ ـ ومما يؤكد أن مرحلة ما بين التصحيح (وهو الأصل) والإعلال (وهو الفرع) كانت للتنقيح والتهذيب وتصفية الصيغ ، أن الصيغ المصححة مثل : أعول ، وأغيل وأجود قد سمعت معتلة على القياس إلا استحوذ ، واستروح المريح ، واغيلت المرأة

(أرضعت على الحبل) وإنما لم تعل هذه الأفعال بالنقل دلالة على أن الإعلال فى مثلها غير أصلى .

٤ ـ أن علماء العربية كانوا يظنون أن الإنسان هو الذى يقوم بعملية التصحيح والإعلال فى اللغة .

فكثيرا ما تسمعهم يقولون « المنائى ـ بإبقاء الهمزة مع عروضها فى الجمع ، وكان القياس (المنايا) وأصله (المنايى) بهمزة عارضة ثم تفتح الهمزة مع القياس فتنقلب الياء ألفاً فتصير (المناءا) ثم تقلب الهمزة ياء فتصير (المنايا) ولكنهم بعد عروض الهمزة كفوا أيديهم وعاملوها معاملة الهمزات الأصلية .

وهذا غير صحيح ، لأن اللغة ظاهرة من ظواهر المجتمع لا تأثير للفرد عليها

٥ ـ ويرى نفر من الباحثين وجها حسنا فى نفيه الشذوذ ـ عما يسمى بالشذوذ فى العربية . فيقول معلقا على الشذوذ فى اسم الآلة : المُسعط والمُنخل والمُدهن . . والحق أن هذه لألفاظ لم يذهب بها مذهب الفعل ، ولكنها كما قال سيبويه جاءت لتجعل أسماء لهذه الأوعية . فالمكحلة ليست لكل ما يكون فيه الكحل . ولكنها اختصت بالآلة المخصوصة ، ولهذا جاز تغييرها عما جاء عليه قياس اسم الآلة .

كما نفى الشذوذ أيضاً حين قالوا بشذوذ (يدع ويذر) لأن القياس حذف الواو من المثال إذا كان فى المضارع على (يفعل) بكسر العين ، والنافى للشذوذ يرى أن أصل الفعل ـ يفعل ـ بكسر العين . إذ القياس المخالفة بين الماضى والمضارع إلا أنها فتحت من أجل حرف الحلق .

كما نفى الشذوذ فى قولهم : أموى بالفتح فى أمية ـ بالضم ، وبَدوى : بالتحريك فى البدو . فأموى ـ جاءوا به على الأصل الأصيل ، إذ أُمية تصغير (أمَة) بفتح الهمزة ، وبَدَوى قياسه بَدْوى ـ بالسكون ـ وإنما فتح للازدواج مع نظيره (الحضرى) .

٦ ـ شأن الأعلام مثل (مريم . مدين ورجاء بن حيوة . . . .) المحافظة على صورتها الأصلية ولهذا لم يدخلها الإعلال (أى التهذيب والتنقيح) كما دخل غيرها .

٧ـ أن الصيغ الصرفية لم تخضع للقوانين ولم تخف من الحدود وإقامة السدود بدليل ما سبق من صيغ صححت والقياس فيها الإعلال ، وصيغ أخرى أعلت والقياس فيها التصحيح وصيغ يجب فيها حذف الهمزة فى التصريف فلم تحذف ، وصيغ جاءت بإظهار لتضعيف ، وقياسها الإدغام إلى آخر الشواهد والأمثلة السابقة .

٨ـ ويرجع الشذوذ إلى أسباب ، كثيرة منها :

التوهم : ومن ذلك قول الشاعر

ولقـد رأيتك بالقوادم مرة
وعلىّ مِنْ سدف العشىّ رَياح

فالقياس رواح — لأنه من راح يروح لكنه لما كثر قلب هذه الواو فى تصريف هذه الكلمة — ياء — نحو : ريح ورياح — ومريح ومستريح ، وكانت الياء أيضاً عليهم أخف تدرجوا من ذلك إلى أن قلبوها فى (رَياح) مع زوال الكسرة التى توجب القلب وكأنهم توهموا أن الياء أصل فى ذلك .

ومن هذا ما يحكى عن عمارة بن عقيل من أنه قال فى جمع ريح — أرياح حتى نبه عليه فعاد إلى — أرواح. وكأن عمارة توهم فى أرياح — أصالة الياء . ومثل هذا التدرج من أرواح إلى أرياح — نمط من حياة اللغة وتطورها . ولهذا يقول السهيلى : إن ريحا وأرياحا — لغة لبنى أسد . وقال الخفاجى فى شرح بانت سعاد لابن هشام : من العرب من يقول : أرياح ، كراهة الاشتباه بجمع روح . ومثل هذا قولهم فى جمع عيد — أعياد — والواجب : أعواد . وإنما قالوا ذلك لتوهم أصالة الياء فى عيد ، ودفع الالتباس بجمع عود لو قيل : أعواد .

ومن هذا الضرب أيضا قولهم : ديمة وديم . وأصلها من الدوام ، وقالوا أيضا : دوّمت السماء — على الأصل ، وديمت — على توهم أصالة الياء ، وأنها ليست منقلبة عن واو ، وقد تجاوز هذا فقالوا : دامت السماء تديم — فمرد هذا إلى التوهم وهو مسئول عن خلق صيغ جديدة فى الحقل اللغوى .

وقد يرجع الشذوذ إلى الإتباع ، والمزاوجة فمن ذلك قولهم . هنأنى الطعام ومرأنى ، فإذا أفردوا قالوا : أمرأنى ، وفى الحديث : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » . ومأزورات من الوزر وهو الذنب فأصله : موزورات . ومن ذلك قولهم : جاء فلان بالضِّيح والريح ، وأصله : بالضحّ أى بما طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح ، فقيل ، الضيح للازدواج مع الريح (الاقتضاب ٢١٩) كما قد يكون سببه الضرورات الشعرية .

ونظرية الإتباع أو المماثلة أو التوافق الحركى قد لحظها القدماء من الصرفيين وعبروا عنها بالمناسبة فى مثل قولهم :

١ ـ مقام : أصلها مقوم ـ نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو ألفاً لمناسبة الفتحة .

٢ ـ يستجيب : أصلها يستجوب (بكسر الواو) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو ياء لمناسبة الحركة المنقولة .

٣ ـ المستقيم : أصلها المستقوم (بكسر الواو) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة .

ولكن الصرفيين كان فى إمكانهم أن يستغلوا هذا العامل لحل مشكلات باب (الإعلال) إذ إن فهم عامل المماثلة يسهل عملية الإعلال ويختصرها ، ويفسرها تفسيرا لا يخرج باللغة عن طبيعتها ،ولا يوقعنا فى متاهات وافتراضات للكلمة مثلا :

١ ـ سيّد وميّت : أصلهما : سَيْود وميوت . اجتمعت الواو والياء والياء ساكنة فقلبت الواو ياء ثم أدغمت الياء فى الياء ـ للمماثلة .

٢ ـ آمنت : أصلها أأمنت . توالت همزتان وسكنت الثانية فقلبت مدة من جنس حركة الأولى للمماثلة .

٣ ـ حياض : أصلها : حِواض ، وقعت الواو عينا لجمع صحيح اللام بعد كسرة وبعدها ألف الجمع فقلبت ياء لمشاكلة الكسرة أو للمناسبة

٤ ـ ميزان : أصله موزان ، وقعت الواو ساكنة بعد كسرة فقلبت ياء لمناسبة الكسرة

٥ ـ يوقن : أصله : يُيْقِن وقعت الياء الساكنة بعد ضمة فقلبت واوا لمشاكلة الضمة قبلها .

٦ ـ سيق : أصله سُوِق . قلبت الواو ياء ثم قلبت ضمة السين كسرة لمماثلة الياء ..

ويستطيع الإنسان أن يأتى على أكثر باب الإعلال ، ويفسره هذا التفسير المادى اليسير بل يستطيع الباحث بشىء من التفحص أن يرجع كثيرا من الظواهر اللغوية إلى هذا العامل . وبهذا يمكن أن نستغنى عن كثير من قواعد الصرفيين فى باب الإعلال ونختصرها .

احمد علم الدين الجندى
الأستاذ بكلية دار العلوم والخبير بالمجمع



الإسلام ونشأة الكتابة فى بلاد الهوسا

للدكتور مصطفى حجازى

هذا البحث بداية لسلسلة من الدراسات تتناول الثقافة العربية وأثرها فى أدب الهوسا ، وقد تناولت فيه أشهر من ظهر من الكتاب الوطنيين فى غرب أفريقيا ، وكتبوا باللغة العربية ، ثم انتشار الإسلام فى بلاد الهوسا ، وأول من كتب باللغة العربية ، ثم كتابة لغة الهوسا بالخط العربى خدمة لنشر اللغة العربية وسهولة تعلمها ، ثم محاولة الاستعمار الأوربى للقضاء على العلاقات الوثيقة بين المسلمين فى المشرق والمغرب بالقضاء على الخط العربى واستعمال الخط اللاتينى . ثم نشأة الأدب الهوساوى والدور الذى قام به الحاج أبو بكر إمام فى نهضة أدب الهوسا فى العصر الحديث .

ولإيضاح هذا لابد أن نتحدث عن دخول الإسلام إلى هذه البلاد فقد فتح العرب مصر وشمال إفريقيا . وكثرت هجرة المسلمين من العرب والبربر إلى بلاد السودان ، واحتكر التجار المسلمون الاتصال ببلاد السودان لأسباب دينية وتجارية ، واستقرت أعداد كبيرة منهم فى تلك البلاد[1] .

وبحاول القرن التاسع الميلادى أنشأ العرب فى المغرب علاقات تجارية مع امبراطورية غانا الغنية التى كانت تسيطر على مساحات واسعة من الصحراء الكبرى وتشمل حالياً السنغال ومالى[2] .

١ — امبراطورية غانا الإسلامية ، د / إبراهيم على طرخان ، القاهرة ، ص ٤٢

٢ — African Languages Literatures , Albert S. Gerard p. 27

ولما ضعفت مملكة غانا تعرضت لزحف المرابطين ، إذ كانت غانا[٣] وثنية . وكان المرابطون قد جعلوها هدفا ـ للقضاء عليها ـ وتعميم العقيدة الإسلامية فى جميع أنحاء السودان .

ولم يكن المرابطون الذين حكموا البلاد من ١٠٥٦ إلى ١١٤٧ م هم الذين أدخلوا الإسلام فى تلك البلاد لأول مرة . بل إن حركتهم أدت إلى ازدياد عدد الداخلين فى الإسلام[٤]

وإذا كانت رقعة البلاد الإسلامية قد اتسعت فى عهد المرابطين إلا أن الأدب العربى حتى هذه الفترة لم يكن قد ازدهر فى السودان حتى أيام امبراطورية مالى ، التى أسسها ساندیانا (١٢٣٠ـ ١٢٥٥ م) حاكم الماندى الذى تحول إلى الإسلام ، ويرجع إلى موسى (١٣١٢ ـ ١٣٣٥ م) خليفته الشهير بناء الحضارة الإسلامية المحلية فى غرب إفريقيا ، فلم يقتصر على توسيع امبراطورية مالى ـ التى كانت تمتد من شاطىء المحيط الأطلسى إلى دلتا النيجر ـ بل إنه خلال رحلته إلى مكة لأداء فريضة الحج ، ومروره بالقاهرة تمكن بفضل ثروته الكبيرة ـ التى كان يحملها معه ـ من تجنيد العلماء لنشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وإقامة روابط ثقافية وثيقة بين مصر ومالى فى عهد السلطان محمد بن قلاوون سنة ١٣٢٤ م[٥] .

وبذلك يكون موسى قد جعل مدينة « تمبكتو » عاصمة امبراطورية مالى مركزا للتعليم الإسلامى ، فصارت معروفة بمدارسها وعلمائها الذين كانوا على اتصال دائم بالمراكز الفكرية العربية فى مصر والمغرب ، كما جذبت الطلاب السودانيين الذين يتطلعون إلى المعارف الأساسية والعلوم الإسلامية مثل التوحيد والشريعة والتاريخ والنحو والمنطق والبلاغة والبيان والأخلاق والتنجيم[٦] .

---

٣ ـ امبراطورية غانا الإسلامية ، ص ٥٢

٤ ـ المرجع السابق ، ص ٤١

٥ ـ دولة مالى الإسلامية ، د / إبراهيم على طرخان ، ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦

٦ ـ Albert S. Gerard , p.p. 28 ' 29

ومعظم الأعمال التي احتفظ بها أو اكتشفت كانت من أعمال كتاب أفارقة سود ، ولكن مهما كان أصل الكاتب فقد كان لسانهم الحضاري واللغة التي يكتبون بها هي اللغة العربية ، ومن أشهر كتاب هذه الفترة :

محمود كَعْت :

وُلد في سنة ١٤٦٨ م . ويقال أنه عاش ١٢٥ سنة مثمرة ، وكان عالما من السونتكة ومستشاراً لأسكيا محمد ، بدأ كتابة « وتاريخ الفتّاش » في سنة ١٥١٩م ويتضمن وصفاً دقيقاً لإمبراطورية « صنغى » وقد أكمله حفيده إلى حوادث سنة ١٦٠٠م وقام غيره بالتذييل عليه وتكملته حتى عام ١٦٦٠ م . وقد نشره المستشرقان الفرنسيان « هوداس » و « دولافوس » في باريس سنة ١٩١٣ (٧) .

أحمد بابا التنبكتي : (١٥٥٣ –١٦٢٧م)

وهو من أشهر كتاب تمبكتو ، وقد اكتشف حوالى اثنى عشر مؤلفاً من مؤلفاته ، واكثرها أبحاث في الشريعة الإسلامية ، وكانت مكتبته معروفة . وقد اكسبته شهرة دولية في العالم الإسلامي ، وفي مدينة مراكش ، وتحت ضغط أهل الفكر المحليّين سُمح له بالتدريس ، فألف خمسين بحثاً في النحو والمذهب المالكي وعلوم أُخرى . ومن أشهر أعماله « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » وتُعتَبر كتب أحمد بابا أقدم مصدر للمعلومات عن الكتابة الإسلامية في غرب إفريقية (٨) .

عبد الرحمن السعدي : (١٥٩٦ – ١٦٥٦م)

ولد في تمبكتو . ويُحتمل أن يكون والداه من أصل فولاني ، اشتغل موظفاً ودبلوماسياً . وكتب « تاريخ السودان » الذي اكتشفه « بارث » في شمال نيجيريا سنة ١٨٥٣ م ، وكان الغرض من هذا الكتاب – كما يقول السعدي – هو أن يُسجل بنفسه كل ما يستطيع جمعه من مادة عن أمراء صنغى السودان ، ومغامراتهم وتاريخهم ، وتوسعاتهم وحروبهم بالإضافة إلى تاريخ تأسيس مدينة تمبكتو

٧ – دولة مالى الإسلامية ، ص ١٣

٨ – Albert S. Gerard, p. 30

والأمراء الذين حكموها ، والعلماء والصالحين الذين عاشوا فيها[9]

ولقد وصل الإسلام إلى بلاد الهوسا متأخراً عن بلاد صنغى ، التى تقع غرباً ، وبلاد «كانم» التى تقع إلى الشرق فقد كان كلاهما منتهى طرق القوافل التجارية ، فلم يكن لبلاد الهوسا أهمية فى هذا الوقت ، بدليل أن الجغرافيين العرب الذين زاروا هذه البلاد ، لم يسمعوا عنها ، فلم يرد فى كتاباتهم ما يشير إلى وجود مراكز تجارية تتعامل مع شمال إفريقية ولكن كان هناك مراكز للتجارة الداخلية ، وكان انتشار الإسلام يُعزى إلى أنه دين التجّار الذين خُصِّصت لهم أحياء فى المدن ، فألفوا سكانها . وعاداتهم[10] .

وقد وصل النفوذ الإسلامى إلى بلاد الهوسا من جهات عديدة ، عن طريق مرور الحجاج ، والعلاقات التجارية بشمال إفريقية والسودان الغربى ، والإتصال السياسى بصنغى وبرنو . كما كانت على صلة بعدة مدن ، ومن الاندماج بالزواج الذى يبدو أثره فى أسماء بعض الأحياء وخاصة فى مدينة «كَتْسينا» . كما صارت رحلة الحج لها شعبيتها ولعبت دوراً كبيراً فى نشر الإسلام والعادات الإسلامية فى السودان الأوسط ، كما كان وصول رجال الدين من غرب السودان وبرنو فى القرن الخامس عشر ، عاملاً مساعداً على إتمام الثورة الدينية فى مدينة كانو[11] .

ويمكن القول إن الإسلام تسرب إلى بلاد الهوسا خلال القرن الرابع عشر الميلادى حيث توجد شواهد تحمل الأسماء الإسلامية فى قوائم ملوك هذه الفترة ، وتذكر حوليات «كانو» أن الدين دخل خلال حكم الملقّب «Yaji» (١٣٤٩ - ١٣٨٥م) حيث وفد فى عهده أربعون رجلاً من الونجارا Wangarawa وأدخلوا الإسلام إلى بلاده ، كما تذكر

---

٩ - المرجع السابق ص ٣٠

١٠ - A History of Islam in west Africa J. Spencer Trimingham. p. 130

١١ - المرجع السابق ، ص ١٣٢

سجلات كتسينا أن محمد كورَوْ Korau (١٣٢٠ - ١٣٥٣) أدخل الإسلام فى هذه الولاية ، وساعده فى ذلك إبراهيم سُور Sura الذى خلفه من بعده[١٢] .

ولم يُكتب للإسلام الإنتشار الواسع إلا بعد أن وفد إلى هذه البلاد .

محمد بن عبد الكريم المغيلى : (ت ١٥٠٤م)

وهو من تلمسان بالجزائر ، ومن علماء التوحيد ، وأشهر مفسرى فقه الإمام مالك ، قام برحلات واسعة فى بلاد السودان وبالتدريس فى بلاد كثيرة ، منها كانو وكتسينا ، وساهم فى تقديم بعض مبادىء الشريعة الإسلامية للمحاكم المحلية ، وإدخال التصوف الإسلامى إلى هذه البلاد وقد اشترك مع بعض رفاقه فى إنشاء حلقات دراسية صغيرة للتعليم ، أخذت تتسع وتكبر بمرور الأيام .

وبذلك أخذت الثقافة الإسلامية مستعينة باللغة العربية تضرب جذورها فى المجتمعات الإسلامية التى كانت تعيش وسط مجتمعات تعتقد فى سيطرة الأرواح ، وكانت هذه الجماعات الإسلامية تتمركز عادة فى بلاط الحكام أو بالقرب منه ، وصارت نواة لجذب المسلمين المهاجرين فيما بعد ، من المناطق الإسلامية المجاورة ومن شمال أفريقية ومصر .

وفى نفس الوقت أخذ المهتدون إلى الدين الإسلامى يدخلون فى دوائر العلماء المختارين الذين كانوا يخدمون الحكام الوطنيين ، ككتبة ، ومدرسين لعلوم الدين والشريعة ومستشارين عسكريين ، وغير ذلك من الوظائف السامية .

وكان هؤلاء الحكام من جانبهم سعداء باستخدام مثل هؤلاء العلماء ، ومع ذلك لم يكونوا راغبين فى ترك عباداتهم التقليدية لأن سلطتهم تعتمد فى النهاية عليها ، وكان ارتباطهم بالإسلام لا يزيد عن اتخاذهم الأسماء الإسلامية ، إلى جانب أسمائهم الوطنية ، واشتراكهم فى بعض الأعياد

---

١٢ - المرجع السابق ، ص ١٣١

والحفلات الإسلامية ، كالأضحيات السنوية وصلاة الجمعة والعيدين ، ونتيجة لذلك ظهرت ثقافتان تسيران جنبًا إلى جنب ، وقد تختلطان أحيانًا . ولكنهما غالبًا — ما تتناقضان ، وبذلك نشأ الإسلام المختلط Mixed Islam ، أى أن بعض العادات الإسلامية تقوم مع أو بالاختلاط بالعادات والطقوس الروحية الوطنية[١٣] .

وقد قبل العلماء المسلمون الوضع بما هو عليه ، فقد كانت فرصة التغيير محدودة وكانوا قانعين بوضعهم فى مراكز علمية ، ساعدهم على توليها معرفتهم بالقراءة ، والكتابة ، والتى ازدهرت على أيدى — المهاجرين الوافدين عبر طرق القوافل الصحراوية فى السودان ... وفى الوقت المناسب بدأوا يؤلفون أدبًا ، فنشأ الأدب الوطنى المكتوب باللغة العربية الفصحى . فى بلاد الهوسا ، وأدى ذلك إلى تلوين الثقافة الوطنية باللون الإسلامى ، إلَّا أنه لم يؤد إلى تغير فى أسلوب الحياة اليومية[١٤]

وهكذا قامت مجموعة من العلماء التى صاحبت المغيلى ، أو جاءت بعده مباشرة بإنشاء الكتابة العربية الوطنية ، إلَّا أنه لم يكتشف من أعمالهم إلَّا أسماؤها فقط ، فقد كتبت باليد فى مادة الفقه الإسلامى ، وهو المطلب الأول لأى جماعة تعتنق الإسلام ، إلى جانب الكتابة فى التصوف الإسلامى[١٥] .

وكان أول كاتب ظهر فى هذه الفترة من التاريخ ، وعاش فى بلاد الهوسا ، فى بداية القرن السابع الميلادى فى مدينة كانو ، هو « عبد الله ثقة » وقد كتب قصيدة بعنوان « العطية للمعطى » وهى من طوال المنظومات بالعربية . وضع فيها أسس الشعائر الإسلامية ، فتحدث عن العبادات ، وتناول بعض المظاهر الإسلامية المهمة كالحج ، والحرب المقدسة والإدارة العامة ، وناقش بعض مسائل العقيدة ، والحاجة إلى التقشف والزهد فى الحياة الدنيا ، وإلى جانب هذا المحتوى الذى يدل على تقدم المعرفة الإسلامية فى هذا الوقت فهى أقدم منظومة محلية استمدت معانيها

١٣ — A History of Hausa Islamic verse, Hiskett. pp. 12-13.

١٤ — المرجع السابق ، ص ١٣ .

١٥ — المرجع السابق ، ص ١٣ ، ١٤ .

من البيئة المحلية ، كما يعتبر « عبد الله ثقة » أول من تبنى البحور العربية فى نظم الشعر الهوساوى[١٦] .

وبعد ذلك بقليل ظهر عالم آخر فى مدينة كتسينا وهو :طَنْ مَرِينا Dan Marina أى ابن الصباغ ، وقد كتب شرح « الوصايا المستقبلة » وهى المعروفة باسم « العشرينيّات » لأبى زيد عبد الرحمن أبى سعيد بن أحمد الفزارى وهى قصيدة فى مدح الرسول ، وكان لهذا المدح النبوى المجازى أثرٌ كبيرٌ فى خيال وأسلوب شعراء الهوسا ، وجاء شرح « طَنْ مَرِينا » لها يشتمل على بذور التطور الأدبى ، ولكن لسوء الحظ ضاع هذا الشرح .

والعمل الثانى لطن مرينا هو « مجرة الفتيان » وهو شعر عربى يحث فيه العلماء الشبان على البحث عن المعرفة ، كهبة من الله سبحانه وتعالى ، ولم يُعثر على هذه القصيدة ، ولكن أورد لها « هِسْكِت » ترجمة باللغة الإنجليزية فى كتابه[١٧] .

ويقول هسكت : إن لشعر « طن مرينا » العربى أهمية كبيرة لأنه يبرز الطريقة التى انتقلت بها الأفكار الحماسية إلى بعض العلماء فى هذا الوقت ، ولما فيها من معانى ، ويمكن القول أنه بحلول عام ١٦٥٥م – وهى السنة التى توفى فيها طن مرينا – كانت فروع العلوم الإسلامية معروفة لدى مجموعة ممتازة من العلماء ، تتمركز فى مدينة – « كتسينا » وهذا دليل على تقدم الإسلام فى هذه المنطقة[١٨] .

وكان طن مرينا أستاذًا لأحد علماء الفقه المشهورين فى مدينة كتسينا وهو «طن مسنى» Dan Masani (١٥٩٥ – ١٦٦٧ م)

وقد كتب محمد بن محمد (ت ١٧٦٠م وهو من كتسينا عدة بحوث بعضها منظوم

١٦ – المرجع السابق ، ص ١٥

١٧ – Hiskett. p. 14

١٨ – Albert. S. Gerard p. 32

فى المنطق وقواعد اللغة والتنجيم ، وبعض الكتاب مثل محمد الطاهر بن إبراهيم الفولانى (.ت ١٧٧٦ م) قدّم إلى جانب الشعر الهجائى بحوثًا طبية منظومة فى تشخيص وعلاج بعض الأمراض (١٩) .

كان هذا الأدب يمكن اعتباره حركة إصلاحية فيما يقصد إليه لمناقشة ونشر المعرفة الإسلامية ليحل الإسلام الصحيح محل الإسلام المختلط بالعادات والتقاليد المحلية ، ولكن مع نهاية القرن الثامن عشر بدأت نغمة الأدب تزداد حدة ، وتحولت إلى الحث واللوم ، وكأن المسلمين قد فقدوا الصبر على هذا التغيير البطئ ، فأخذوا يتعجلون الاستجابة السريعة لدعوتهم الدينية ، وخير ممثل لهذا الاتجاه هو الشيخ العالم جبريل بن عمر (تُوفِّى سنة ١٧٩٥ م) وهو من أجاديس فى النيجر حاليًا ويقال : إنه من أصل هوساوى ، وكان له نفوذ كبير فى مدن الهوسا – وخاصة جوبير Gober – لكثرة وعظه ، مما أثار حقد حكام الهوسا عليه بسبب شجبه لأعمالهم وسلوكهم وأسلوب حياتهم المنافى للأخلاق الإسلامية ، فكان يدعو إلى تحطيم العادات القديمة غير الإسلامية ، وحاول أن يشعل حربًا مقدسة ولكنه فشل لأن أتباعه شعروا أن نظامه كان صارمًا .

وقد كتب شعرًا بعنوان « شفاء الغليل » ذاع فى مناطق كثيرة ، وكان هجومًا شديدًا على التسامح مع من يدعى الإسلام ويتسامح مع الطقوس والشعائر المحلية المناقضة للشريعة الإسلامية ، وجاء هذا الشعر دليلًا على الفساد الخلقى والسياسى الذى ساد المجتمع ، وقد اتبع نهجه – فيما بعد – الشيخ عثمان بن فوديو (٢٠) .

وكانت دعوة الشيخ جبريل بن عمر جزءًا من ثورة إسلامية منظمة فى غرب إفريقيا بين المسلمين على أيدى الطرق القادرية ، التى انتشرت رويدًا رويدًا وبطريقة سلمية فى المدن على طول الطرق التجارية فى السودان الغربى ، ابتداء من القرن

---

١٩ – المرجع السابق ، ص ٣٤

٢٠ – Hiskette p. 61, Albert S. Gerard, p. 34.

السادس عشر ، وكان نتيجة لذلك انتشار المدارس القرآنية ، وتطور الحركات الداعية إلى الإسلام ، وتحول كثير من السكان إلى الحياة الإسلامية ، وبحلول القرن الثامن عشر ، ظهرت حركة عثمان ابن فوديو ، فقومت الكثير من المعتقدات الدينية ، وكانت النتيجة السياسية لهذه الحركة هى إنشاء عدد من الإمارات الدينية الفولانية فى السودان خلال القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر .

وأدرك المصلحون أن الأمر لا ينبغى أن يقف عند هزيمة القبائل الوثنية فقط ، بل يجب تحويلهم إلى الإسلام . لذلك اتبعوا أسلوب البعثات التبشيرية المسيحية وخاصة البروتوستانت ، الذين كانت بعثاتهم تعمل خلال القرن التاسع عشر لتحارب الجهل .

وإدراكاً من المصلحين المسلمين لصعوبة تعليم اللغة العربية لتابعيهم استعملوا الخط العربى فى كتابة اللغات المحلية كالهوسا والفولانى ، وبذلك أتاحوا الفرصة لنهضة الأدب العربى المكتوب[٢١]

وكان ظهور الأدب العربى أهم حدث فى كتابة غرب إفريقية على أن ظهور الأدب العربى لايعنى نهاية الأدب التقليدى المحلى ، ففى كل مكان خلال القرن التاسع عشر الميلادى وما بعده استمر المتعلمون وخاصة القادة المصلحين يستعملون اللغة العربية فى كتاباتهم ، تاركين لأتباعهم مهمة تبليغ الرسالة باللغات المحلية ، فكانوا ينظمون الشعر بلغة الهوسا ، والفولانى لتعليم الناس العقيدة الإسلامية ، ومبادئ الدين الإسلا ويخوفون الناس من العذاب الأبدى إذا لم يتخلوا عن العادات الفاسدة كالأغانى الماجنة والطبل والرقص

ولأهمية هذا الشعر الدينى ، كان يكتب باليد وبالحرف العربى المغربى وتوزع هذه المخطوطات على علماء الهوسا ، حتى يتمكنوا من تحفيظه لغير المتعلمين فى الريف والبادية[٢٢] ، وكان عبد الله بن

٢١ — Albert S. Gerard, p. 35
٢٢ — Hiskett, p. 18

محمد (١٧٦٦ – ١٨٢٩ م) شقيق الشيخ عثمان بن فوديو ، ومحمد بللو (١٨١٧ – ١٨٣٧ م) ابن الشيخ عثمان عالمين قديرين كتبا كثيرًا من الأعمال العربية ، فقد كان عبد الله بارعًا فى لغة الهوسا ، فترجم بعض أعمال الشيخ عثمان من العربية إلى الهوسا .

وعلى كل حال فقد بلغ تعلم اللغة العربية أوجه فى عهد محمد بللو ، حيث وفد علماء الدين من بلاد بعيدة إلى بلاط سُكُوتُو ، وأكثر ما أُلِّف خلال العقود الأولى من امبراطورية سكوتو ، كان يتركز فى حياة وأفكار مؤسس الحركة وانتصاراته العسكرية ،وظروف تأسيس الامبراطورية .

ولم تكن وفاه محمد بللو نهاية لما يوصف بأنه تدفق غير عادى للكتابة العربية فى الفترة من ١٨٠٠ – ١٨٥٠ م وكانت معظم هذه الكتابات ذات أهمية تاريخية حيث كان وزير سُكُوتُو مهتمًّا بكتابة حوليات الأسرة الحاكمة .

ومع أن حكام سكوتو فتّر حماسهم الدينى لنشر الإسلام فى القرن التاسع عشر ورغم تأثير الهزيمة البريطانية ، وذوبان الفولانى فى شعب الهوسا ، فإن اللغة العربية ظلت لغة الأدب فى هذه الأيام ، وكان كثير من المتعلمين المعروفين بأعمالهم فى لغة الهوسا شعراء ينظمون الشعر باللغة العربية[٢٣] .

وكانت الحركة الأدبية تسير جنبًا إلى جنب مع الحركة الإسلامية فى عهد عثمان بن فوديو ، فقد كان الشيخ عثمان بارعًا فى اللغتين الفولانية والعربية ، وكان يوجه حديثه إلى من يعرفون الفولانية ، أو العربية ، ويقوم شقيقه عبد الله وأتباعه الآخرون – كشاعر زَمْفرا محمد تُكُرو بترجمة الحديث إلى من يعرفون الهوسا .

وقد كانت بداية كتابة لغة الهوسا فى ظل حكم محمدبللو (١٨١٧ – ١٨٣٧ م) حيث قام بوضع أُسس كتابتها عبد الله ابن محمد شقيق الشيخ عثمان وأسماء بنت الشيخ (١٧٤٩ – ١٨٦٣ م) وبعض أتباعه الأوائل مثل « قاسم دِجِل » « محمد تكرو » وقد عالجوا فى كتاباتهم

٢٣ – Albert. S. Gerard. p. 38

الموضوعات الإسلامية المختلفة ، كما كتبوا قصائد فى مدح الرسول وأولياء الله ، وخاصة مؤسس الحركة الإسلامية ، فألّف عبد الله شعرًا فى السيرة النبوية بعنوان Wakar Sira ، وكذلك ألّف قاسم دِجِل شعر محمد Wakar Muhammadu ، وكلاهما يتناول سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أما أسماء بنت الشيخ عثمان فقد كتبت شعرًا بعنوان « شعر التجوال "Wakar Gewaye" » وتتحدث فيه عن حياة والدها منذ خروجه للجهاد حتى وفاته .

كما كتبت عبد الله ومحمد تكرو شعرً الهوسا المبكر فى الوعظ وتحذير القارئ من عبث الحياة الدنيا ومغرياتها ، وقد أدخل هؤلاء الشعراء إلى الهوسا النظم الذى يتناول الأعداد ، وعلمى الفلك والتنجيم الذى يتردد كثيرًا على لسان الشعراء العرب ، كما أدخلوا فى الأدب الهوساوى الناشئ المعانى السامية التى تتردد فى شعر الزهد ، كما نظموا الشعر الذى يعالج علوم الشريعة الإسلامية والتوحيد .

وبعد وفاة محمد بللو بدأت امبراطورية سكوتو تمر بفترة خمول ، لأن الحماس الدينى للقادة الفولانيين قد فتر ، وهدأت أفكارهم الإسلامية المتشددة . وحروبهم الضروس ، ونظروا إلى البلاد المجاورة كمصدر لتجارة الرقيق . ولذلك ظهرت فى شعر الهوسا اتجاهات جديدة كالشعر السياسى ، ولكنهم عالجوا الموضوعات السياسية بأسلوب هادئ : فلم يتناولوا ضعف الإسلام واختلاطه بالعادات المحلية المنافية للشريعة الإسلامية . ولكنهم تناولوا الفساد الأخلاقى والانقسامات التى ظهرت بين حكام الفولانى أنفسهم .

والممثل الأول لهذا الاتجاه هو : محمد نابِرْزِنْ جوَارى » الذى اشتهر سنة ١٨٥٠م والذى أثارته حركة الانفصال عن بيت الحكم فى سكوتو حيث قام نَجْومتسى Nagwamtse وأنشأ إمارة جديدة فى كونتاجورا Kwantagora وأخذ يهدد المسلمين المجاورين بغاراته لسلب الرقيق ، وقد استمرت حتى جاء الأوربيون وقضوا عليها .

وفى نهاية القرن التاسع عشر ، قام إمام دورا Daura بهجوم سياسى على حكام الفولانى المحليين بشعر وعظىّ صريح وبلغ الأمر غايته عندما قام حفيد الشيخ

عثمان « حياة بن سعيد Hayatu dan Saidu بنظم هجاء طويل اختلطت فيه الكلمات العربية بالهوساوية يهجو فيه كل مؤسسات الفولانى [٢٤] .

وهكذا أدى الضعف الذى مرت به بلاد الهوسا قبل الاستعمار الأوربى إلى ظهور الشعر السياسى ، حتى جاءت بريطانيا ، واستعمرت البلاد سنة ١٩٠٣ م ، وكان استيلاء البريطانيين على البلاد نهاية القرن متجهاً إلى تغيير عميق فى ثقافة الهوسا . وبدأ ذلك بمحاولات القضاء على الخط العربى المغربى — الذى كانت تكتب به لغة الهوسا لقطع أواصر الصلة بين المسلمين فى المشرق العربى وغرب إفريقيا . ولم يكن هذا الهدف واضحاً فى بداية الأمر وقد كانت البعثات التبشيرية نشطة فى المنطقة قبل التدخل الاستعمارى ، فترجم الإنجيل إلى لغة الهوسا فى سنة ١٨٦٠ م ، وفى سنة ١٨٧٥ م ترجم جزء من إنجيل St. John وطبع بالخط العربى ، وكان هذا من عمل Freidrich Jacob (١٨٠٣ — ١٨٨٩ م) .

وفى ظل الحكم البريطانى جرت عدة محاولات لوضع أبجدية لاتينية للغة الهوسا ولكن كان ذلك قاصراً على العلماء ، والباحثين الأوربيين ، الذين يدرسون اللغة وآدابها ، وقد بدأ ذلك بتسجيل التراث الشعبى الشفوى Oral Lore . وقد بلغ هذا العمل أوجه فى سنة ١٩١٣ م بقيام ادجار فرانك Frank Idgar بطبع كتاب « أساطير الهوسا » Littafi Na Tsatsinyoyi Na Hausa كما ألف A.J.N. Tremearne كتاباً فى معتقدات الهوسا وعاداتهم Hausa Superstitions وألف R.S. Rattary كتاب « فلكلور الهوسا » Hausa Folklore ، ولم يتجاوز استعمال الحرف اللاتينى — حتى هذا الوقت — النصوص المسيحية ، والمعارف الشعبية التقليدية ، ولم يكن هذا التحول مقبولاً فى بداية الأمر ، فقد كانت كتابة اللغة العربية وقراءتها ميزة ، إذ أنها تستعمل فى الواقع — وإن كان استعمالها فى هذا الوقت محدوداً — وهى لغة القرآن والحديث

---

٢٤ — المرجع السابق ، ص ٥٩

الشريف ، بينما كان استعمال الحرف اللاتينى مرتبطًا بالوثنيين ، وقاصرًا على الباحثين الأوربيين .

وبمرور السنين تجاهل مثقفو الهوسا [ا]لحرف اللاتينى تمامًا ، كما تغاضوا عن الإمكانات المتاحة لكتابة القصص النثرى الذى بدأ بعمل إدجار ، وحصروا أنفسهم فى الشعر العربى التقليدى (٢٥) .

ونظرًا لأهمية استعمال الحرف اللاتينى بالنسبة للاستعمار الأوربى ، فقد أوحى إلى أنصاره خلال عام ١٩٣٠م بإصدار صحيفة بالهوسا أطلق عليها اسم Jaridar Nijeriya Ta Arewa أى جريدة نيجيريا الشمالية ؛ وكانت تصدر عمودًا بالهوسا ويقابله عمود بالعربية ، وفى هذه السنة تأسس «مكتب الترجمة » فى مدينة « زاريا » تحت رئاسة رجل أوربى هو « تيلر Tailor » وكانت مهمة هذا المكتب هى ترجمة وتأليف الكتب التى تنقل من اللغات الأخرى إلى لغة الهوسا ، وبعد تيلر Tailor تولى المكتب ضابط مثقف هو إيست R.M. East . واستمر فى هذا العمل ، وقد قام فى هذا الوقت بالاشتراك مع أبى بكر إمام وزملائه بوضع أسس كتابة الهوسا بالحروف اللاتينى ، وتقويم قواعد كتابتها وقد بنيت على أساس لهجة كانو ، مع بعض التعديلات . ولم يهمل المكتب التأليف تمامًا ففى سنة ١٩٣١ نشر كتابين يتناولان تاريخ وعادات الهوسا وجيرانهم (٢٦) .

ثم تحول هذا المكتب إلى الإنتاج الأدبى . واستقر فى مدينة « زاريا » ، وحاول أن ينشئ بالتدريج كتابة أدبية هوساوية بالحرف اللاتينى . ولم يزد هذا الحرف استعمالاً إلّا مسابقة التأليف التى أقيمت فى سنة ١٩٣٤ ، وكان نتيجة هذه المسابقة طبع الكتب التالية :

Shaihu Umar ، أى الشيخ عمر ، لأبى بكر تفاوا بليوا

Ruwan Bagaja ، أى الماء الشافى ، للحاج أبى بكر إمام .

Jiki Magayi ، أى الجسم المتحدث ،

---

(٢٥) المرجع السابق ، ص ٦٢

(٢٦) Karatu da Rututu A Harshen Hausa, A.B.U. Zaria. VI.

لإيست وتفيدا وساسا .

Idon Matambayi ، أى العين سائلة لمحمد جوارزو .

Gandoko ، أى المغامر لمحمد بللو .

وقد فازت قصة « المغامر » بالجائزة الأولى ، و « الماء الشافى » بالثانية ، و « الشيخ عمر » بالثالثة ، وهكذا استطاع إيست أن يقنع العديد من علماء المدارس القرآنية الذين تلقوا شيئًا من الدراسة فى الغرب عن التدريب على التدريس بالمدارس أن يكتبوا خمس قصص قصيرة طُبعت فى مكتب الأدب فى سنة ١٩٣٠ م .

وقد واجه إيست صعوبة فى إقناع هؤلاء العلماء بكتابة القصص النثرى الهوساوى بحرف لاتينى ، ويقدم تفسيرًا لذلك فيقول : كانت الصعوبة الأولى هى إقناع المتعلمين بأن هذا الأمر ذو فائدة عظيمة ، فقد كان فن الكتابة الأدبية من الصعب ممارسته ، إذ كانت الكتابة مرتبطة فى ذهن المسلم بالدين الإسلامى منذ النهضة الدينية فى نهاية القرن الماضى ، وكانت كل الأعمال العلمية التى ينتجها كُتَّاب شمال نيجيريا تقريبًا دينية خالصة ، أو تتصل بعلوم الدين ، وكان معظمها يكتب باللغة العربية ، التى كانت تشبه اللغة اللاتينية فى العصور الوسطى ، والتى كانت جديرة بكتابة أى عمل علمى أكثر من اللغة الأم وكان فن القصة معروفًا بين شعوب غرب إفريقيا ، وفى شمال نيجيريا كما هو الحال فى كل مكان آخر ، ولكن يُنظر إليه على أنه وسيلة لتسلية النساء والأطفال وأنه دون وقار الرجل الذى تقمص شخصية العالم[٢٧] .

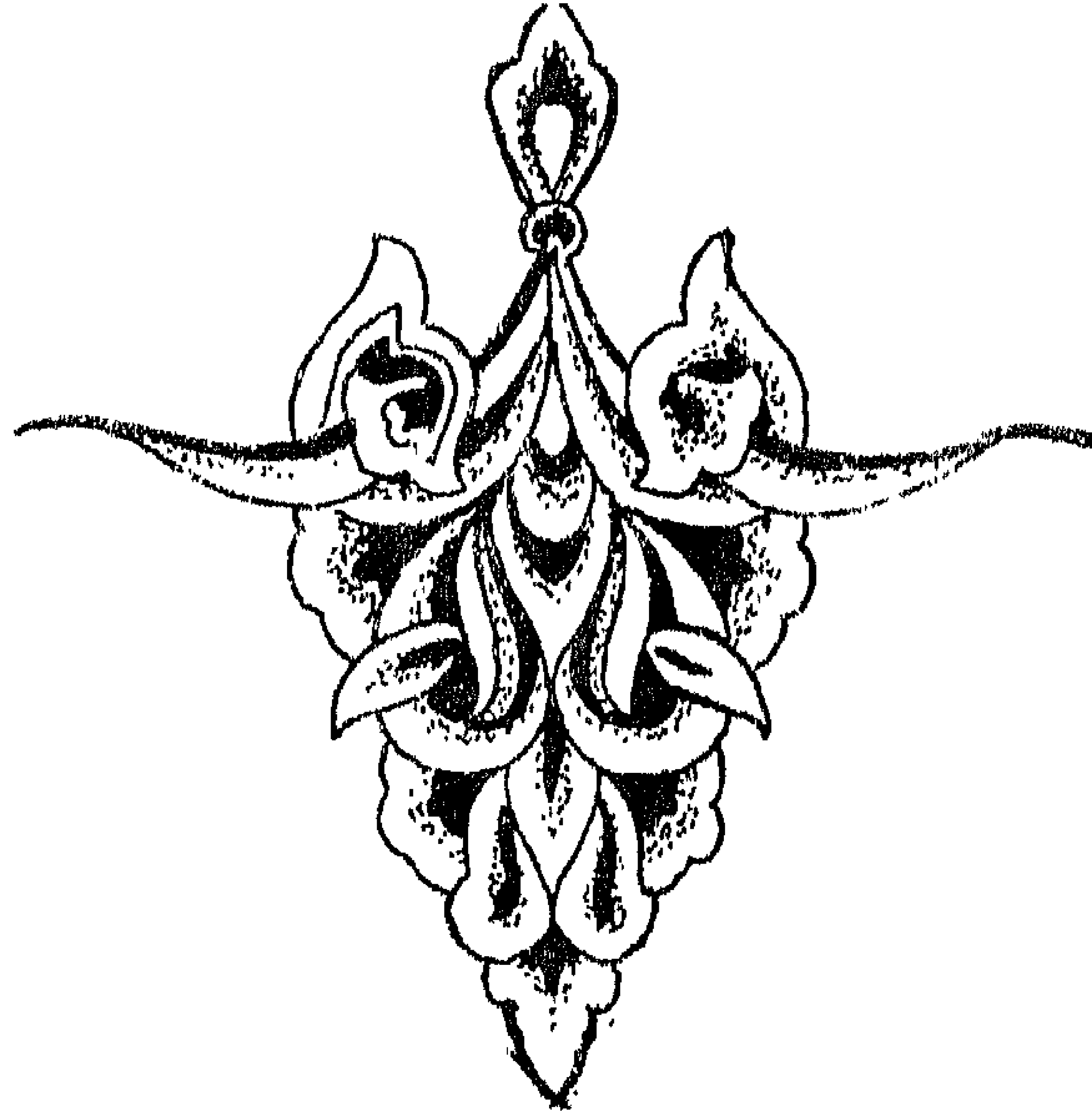
وتفرق هؤلاء الكتاب الخمسة روّاد القصة ، فقد تحول أبوبكر تفاوا بعد ذلك إلى العمل السياسى ، فكان أول رئيس لوزراء نيجيريا فى عهد الاستقلال ، أما محمد بللو فاشتغل بالإدارة حتى صار واليًا لمدينة كتسينا ، أما أبوبكر إمام فلم يكُفّ عن كتابة الأدب فقد انتقل إلى مكتب التأليف ، وألّف كتاب Magana jarice أى الكلام رأسمال ، وهو ثلاثة أجزاء ، وكتاب Karamin Sani

(٢٧) Albert. S. Gerard. p. 63.

أى المعرفة البسيطة ، وهو جزءان ، ثم ألف مع إيست كتاب Ikon Allah أى قدرة الله ، وغير ذلك ، وفى شهر يناير سنة ١٩٣٩ تولى رئاسة تحرير جريدة Gaskiya ta fi kwabo أى الحقيقة أغلى من المال ، وهى أول صحيفة تكتب بالهوسا فقط ، ومازالت تصدر حتى اليوم

ويعتبر الحاج أبو بكر إمام رائدًا للحركة الأدبية فى بلاد الهوسا ويبدو فى كتابته الاعتزاز بالثقافة العربية ، وتأثره بالأدب العربى مما يجعله نموذجًا لهذا التأثر .

مصطفى حجازى السيد حجازى
أستاذ لغة الهوسا
معهد البحوث والدراسات الأفريقية



أولية الشعر الجاهلي

للدكتور مصطفى عبد الشافي الشورى

اجتهد العلماء فى إيجاد أصل لكلمة « شعر » العربية فلم تسترح نفوسهم إلى الآن لأصل يؤيده العلم والاكتشافات الثابتة . حقاً إن كلمة « شير » العبرية القديمة تستعمل بمعنى الشعر ، فرجح العلماء فى ضوئها ، ومنهم كرنكو F. Kirenkow ، أن الكلمة مشتقة منها [1] ولكن اعترفوا أيضاً أن كلمة « شير » العربية تعنى بالضبط الترتيلة الدينية [2] ، وعلى هذا فإن كرنكو يبدو فى غاية الحذر ، فلا يحكم بالقطع ، ولكن يرجح ، ثم يعود ويؤكد « أن أصل الكلمة ضاع فى طوايا الماضى السحيق ومع أنه لايوجد ، فيما بلغ إليه علمى ، أى نقش عربى قديم يشتمل على أبيات ما من الشعر ، فلايتخذ ذلك حجة على أن الشعر لايوجد فى هاتيك الأيام ، لوجود الحقيقة القائمة ، وهى « أن شواهد الشعر العربى التى تستطيع أن تحكم بأنها صحيحة وأصيلة ، كانت تسير بالفعل على قواعد من البحور والقافية [3] » . فهو يريد أن يؤكد أن الشعر العربى وجد فى شبه الجزيرة على نحو مغاير لشكله الذى وصل إلينا ، وهى حقيقة نوضحها بعد قليل .

ويحسن بنا ما دمنا وجدنا آثاراً لكلمة « شعر » فى اللهجات واللغات السامية القديمة ، أو امتداداً سامياً لها . مهما يكن أثره . أن ننظر فى أصل هذا الشعر نفسه كفن من أقدم الفنون العربية حملوه إلى العالم ، وحمله العالم عنهم ، فى شكل ملاحم لم يعرف البشر قبلها مثلها ، مثل ملحمة الخلق وملحمة جلجامش .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية فى مصر ١٩٣٤ ، مادة « شعر » ١٣ : ٦٩ وانظر أيضا : الساميون ولغتهم للدكتور حسين ظاظا (طبعة دار المعارف ١٩٧١) ٩١ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : نفس المادة .

(٣) نفس المصدر ٩٩ .

كانت الملاحم طقوساً تؤدى فى مناسبات دينية وغير دينية ، سواء فى الساحات أو فى أماكن العبادات المخصصة . وهذه القضية تقال عند الحديث عن الملاحم ؛ وإنما أقحمت هنا لارتباط ظاهرة الشعر فى الأعياد بأصول دينية للشعر القديم ، وهى حقيقة أكدتها حيثيات الشعر الجاهلى وأرباب صنعته ، وبقايا القصائد الأولى ، مع أن كرنكو أنكر أن تكون للكهانة رابطة تربطها بالشعر الجاهلى ، بل عد الشعر ظاهرة أرستقراطية مارسها أناس لهم جاه ، ولم يكن الوقت قد حان ليمارسه فقراء مثل الحطيئة . ودلل على قوله بأن الشعر العربى فى عهوده القديمة ، كان ينأى عن الأمور الدينية ، وحجته أنه التزم أشد الالتزام بالأمور الدنيوية [1] . لكن النتائج المدروسة فى ضوء النصوص دحضت رأى كرنكو ، وأكدت « أن أصل الشعر ممارسة طقوس دينية : كهانة أو سحر [2] » ولسنا نعلم لهذا الأصل الدينى جذوراً بعيدة ، لأننا لا نعرف شعرا جاهلياً أقدم من القرن الخامس الميلادى . ولكننا نعرف أن الشعر العبرى كانت تتخذ منه تراتيل دينية . وأن الملاحم العربية القديمة كانت تنشد أو تغنى فى مناسبات الأعياد الدينية ، وتتضمن تمجيداً للآلهة وأعمالهم وبطولاتهم .

ولفظة شاعر — كما يدل الاسم — شخص أنعم عليه بمعلومات خارقة . أو ساحر على صلة بالجن أو الشياطين ، معتمداً عليها فى القوى السحرية التى يظهرها ، وقد تطورت فكرة الشعر فنا ، فيما بعد . « فقد كان الشاعر كاهن القبيلة وهاديها إلى السلم ، وبطلها فى الحرب ، فإليه يرجعون فى جميع شئون حياتهم ، حتى العطشى المتعبون المتجولون ، عندما يجدون بئراً يشربون منها ويغتسلون [3] » . وأصدق مثل تتجلى فيه هذه النظرة عن أولية الشعر العربى ، هو الرثاء والهجاء .

كانت غاية الرثاء الأصلية : السحر ، فقد كان غضب المرثية يطفئ غضب المقتول وتنهاه عن أن يرجع إلى الحياة ، فيلحق الأضرار بالأحياء الباقين ، « ولكن هذا

(١) دائرة المعارف الإسلامية : مادة « شعر » ١٣ : ٣٠٤ .
(٢) نفس المصدر .
(٣) تاريخ العرب الأدبى لرينولد نيكلسن — ترجمة الدكتور صفاء خلوصى : ١٢٧ .

المعنى تلاشى تقريباً فى الجزيرة العربية ، وتطور إلى الشعور الإنسانى بالحزن الممض على أن إظهار الحزن لم يكن يناسب رجال القبيلة كما كان لائقاً بنسائها ؛ وبخاصة الأخوات[1] » .

وإننا إذ تربط أولية الشعر بأصول غيبية ، لن ننسى أنه مع هذه الأصول كان مرتبطاً بالغناء أيضاً وفق التقسيم الآتى :

« أغانى الينابيع — أناشيد الحرب — تراتيل الأصنام[2] » .

أما أغانى الينابيع ، فإنها ذات عراقة وقدم ، فهناك أمثلة لأغانى الاستسقاء من العيون والآبار فى كتاب الأغانى[3] ، وفتوح البلدان للبلاذرى[4] وتاريخ الملوك للطبرى[5] .

وأما ما يقال فى الحرب ، والتغنى بشعرها فكثير ، وأقرب مثل على ذلك ما فى أيام عامر وغطفان ، قول العجلى يصف الحارث بن ظالم ، وكان استجار بهم فى حربه للملك النعمان[6] :

ونحن أجرنا حارثاً بسيوفنا
فظل يغنى آمناً فى خبائنا

وغنى شاعر بأبيات يصف فيها للملك عمرو بن هند كيف قتلت بنو تميم ابنه فى يوم « أوارة » ، قال[7] :

من مبلغ عمرا بأن
(م) المرء لم يخلق صباره
وحوادث الأيام لا
تبقى لها إلا الحجاره
ها إن عجزة أمــه
بالسفح أسفل من أواره
تسفى الرياح خلال كشـ
حيه وقد سلبوا إزاره
فاقتل زرارة ، لا أرى
فى القوم أو فى من زراره

(١) تاريخ العرب لبروكلمان — ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار : ٤٨ .
(٢) تاريخ العرب الأدبى ١٢٧ .
(٣) المصدر السابق ، وانظر الأغانى طبعة بولاق ٢ : ٩٥ .
(٤) فتوح البلدان طبعة المكتبة التجارية ٤٩ .
(٥) تاريخ الملوك مطبعة الاستقامة بالقاهرة ٣ : ٧١ .
(٦) الأغانى طبعة بولاق ١١ : ١١٦ .
(٧) النقائض طبعة ليدن ٦٥٢ ، ١٠٨١ .

فبكى الملك لما سمع غناءه . وقد وردت كلمة نشيد صريحة فى قول الشاعر عبد يغوث :

أحقاً عباد الله أن لست سامعاً

نشيد الرعاء المغربين المتاليا

"وكانت النسوة من القبائل تنشد لتحمس الجند على القتال فى يوم ذى قار[1]

وأما تراتيل الأصنام ، فلست أرى تفسيرا لدخول القصائد السبع إلى الكعبة ، وهى حرم دينى ، ومكانته معروفة فى نفوسهم إلا من قبيل اتخاذها أدعية أو تعويذات ترتل أمام الأصنام . وربما بلغ الحرص على قدسية الشعر وترتيله أمام الأصنام ، أن عمدوا إلى تنظيف أجسامهم قبل ترتيله ، كأنهم مقبلون على صلاة . قال أبو عمرو بن العلاء : «كانت العرب إذا أرادت أن تنشد قصيدة المتلمس ، توضؤا لها[2] . »

إن هذه الحقيقة التى سبقت المرحلة الأخيرة للعصر الجاهلى لابد أن تكون طويلة ، وموغلة فى القدم . وهى ظاهرة ملحوظة فى تاريخ البشرية ، فكلما ابتعدنا متجهين نحو فجر الإنسانية الأول ، رأينا مراحل تطورها تطول . فإذا اقتربنا من عصورنا القريبة ، أصبح سلم التطور قفزات . حتى إن الذهول يصيب الإنسان بفرط مايشاهد من سرعة المنجزات فى الحقول العلمية والإنسانية ، وهذا هو الذى ولد فى الذات الإنسانية ظاهرة اغترابها داخل

---

(١) المفضليات — تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون (دار المعارف) ٣١٥ .

(٢) النقائض ٦٣٨ .

(٣) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم : ٣٣ والقصيدة مطلعها :

تعيرنى أمى رجالا ولن ترى　　أخا كرم إلا بأن يتكرما

وهى من ديوان المتلمس ، تحقيق حسن كامل الصيرفى : ٣ وفيها يذكر قتلهم للملوك :

وكنا إذا الجبار صعر خده　　أقمنا له من ميله فتقوما

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا　　وما علم الإنسان إلا ليعلما

وقد أخذه الفرزدق فقال : (ديوانه ٥١٩) .

وكنا إذا الجبار صعر خده　　ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وأخذه بشار أيضا : (ديوانه ١ : ٣١٧) .

إذا الملك الجبار صعر خده　　مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

مجتمعاتها المعقدة . مع أن الإنسان هو الذى صنع هذا التعقيد ، فلما لم يقدر على استيعاب تطوره السريع ، اغترب تجاهه .

إن الحقبة التى تقدمت على العصر الجاهلى المتأخر ، كان لها أيضا شعرها . « وكان على الأرجح شعرا ، بعضه غنائى ، وأكثره ملحمى . والغنائى منه كان على أوزان عروضية ، مما يعرف من عروض الخليل بن أحمد ، وفى مقدمتها الرجز ، وربما كانت معه أوزان قليلة أخرى من الأبحر الوحيدةالتفعيلة ، أما الشعر الآخر ، هو الذى اندثر ، وقورن به القرآن الكريم ، بعد تقادم عهد كفار مكة به ، وعدم معرفته إياه ، ليس إلا أصداء خافتة ، بقيت تطن فى رؤوسهم من القرون الأولى »

وهذا الشعر الملحمى كان يجرى على نهج الساميين جميعا ، الذين كانوا يودعون الجرس الموسيقى فى ثنايا الألفاظ الحاملة لعناصر الفكرة ، مقسمة تقسيما كميا ، لا من حيث اللفظ ، ولكن من حيث المضمون «وهذا النوع من الشعر شائع عند الأكاديين والكنعانيين والعبريين . ولاشك أنه كان هكذا . أو بصورة مقاربة ، عند العرب الأوائل الذين عاصروا تلك الأمم ، ولم يكتبوا شيئا من تراثهم على حد علمنا إلى الآن [1]

وقبل أن أمضى فى مسألة المهلهل بن ربيعة والصورة الأخيرة للقصيدةالجاهلية على يده ، لابد لنا أن نؤكد حقيقة هؤلاء الشعراء الذين مضوا ، ولم نعرف عنهم شيئا ، والذين لنتحدث عنهم بعد قليل بأن تراجمهم — كما ترد فى المظان — لاتلتقى بالامنا ، بقدر ماتعنينا نتاجات قرائحهم . « فليس لدينا مادة لكتابة تراجم الشعراء الذين سنهتم بهم ، فكل شىء عنهم يظل غامضا ، مبهما ، مريبا ، ولنعتبر أنفسنا سعداء إذا توصلنا إلى التأكيد من أنهم ليسوا

---

(١) الساميون ولغاتهم للدكتور حسن ظاظا ١٨٠ .

(٢) نفس المصدر ١٨٠ .

أبطال روايات ، وجل ماتبقى منهم شبح أو خيال ، ظهر فى زمن مشكوك فيه[1] »

وهذا الحكم يقرب لنا فكرة منشودة ، وهى أن القصائد الطوال من شعر الأيام[2] ، كانت فى مواضعها المناسبة من الرواية ، وأن أشعار الأيام هى فى الأصل قصائد الشعر الجاهلى الموزع فى الدواوين والكتب ، أى أن عملية تبديد أو بعثرة أصابت ملاحم الأيام ، لانعلم من أين أتت ، والعملية لاتتعدى القرن الأول والثانى الهجريين وليس أدل على ذلك من دخول معظم المعلقات والقصائد الطوال فى ملاحم الأيام ، فمعلقتا زهير بن أبى سلمى وعنترة بن شداد تدخلان فى حرب داحس والغبراء ، ومعلقتا الحارث ابن حلزة وعمرو بن كلثوم تدخلان فى شعر البسوس ، ودواوين الخنساء وقيس ابن الخطيم وامرئ القيس ومجموعات شعر : قيس بن زهير والربيع بن زياد والحارث بن ظالم . فضلا عن القصائد الطوال العديدة التى يضيق الموضع بها ؛ تدخل أيضا فى ملاحم الأيام

وبعد هذا كله ، هل نستطيع أن نثبت للشعر الجاهلى أقدم أشكاله ؟ الواقع أنه يصعب ذلك على وجه الدقة ؛ وإن كان القدماء قالوا كلمتهم الأخيرة فيه ، وثبتوا لنا الأشكال الأولى لهذا الشعر . بل إن بعضهم شغلته القضية ، فسأل عنها الرواة وعلماء القبائل . قيل لأبى عبيدة : هل قال الشعر أحد قبل امرئ القيس ؟ قال : نعم ، قدم علينا رجال من بادية بنى جعفر بن كلاب ، فكنا نأتيهم ونكتب عنهم ، فقالوا ممن ابن خدام ، قلنا ما سمعنا به . قالوا بلى ، سمعنا به ورجونا أن يكون عندكم منه علم ، لأنكم أهل أمصار ، ولقد بكى فى الدمن قبل امرئ القيس ،

---

(١) تاريخ الأدب العربى للدكتور ريجيس بلاشير – تحقيق إبراهيم الكيلانى ١٩٢.

(٢) أيام العرب كثيرة جدا ، فقد ذكر ابن الأثير (الكامل ١ : ٥٠٢) منها ما يناهز السبعين يوما ، أما الميدنى (مجمع الأمثال ٢ : ٤٤٤) فيقول بعد أن يعدد بايجاز مائة وثلاثين يوما «وهذا الفن لا يتقصاه الإحصاء فاقتصرت على ما ذكرت» ويبدو أن للأقدمين فى أيام العرب عدة مؤلفات فقد معظمها انظر شعر الحرب للدكتور على الجندى ١ : ٢١ وتاريخ النقائض للشايب ٦١ .

ولقد ذكره امرؤ القيس فى شعره حيث يقول[1] :

عوجا خليلىّ الغداة لعلنا
نبكى الديار كما بكى ابن خدام

وأبو عبيدة الذى ذكر هذا الخبر ، هو نفسه الذى قال عن عدى بن ربيعة الملقب بالمهلهل : « إنما سمى مهلهلا ، لأنه هلهل الشعر ، يعنى سلسل بناءه ، كما يقال : ثوب مهلهل ، إذا كان خفيفاً . »[2] ولم يقل أبو عبيدة إن مهلهلا أول من قال الشعر بوضعه الحالى ، فكيف حمل الأقدمون كلامه على هذا المضمون ، فاعتبره الجاحظ مع ابن أخته امرئ القيس حجر الكندى أول من نهج سبيل الشعر ، وسهل الطريق إليه[3] .

وقال ابن سلام الجمحى : « وكان أول من قصد القصائد ، وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبى فى قتل أخيه كليب ، وكان اسم المهلهل عديا ، وإنما سمى المهلهل لهلهلة الثوب ، وهو اضطرابه واختلافه[4] . »

وهكذا نتابع القول فى هذه القضية[5] ، على أننا — مع حكمنا بابتعاد هذه الروايات عن الحقيقة التى كانت معروفة لدى الرواة الأوائل — نؤكد أن الشعر متقدم على ماجاءنا من المرحلة العربية من الإسلام . وأنه كان مزدهرا من عهد قديم جدا ، وإن كان فى لغته مغايرا للغة وأشكال الشعر الذى وصلنا ، ويحمل اسم امرئ القيس وآخرين .

---

(١) جمهرة أشعار العرب للقرشى — طبعة المكتبة الرحمانية بمصر — ٢٤ ووردت للبيت روايات أخرى ، أشهرها ما ذكره ابن رشيق ص ٥٤ :

عوجا على الطلل المحيل لأننا   نبكى الديار كما بكى ابن خذام

ورواه المهلهل ثم أشار إلى الرواية الأولى أيضا .

(٢) النقائض ٩٠٥ — ٩٠٧ .

(٣) انظر الحيوان للجاحظ — تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الحلبى بالقاهرة — ١ : ٧٤ .

(٤) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى — طبعة المدنى — ٣٣ .

(٥) ذكر ابن دريد فى الاشتقاق ص ٣٣٨ ، « قال الأصمعى : سمى مهلهلا لأنه كان يهلهل الشعر ، أى يرققه » وقال ابن الأثير فى الكامل فى التاريخ ١ : ٣١٧ ، « مهلهل بن ربيعة أول من هلهل الشعر ، وعنوا بذلك أرقه » .

إن فكرة أول من قال الشعر ورققه ، ومهلهل نسجه جاءت في جميع المصادر من بيت قاله الفرزدق ، فجرى العلماء والناس مجراه ، ولانعلم من أين جاء بها الفرزدق ، وكيف وقعت له . يقول الفرزدق[1] :

ذهب القصائد لى النوابغ إذ مضوا
وأبو يزيد وذو القروح وجدول
والفحل علقمة الذى كانت له
حال الملوك ، كلامه لاينحل
وأخو بنى قيس وهن قتلنه
ومهلهل الشعراء ذاك الأول

واعتاد قدماؤنا ، عندما يتطرقون لهذه الأولية الشعرية ، أن يوزعوا الشعر على خارطة القبائل بشكل قسرى ، وأحيانا تعسفى ، لكى ينقلوا المواهب الشعرية بين القبائل وفق مواسم إذا أقبلت على منطقة ، وانحسرت عن أخرى ، ولست قائلا فى رفضها أكثر مما قلت ، لأن الشعر فى الأمة الواحدة لايقبل التجزئة[2] .

ومهما يقل على حقيقة المهلهل ، والتوزيع الجغرافى والبشرى وأولية الشعر ، فلن نتورط بما ذكره بروكلمان من أن الشعر العربى «كان فنا مستوفيا لأسباب النضج والكمال منذ ظهر العرب على صفحة التاريخ ، ولاتستطيع رواية مأثورة أن تقدم لنا خبرا صحيحا عن أولية الشعر ، وإذن فلا يسعنا إلا أن نستخلص من الملابسات المشابهة عند شعوب بدائية أخرى نتائج يمكن تطبيقها على العرب »[3] لأنه يتوهم هنا بأن صفحة التاريخ العربى بدأت مع بداية الشعر المروى بالعربية الفصحى التى هى قيد الاستعمال الآن ، لذلك هو ينتظر رواية مأثورة من الإخباريين التقليديين ، يحل عن طريقها وبواسطتها جميع هذه الإشكالات المعلقة ، متناسيا أن ظهور العرب على صفحة التاريخ

---

(١) ديوان الفرزدق — طبعة الصاوى — ٧٢٠ .
(٢) انظر على سبيل المثال ، العمدة لابن رشيق — تحقيق محيى الدين عبد الحميد ٥٤ — ٥٥ .
(٣) تاريخ الأدب العربى ٤٤ .

كان منذ الألف الأول قبل الميلاد ، عندما ورد اسم أمير عربي فى نقش آشورى [1] . ولا ننتظر أن تكون عربيتنا اليوم هى لغتهم التى نطقوا بها . ولا التى فى القرنين السابقين للإسلام . بل إن عربية الجاهليين ، وإن شابهت عربيتنا ، قد لاتكون فى مدلولاتها اللغوية على المعانى ، نفس مدلولات لغتنا اليوم وهذا أمر انتهى من تأكيده العلماء

ولد الشعر إذن فى أحضان العرب ، والمتأمل فى الصياغة الشعرية عند الجاهليين، يرى بوضوح أن الأسجاع ليست إلا مادة أولية لها ، أو هى الأصل فى التعبير الشعرى بوجه عام ، ذلك أن الجاهليين— فيما تدل عليه آثارهم الأولى — لم يفرقوا بين ماهو شعر وماهو نثر إلا فى عصر متأخر [2] .

لم يكن جميع الجاهليين شعراء ، ولم يكونوا ناثرين ، بالمعنى الحديث ، لأنهم لم يكونوا — بادئ ذى بدء — ليشعروا بالفرق بين الشعر والنثر ، وإنما كان لهم نوع آخر من الإنشاء الفنى الأدبى ، نوع يؤثر فى السامعين فيحملهم على الانتباه والإصغاء ثم الفهم فالحفظ . وهذا النوع هو الإنشاد ، أعنى أن فنهم كان إنشادا ، والأدباء كانوا منشدين .

ولقد كان المنشد يستند إلى أسهل الأساليب البديعية علوقا بالآذان وأقربها إلى الأنغام الشعبية العامة ، وهى التضاد ، أو الطباق والمقابلة بين التعابير والمقاطع ، والسجع بخاصة . فالسجعات كانت بمثابة محاط إنشائية يقف عندها المنشد والسامع ، فيستريحان .

ولم يكن الشعر أكثر من ذلك ، والذين تحدثوا عن بداياته لم يخرجوه عن هذه الدائرة ، واعترفوا بأن القيم الوزنية ، والرتم الموسيقية إنما كانت جماع تلك التحسينات البيانية المتنوعة . ومن ثم كانت لفظة شعر لها من الشمولية

---

(١) انظر تاريخ العرب لفيليب حتى طبعة بيروت ١ : ٤٥ .

(٢) لم أقصد بالنثر هذا الكلام العادى الذى يحتاج إليه الإنسان فى حياته اليومية تعبيرا عن حاجاته ومرافقه الحيوية ، بل ذلك المظهر الفنى للأدب .

ماجعل العرب الأولين لا يميزون بين السجع المنظم والشعر المنظوم ، وفى نطاق الدين استغل الكهان ذلك فخلطوا أقوالهم بالعبارات المسجوعة والجمل المنظومة ؛ وظلت هذه الظاهرة قائمة حتى بعد أن تحددت نهائيا الأقوال الشعرية فى قوالب معينة .

أجل لقد بقيت الأسجاع إلى أن ظهر الإسلام ، حتى لقد اتهم به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقرنت به أجزاء من القرآن الكريم ، بدليل أن العرب ظلوا مدة غير قصيرة يعتقدون أن القرآن طريقة من الإنشاد كسائر طرف منشديهم الأقدمين ، أصحاب القصائد والخطباء والكهان . فأخذوا ينعتون النبي — صلى الله عليه وسلم — بالشاعر تارة ، وبالكاهن أخرى . وهذا النعت الأخير يدل على عدم تفريقهم بين الشعر والسجع المنسوب إلى الكهان ، ونستشهد على ذلك بالقرآن نفسه . فقد جاءت بعض الآيات معلنة أن النبي — صلى الله عليه وسلم — ليس بشاعر ، ولا بكاهن ، وأن القرآن ليس من الشعر فى شيء . قال تعالى[1] : « إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون » . وقوله سبحانه وتعالى[2] : « فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولامجنون ، أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين » . وقوله تعالى[3] : « وماعلمناه الشعر وما ينبغى له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » ونلاحظ هنا أن هذه الآية لاتشير إلى أن القرآن نقيض الشعر ، أى ماندعوه اليوم بالنثر ، فإن هذه اللفظة لم تكن معروفة بمدلولها الحالى ، ولا ما ينطبق عليه فى عرفنا معهودا .

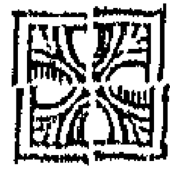
وننتهى من هذا ، إلى أن الأشكال الشعرية المألوفة ، بلغت حدا من الإتقان والكمال ، درجة لايمكن التغافل عنها . « فالشعراء الأوائل هم أساتذة ماهرون فى فنهم مقدما ، وليس ببعيد أن يكون

(١) سورة الحاقة ٤٠ — ٤٢ .
(٢) سورة الطور ٢٩ — ٣١ .
(٣) سورة يس ٦٩ .

فجر العصر الذهبي للشعر العربي يتفق مع السنوات العشر الأولى للقرن السادس بعد الميلاد ، وهو تاريخ «يوم البسوس» ووصول أقدم شعر منها ، حيث حفظت لنا قدرا لايستهان به من الشعر فى أوج أوارها ، ولدينا من المهلهل أول قصيدة رثاء قالها فى أخيه الشيخ كليب[1]

وكون الشعراء الجاهليين أساتذة ماهرين فى صنعتهم ، حقيقة تؤكدها النصوص ، وإن كنا لانغفل دور الرواة المصلحين للشعراء ، أمثال خلف الأحمر لكن مسألة اضطراب الشعر الجاهلي — وقد لفتت إليها أنظار الدارسين القدماء — لاتطعن الآن فى صحته عند العلماء ، إن غالى قسم من الباحثين أيضا ، فأنكر هذه الثروة ، لأنها متقنة ومتكاملة ، بخلاف ماصرح به نكلسن وغيره حول الأستاذية والمهارة . وإذن ، فالقدماء فى كتبهم — مثل ابن سلام — عابوا هذا الشعر لأنه ذاهب مضطرب ، دون التفات إلى سبب اضطرابه وأوليته والمحدثون رفضوه لأنه متقن كامل الصنعة ، ولو كان قديما حقا لكان ذاهبا مضطربا . ولانعلم ماذا ستقول الأجيال القادمة بعد ألف سنة أخرى .

مصطفى عبد الشافى الشورى
المدرس بكلية اللغة العربية وآدابها
بكلية الآداب — جامعة عين شمس

---

(١) تاريخ العرب الأدبي لرينولد نكلسن ١٢٧ .

الشعر الجاهلي في ضوء نظرية باري لورد

للدكتور عادل سليمان جمال

نظرية باري ــ لورد عن الشعر المروى

في خلال الثلاثين عاما الماضية استطاع الأستاذانِ مِلْمان بارِى وألبرت لورْد أن يهتديا إلى الأساليب الفنية (Techniques) للشعر المَروِيّ التي يستخدمها الشاعر الراوى في نظم الأشعار . بدأ بارِى أولا[1] بتطبيق فكرة الـ formula وهى مجموعة من الكلمات تُستخدَم في بحر مُعيّن لتعطى معنى محددا . على شعر هوميروس وانتهى إلى أن هوميروس كان شاعرا راويا . ولما لاقى رأيه هذا قبولا من المهتمين بالدراسات الأدبية ، اتجه إلى دراسة شعر ملحمى مروىّ معاصر ، وهو الذى تناقله المنشدون الأميون في يوغوسلافيا وأضافوا إليه . وكان بارِى يأمل بدراسة هذا الشعر الحيّ أن يستكشف الأسلوب الذى يتبعه المنشد في نظمه للشعر . فقام هو ولورْد بتسجيل هذا الشعر على آلات تسجيل ، وعكفا على دراسته وتحليله ، وضمّنا ما انتهيا إليه في كتابهما المشهور « المُنْشِدون القُصّاص[2] » .

وتتلخص نظريتهما في أن الشعر المروى مُباين للشعر المكتوب متميِّز عنه فالشاعر الكاتب ــ في أى عصر عاش وفى أى حضارة نشأ ــ يُديم النظر في معانيه ويتعهد بالصقل ألفاظَه قبل أن يُخرِج شعره للناس ، وهو يفعل ذلك في

(1) Milman Pary, l'Epithete tradilioncllc dans Homere (Paris, 1928) ; Les formules et : Homerd'Homere (Paris, 1928) ; "Studies in the Epic Technique of Oral Verse-Making au Homeric Style", Harvard Studies in classical Physiology, XLI (1930), pp. 7a4-147 ;"Studies in the Epic Technique of Oral Verse-Making II : The Homeric Langaage the Language of sral verse", HSCP, XLIII (1932).

(2) Singer of Tales (Cambridge, Mass. 1964).

غيبة عن قارئيه وبعيدا عن سامعيه . أما الشاعر الراوى فعلى نقيض ذلك ، فهو ينظم الأشعار خلال إلقائه . أى يرتجل (improvise) دون إعداد سابق . ويتم ذلك فى سرعة ومهارة حتى لاينصرف عنه جمهور السامعين . ويُسْعِده على إنجاز هذا العمل اعتماده على مَخْزُون هائل من كلمات معينة وعبارات محددة (formulas) يؤلِّف بينها فى سرعة البرق ، جاعلا منها أبياتا من الشعر ، فالوحدة اللغوية عنده إذن ليست مطلق الكلمات ، وانما هى هذه الكلمات المعينة والعبارات المحدَّدة (formulas) . وهذه الكلمات والعبارات قد زيد فيها وعدلت ، ونُقِّحت وأحكمت خلال قرون من استعمال متصل لم ينقطع ، ومحاولة دَوؤب لم تَفْتُر حتى تهيَّأت منها مجموعة ضخمة تزوِّد الشاعرَ الراوى بمدد غير محدود .

هذه النظرية قد طبِّقت بنجاح على الآداب القديمة والعصور الوسطى . فوجد المؤلفان أن الأشعار التى تتكرر فيها كثيرا كلماتٌ بأعيانها وعبارات بذاتها هى أشعار مرتجَلة (Orally Composed) ، على حين أن الأشعار التى ينعدم فيها مثل هذا التكرار أو يكاد هى أشعار مكتوبة . وبمعنى آخر فإن الشعر المرويّ يعتمد على هذه الكلمات والعبارات الثابتة ، فى حين أن الشعر المكتوب لايستند إلى ذلك أصلا . وليس للشعر الذى يُحْفَظ شِفاها نص ثابتٌ محدَّد ، حتى يُدون ، أما قبل ذلك فمضمونه ينتقل من فم إلى فم وفى كل مرة يُرْوَى يدخله تغييرٌ وتبديل ويطرأ عليه زيادة ونقصان ، بل قد يصاغ كله صياغة جديدة من أوله إلى آخره . فالشاعر الراوى إذن يخلق مادته خلقا جديدا عند كل إنشاد ، لايعتمد على ماحَفِظ لفحول المنشدين . بل لايستعين بما نَظَمه هو فى مرات سابقة ، ومن ثم فَمحْفُوظ الشاعرِ يجب أن يُستبعَد كلية عند النظر فى كيفية نظمه للشعر. فإن كان ذلك كذلك ، فما هو الأسلوب الفنى (Technique) الذى يصطنعه الشاعر الراوى فى تأليف الشعر؟ جواب ذلك أنه يعتمد على امتلاك ناصية عدد هائل من المعانى والأفكار والمواقف وأسماء الأعلام ، ومَخْزون لايَنْفَد من كلمات معينة وعبارات محددة (formulas) ويبدأ الشاعر الناشئُ بالاستعانة بذلك

كله حتى تزداد خِبْرته وتستوى مَلَكَته ، ويستتبع ذلك أن فحول الشعراء يكونون أكثر مهارة وَأَمْكَنَ فنًّا من الشعراء الشُّبان مع أن الفريقين جميعا يستمدان من مَعِين واحد .

ولما كان المنشد يعتمد على مادة يتداولها غيرُه من شعراء عصره ، انتهت إليهم جميعا من أجيالهم السابقة ، كان لزاما أن تكون لغته شعريةً متخصصة يغلب عليها الجُمود والسَّطْحية ، تخلُو من اللهجات ، وتفهمها الجماعات التى تُظِلها ثقافةٌ واحدة ، دون اعتبار للمكان الذى تقيم فيه أو القبيلة التى تنتمى إليها . ولما كانت هذه اللغة الشعرية تَتكون أساسا من كلمات محدَّدة وعبارات ثابتة Formulas موروثة تُستعمَل فى إطار بحُور معينة ، أدّى ذلك إلى أن تكون أشدَّ محافظة من لغة الحديث المحليّة التى تعيش معها جنبا إلى جنب . وقد تتسرب بعض اللهجات المحلِّية إلى اللغة الشعرية إذا لاءم إيقاعها بحرا ما ، وتصبح جزءا منها على الرغم من أن هذه اللهجة قد تختفى تماما ويتوقف استعمالها كلغة للتخاطب ، ومن ثم فاللغة الشعرية تضمّ كلمات قديمة (archaism) ، يُسْتَغْلَق فَهْمُها حتى على المنشد وسامعيه .

هذه هى خلاصة نظرية بارى – لورد عن الشعر المروى ، بذل صاحباها جهدا شاقا لإثباتها ، متّحذين من الشعراء الغنائيين فى يوغسلافيا مجالا لبحثهما .

وقد أفاد مؤرخو الأدب من هذه النظرية وطبقوها على أشعار أمم مختلفة بنجاح كالشعر الأنجلو – ساكسونى [1] ، والشعر الإنجليزى [2]

1. Donald K. fry (ed). Tee Beowulf -A coitection of Critical Essays, Englewood Cliff, N. J, 1968

2. James H. Jomes "Commonyplace Memerizotion in the Oral Tratition of the E English and Scottish Popular Ballads, Journal of American Folklore, Lxi LXIVX, 1961, pp. 91-113.

والشعر الفرنسي[1]، والشعر اليوناني[2]، والشعر العبري[3]، وغيرها[4].

دفعت هذه النظرية – خاصة عندما طبقت بنجاح على الآداب القديمة وآداب العصور الوسطى – بعض الباحثين الأمريكيين المهتمين بالدراسات العربية إلى النظر للشعر الجاهلي في ضوئها. فكتب الدكتور جيمس مُنْرو مقالة بعنوان
Oral Composition in Pre-islamic Poetm
نشرها في العدد الثالث من
Journal of Arabic Literature
سنة ١٩٧٠، ثم كتب الدكتور مايكل زوِيتْلَرْ كتابا كاملا نشرته جامعة أهايو ١٩٧٨

تناول فيه بالتفصيل الشعر الجاهلي في ضوء نظرية لُورْد، وأكد ما انتهى إليه الدكتور منرو: أنَّ الشعر الجاهلي – مثل شعر هو ميروس – شعر مرويّ.

وسأحاول في الصفحات التالية أن ألخص ما انتهى إليه هذان الباحثان وما استعانا به من دراسات أخرى، خاصة ماكتبه سار جنت. وسوف أتكئ خاصة على ماكتبه الباحث الأول.

وأرجو أن يثير هذا البحث ردود فعل لدى الدارسين العرب، فيناقشون ماجاء فيه.

1- Joseph Duggan, "Fomllas in the Couronnement de Lonis", Romania, 1966, pp. 315-344, Tatiana Fotitch, "The fihasson de Geste in the Light of Recent Investigation of Balkan Epie Poetry", Linguistic and Literary Studies in Honor of Helmut i. Hatzfeld, ed. A.S. Grisafulli, Washington p.C., 9P.C., 1964.

2- I.E. Mcleod, "Oral Bards at Delphi", Transaction of the American Philological Association, XCLI, 1961 pp. 317 325 ; James A. Notopoulss" "The Homeric Hymms as Oral Poetry", American Journal of Biology, LXXXIII., 1962, pp. 334-368 ; Joseph A. Russo, "The Structural Fomula in Homeric Verre", Ylle Classical Studies, XX : Homeric Studies, ed ; G.S. Krrk, New Haven, 1966, pp. 219-240.

3- Willian Whallon, "Formulaic Poetry in the Old Testament, Comparative literature XV, 1963, pp. 1-14 ; Old Testament Poetry and Her-| ic Epie" Comparative Literative XVIII, 1966, 113-131.

4. انظر مثلا : James, Ross, "Formulaic Composition in Gaelic Oral Idessature "Mokrrn physiology L'VII, 1959, pp. 1-2.

الشعر الجاهلى شعر مروى

١ ـ الأدلة الخارجية :

كان الشعراء الجاهليون أُميين ، وغنيّ عن البيان أن علماء العصر العباسى جمعوا الشعر ـ عندما نشأت حركة التدوين ـ من رواة البادية وبالرغم من ثقافة هؤلاء العلماء وسعة اطّلاعهم فقد غابت عنهم هذه الحقيقة البالغة ، وهى أن الشعر الجاهلى شعر مرويّ ، كما خفيت عليهم الأساليب الفنية (techniques) لهذا الشعر استفرغوا جهدهم فى تحقيق الأشعار وتوثيقها ، وبدلا من أن يسألوا أنفسهم عن مبعث اختلاف أبياتها عددا وترتيبا ورواية ، أساؤا الظن بالرواة ، وجرّحوا بعضهم ورفضوا أن يأخذوا عنهم .

وفى القرن الثامن والتاسع الميلاديين قويت الحركة الشعوبية المعادية للعرب، وعاب أصحابها على البدو اعتمادهم على القِسِيّ فى خطابتهم وإنشادهم ، واستعمالهم العِصِيّ تأكيدا لعباراتهم ، وتجسيدا لإيقاع أشعارهم . غير أن أمر الاستعانة بالعِصِى عظيم الدلالة إذا عرفنا أنه كان شائعا فى الجاهلية بين الشعراء والحكماء

وهذه الوسائل التى تساعد على تجسيد الإيقاع لها دور فعّال فى عملية تأليف الشعر المرويّ . وقد لاحظ لُورْد أن المنشد اليوغسلافى إذا نُزعت منه آلته الموسيقية ، يفقد قدرته على النظم وتأتى أبياته مضطربة ، نِصْفها منثور لايتلاءم مع بحر القصيدة[1] . ومن حسن الحظ أن الشعوبيين سجّلوا لنا هذه الظاهرة عندما سخروا من إتيان العرب لها . وقد تصدّى الجاحظ للرد على الشعوبية ، مدافعا عن العرب ، وفى معرض كلامه نراه يفرق تفريقا واضحا بين نظم الشعر المعتمد على الرَّوِيَّة والتفكير ثم الكتابة ، وبين تأليف الشعر الصادر عن العَفْوية والارتجال ، يقول : (إلا أنَّ كل كلام للفرس ، وكل معنىً للعجم ،

(١) The Singers of Toles, pp. 1256-127.

فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأى ، وطُول خَلْوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكُّر ودِراسة الكُتُب ، وحكايةِ الثانى عِلْمَ الأوَّل ، وزيادة الثالث فى علم الثانى ، حتّى اجتمعت ثِمار تلك الفِكَر عند آخرهم . وكلُّ شىء للعرب فإنما هو بديهةٌ وارتجال ، وكأنَّه إلْهام ، وليست هناك معاناةٌ ولا مكابَدة ، ولا إجالةُ فِكْر ولا استعانة ، وإنما هو أنْ يصرِف وَهْمَه إلى الكلام ، وإلى رجَز يوم الخِصام ، أو حين يَمتح على رأْس بئر أو يحدو ببعير ، أو عند المقارعة أو المُناقَلة ، أو عند صِراع أو فى حرب ، فما هو إلاَّ أنْ يصرِف وهْمَه إلى جُمْلة المذْهب ، وإلى العَمُود الذى إليه يقصد ، فتأْتيه المعانى أرْسالاً ، وتنثال عليه الألفاظ انْثيالا ، ثم لايُقيِّده على نفسه . ولا يدرسه أحدا مِن وَلَده. وكانوا أُمّيِّين لايكتبون ، ومَطبُوعين لايتَكَلَّفون ، وكان الكلامُ الجَيِّد عندهم أَظْهَر وأكثرَ ، وهم عليه أقدر ، وله أَقْهَر ، وكلُّ واحد فى نفسه أنْطَق ، ومَكانهُ من البيان أرْفَع ، وخُطباؤُهم للكلام أوْجَد ، والكلامُ عليهم أَسْهَل ، وهو عليهم أَيْسَر مِن أنْ يفتقروا إلى تَحفُّظ ، ويحتاجوا إلى تَدارُس . وليس هم كَمَن حَفِظ عِلْمَ غيره ، واحتذَى على كلامِ مَن كان قبلَه ، فلم يحفظوا إلا ماعَلِق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتَّصل بعقولهم من غير تكلُّف ولاقَصْد ولا تحفُّظ ولا طَلَب . وإنَّ شيئا هذا الذى فى أيدينا جزءٌ منه ، لَبالِمقدار الذى لايَعْلَمه إلَّا مَن أَحاط بَقطْرالسحاب وعدد التراب[1] .

ولحسن حظ الباحثين المحدَثِين فإن طريقة نَظْم الشعر الجاهلى المعتمدة على الارتجال لا زالت – بعد خمسة عشر قرناً من عصر امرىء القيس – حيَّةً لم تَمُت . غير أنها لم تَنَل من اهتمام الدارسين إلا شيئاً ، ويرجع ذلك إلى وَهْم تردى فيه الدارسون ، حيث آمنوا بأن الأدب الحق هو الشعر الجاهلى القديم ، وأما الشعر الشعبىّ المُباين لتقاليد الشعر الجاهلى ، فهو – وإن كان نوعاً أدبياً – لا يَرْقَى إلى مرتبة الشعر

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٣ : ٢٨ – ٢٩ (تحقيق عبد السلام هارون ، ط. ثانية ١٩٦٠) .

الجاهلى ، وغير جدير بالدراسة الجادة . ولكن بمُضِىّ الوقت بدأ مفهومُ الشعر فى التغير ، وابتعد شيئاً فشيئاً عن التقاليد القديمة .ولا شك أن ما كتبه سارجَنْت يعبّر عن هذه النظرة الجديدة التى طال توقعها ، قال : آن لنا – فى القرن العشرين – أن نأْخذ الشعر الجاهلىّ أوالأُموى إلى الجزيرة العربية لدراسته أو شرحه[1] لنرى ما هى النتائج التى يقدمها مثل هذا المنهج ، الذى يجب أن نَتوخى الحذر فى تطبيقه . ومن المحتمل أن نظفر لكثير من الأشعار بشروح أدقّ وأوفى من تلك التى توصل إليها النحاة فى العصر العباسى[2] .

والملاحظات التى سجّلها العلماءُ عن الجزيرة العربية لاتؤيِّد كلامَ الجاحظ فحسب ، بل توضح الطريقة التى يتبعها الشاعر العربى فى تأْليف الشعر المروىّ . وبالرغم من أن العلماء الذين قاموا بأَبحاث ميدانية فى الجزيرة العربية كانوا غير مُلِمِّين بنظرية بارى–لورد ، فإن ملاحظاتهم الكثيرة تتفق مع هذه النظرية فى كل نواحيها . ويعتقد هؤلاء العلماء أن الأَشعار التى جُمِعَت حتى الآن من وسط الجزيرة العربية وشمالها وجنوبها تنتمى من الناحية الفنية إلى الشعر الجاهلى[3] ، فهى – من ناحية – تستخدم نفسَ البحُورالقديمة ، وهى – من ناحية أخرى لا تختلف فى لغتها عن لغة الشعر الجاهلى إلا بمقدار ما دخل اللغة من تطور خلال القرون الخمسة عشر الماضية[4] ولغة هذه الأَشعار تخلو من اللهجات القَبَلية ويفهمها جميع سكان الجزيرة حتى الأميون منهم[5] . وغالبية الشعراء الذين يستعملون هذه اللغة الموحّدة

(١) يعنى سارجنت أن ندرس الشعر الجاهلى فى ضوء ما ينظم الآن فى الجزيرة العربية ، حيث إن الطريقة التى ننظم بها الشعر الجاهلى لم تتغير حتى الآن .

2. R.î. Serjeant, South Arabian Poetry : I, Prose and Poetry from Hadaramawt (London, 1951), p.3.

3. Serjeant, op. cit, pp. 3, 13, 57 ; Albert Socin, Diwan aus Central-Arabien, Abhandlungen der pilologisch-his orischen Classe der Koniglisch sachsischen Grsellschaft der Wissenschaft, XIX (Leipzig 1901), p.46.

4. Serjeant, op. cit. pp. 76-85 ; Socin, op. cit, p. 48.

5. Serjeant, op. it., p. 8.

لايعرفون القراءة والكتابة ، ويعبّرون عن عملية نَظْم الشعر – كما كان الشأن فى القديم – بقولهم « قلت قصيدة » ، ولايقولون أبدا « كتبت قصيدة »[1] ، ويرتجلون الشعر ارتجالا ، ونادرا ما يُقيّدونه ، وإنما يحفظ أصدقاء الشاعر أجزاء منه . وإذا كُتِب فيكون ذلك من صدور الحافظين ، وبذا تكون الكتابة قد حلت مكان الراوى[2] . وهؤلاء الشعراء الأميون لا دراية لهم بعلم العروض ، ولكنْ لديهم إحساسٌ غريزىّ بالإيقاع . وقد لاحظ الدارسون أنه عند كتابة الشعر من الإملاء حيث يسوده البُطء ، فإن الشاعر العربى – وكذلك أيضاً اليوغوسلافى كما ذكر بارى ولورد – يفقد قدرتَه الفنية على نظم الشعر ، فيضطرب الإيقاعُ ويختل الوزن ، وعادة تختفى هذه الأخطاء بعد التدوين[3] . وأفكار هذا الشعر وعباراته وصُوَره تقليدية مستمدة مِن مَعِين واحد[4] . كما لاحظ الدارسون أيضاً أن الشاعر إذا اتُّهِم بسرقة أشعار غيره – وذلك شىءٌ كثير الحدوث – فإنه يدافع عن نفسه دِفاعاً مُبهَما[5] . فالسرقات الشعرية ألصق بالأدب المروىّ الذى يستمد من الوجدان الجماعى ، ولا يعترف بملكية الأدب لكاتب ما . ولغة هذا الشعر تتألف مِن كلمات معينة وعبارات ثابتة « formulas »[6] . وبعض الموضوعات الجديدة التى طرأت عليه يمكن تحديد تاريخها ، فموضوع « شرب القهوة » مثلا لابد أن يكون

(1) Alois Musil, The Manners and customs of the Rwala Bedouins (New York, 1928) pp. 283-284.

(2) îlachrre, op. cit., pp. 92-93.

(3) Serjeant, op. cit., pp. 12, 76.

(4) Ibid., p. 8.

(5) Musil, op. cit., p. 284.

(6) Serjeant, op. it., p. 26.

يعطى الدكتور جيمس منرو مثالا لتأكيد ما ذهب إليه سارجنت ، فيقول إن كثيرا من القصائد المروية الحديثة فى الجزيرة العربية تبدأ بهذه العبارة : « يا را كبا » .

حديثاً فهو غير معروف فى الأدب القديم[1].

وخلال تناقل الأشعار يدخلها غيرُ قليل من التغيير فى كلماتها وعدد أبياتها وترتيبها[2]، ومن ثم لا يستطيع أى شخصين، يحفظان قصيدة ما، أن ينشداها بتطابق تام، بل إن الشاعر نفسه يغير فى قصيدته عند إنشادها فى كل مرة. وإذا وُوجِهَ بالروايات المختلفة للقصيدة لا يستطيع لها تعليلا، وقُصارى ما يمكن أن يقول إنها جميعاً جيدة[3]. وهذا يقود إلى نتيجة هامة، وهى أن « النص الأصلى » لقصيدة ما لا وجود له، وأن محاولة تعقبه ضَرْب مِن العبث[4]، لأن الشعراء أنفسهم غالباً ما يَنْسَوْن ما نظموه، وكثيرا ما يضطرون إلى إنهاء قصائدهم قبل تمامها عندما يحسون بملَل سامعيهم وضجرهم ولهذا تختلف نهاية القصيدة فى كل مرة تنْشَد فيها، بينما تكان بدايتَها تتماثل ويسودها الاستقرار.

ويحلو للشعراء أن يستخدموا نوادر الكلمات تَشَبُّهاً باستعمال « الغريب » فى الشعر القديم. وبعض هذه الكلمات مُعْرِقَة فى القِدَم، أو لهجاتٌ مَحليّة صارت جزءًا من اللغة الشعرية مع الزمن، واستغلق فهمُها على الشاعر نفسه، غير أن مَهَرة الشعراء.. يترددون فى إحلال كلمة مألوفة محل إحدى هذه الكلمات النادرة[6].

ويُنْشد الشعراءُ قصائدهم[5] نغمة رتيبة على إيقاع الرباب، ولكن — على هذه الرتابة — يستطيع أن يميز الأقسام المختلفة للقصيدة. ويبدأُ الشاعر إنشاده فى غير اكتراث، ثم يلوك كلماته حتى ما تكاد تبين، فإذا أوشك على نهاية القصيدة رفع من طبقة صوته[7]. وقد وجد بارى ولورد أن المنشدين اليوغوسلافيين

(1) Serjeant, op. cit., p. 13.
(2) Musil, op. cit., p. 284 ; Serjeant, op. cit., pp. X, XI.
(3) Musil, op. cit., p. 284.
(4) Ibid., p. àl..
(5) Socin, op. cit., p. 6.
(6) Musil, op. cit., p. 284 Serjeant, op. cit., p. X
(7) Musil, op. cit., p. 283 ; Blachere, op. cit., vol. 2, p. 357.

يجعلون لكل قسم من أقسام القصيدة لحناً مختلفاً حتى يستحوذوا على انتباه جمهورهم فإذا أحس الشاعر أن الملل بدأ يتسرب إليهم غيّر اللحن كى يشدّهم إليه أو ليوحى إليهم أن القصيدة قد قاربت نهايتها[1] هذه الخاصية التى يتميز بها الشعر المروى توضح لنا لماذا تنتهى أشعار كثيرة فى العصر الجاهلى نهاية غير متوقعة[2]

٢ ـ الأدلة الداخلية :

يعتمد الشعر ـ إلى حد ما ـ على ضَرْب من التكرار ، غير أن الشعر المرويّ فى أى عصر وفى كل أُمّة ـ بما فى ذلك الشعر الجاهلى ـ تزداد فيه نسبة هذا التكرار زيادة كبيرة . وهذا التكرار له أشكال أربعة :

١ ـ كلمات مُعَيَّنة وعبارات ثابتة (Formula Proper)

٢ ـ جُمَل بأكملها قد تكوّن مصراعاً (formulaic system)

٣ ـ كلمات متجانسة الإيقاع . (structural Fomulas)

٤ ـ ألفاظ تقليدية شائعة (conventional vocabulary) . ويجب أن نلاحظ تحاشياً للوقوع فى الخطأ ـ أن الأساليب الفنية للشعر المروى ليست أداة آلية جامدة تجعل من الشاعر عقلا آلياًّ ، بل أداة مرِنة طَوْعَ الفنان المُبدِع . وأشكال التكرار الأربعة متداخلة ، ولايمكن تحديد كل منها إلّا على وجه التقريب ، فهناك بعض الأمثلة التى تلائم أكثر من ضرب من ضروب التكرار . ومن ثم يجب اعتبار هذا التقسيم وسيلة نسبية تسهّل التفريق بين أشكال التكرار .

---

(1) Lord, op. cit., p. 37.

(٢) يقول جيمس منرو ـ تدعيما لهذا الرأى ـ إن الطريقة الغريبة التى كان البدو ينهون بها أشعارهم قد تنبه إليها ابن رشيق وعابها ونال منها ، قال : (ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها ، والنفس بها متعلقة ، وفيها راغبة مشتهية ويبقى الكلام مبتورا كأنه لم يتعمد جعله خاتمة) نظر العمدة ١ : ٢٤٠ (وتحقيق محيى الدين عبد الحميد ، ط . رابعة لبنان ١٩٧٢) وابن رشيق لم يعد ذلك عيبا ، بل قال : «كل ذلك رغبة فى أخذ العفو ، وإسقاط الكلفة ، ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عن شدة المطر «كأن السباع . . . . » فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات ، وهى أفضلها » .

(ا) الكلمات المعينة والعبارات الثابتة :

هذه الكلمات والعبارات– حسب تعريف لورد– ثابتة لاتتغير، يتراوح عددها بين كلمتين وثلاث كلمات وقد يزيد حتى تكون شطرًا كاملًا . ومن أمثلة ذلك :

عَفَتِ الدِّيارُ : معلقة لبيد [1] ، البيت : ١

عَفَتِ الدِّيَارُ : ديوان امرئ القيس [2] ، ص : ١٤٤ ، بيت :

لِمَنْ طَلَلٌ : ديوان زهير [3] ، ص : ٩٩ ، بيت : ١

لِمَنْ طَلَلٌ : ديوان زهير ، ص : ٩١ ، بيت : ٥

لِمَنْ طَلَلٌ : ديوان لبيد [4] ، ص : ٣٢٧ ، بيت :

بالجَلْهَتَيْن : معلقة لبيد ، البيت : ٦

بالجَلْهَتَيْن : ديوان لبيد ، ص : ١٩٦ ، بيت : ٧

كَأَنَّهَا فَدَنٌ : المفضليات [5] ، ص : ٢٥٧ ، البيت : ٨

كأَنَّهَا فَدَنٌ : ديوان عنترة [6] ، ص : ٤٥ ، البيت : ٦

فَوَقَفْت فِيهَا : المفضليات ، ص : ٨٢٧ ، البيت : ٦

فَوَقَفْت فِيهَا : ديوان عنترة ، ص : ٤٥ ، بيت : ٦

ذِكْرَى حَبِيب : معلقة امرئ القيس ، البيت : ١

ذِكْرَى حَبِيبٍ : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٢١ ، بيت :

---

(١) شرح القصائد السبع لابن الأنبارى – تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ١٩٦٣ .

(٢) ديوان امرئ القيس (ضمن العقد الثمين) ، تحقيق ألورد ، لندن ١٨٧٠ .

(٣) ديوان زهير (ضمن العقد الثمين) .

(٤) ديوان لبيد – تحقيق : حسان عباس ، الكويت : ١٩٦٢ .

(٥) المفضليات – تحقيق ليال ، اكسفورد ١٩٢١ .

(٦) ديوان عنترة (ضمن العقد الثمين) .

ذِكْرَى حَبِيب : المفضليات ، ص : ٥٤٦ ، البيت : ٦

وَأَهْلِهَا : ديوان لبيد ، ص : ، بيت : ١١

وَأَهْلهَا : ديوان لبيد ، ص : ، بيت : ٥

وأَهْلهَا : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٣١ ، بيت : ٥١

وَأَهْلهَا : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٥٢ ، بيت : ١٩

وحان مِن الحَيِّ الجَمِيع : المفضليات ص : ٦٠٢ ، البيت : ١

وحانَ مِن الحَيِّ الجَمِيع : المفضليات ص : ٨٨٩ ، البيت : ١

وقد أَغْتَدِى والطَّيرُ فى وُكناتِهَا : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٩٦ ، بيت : ١

وقد أَغْتَدِى وَالطَّيرُ فى وُكناتِها : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٣٨ ، بيت : ١٥

وقد أَغْتَدِى وَالطَّيرُ فى وُكناتِها : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٥٤ ، بيت : ٤٧

وقد أَغْتَدِى وَالطَّيرُ فى وُكناتِها : ديوان علقمة[1] ، ص : ١٠٤ ، بيت : ١٩

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّع المِسْك مِنْهُمَا : معلقة امرئ القيس ، بيت : ٨

إِذَا قَامَتَا تضوَّع المِسْك مِنْهُمَا : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٢٤ ، بيت : ٧

فعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْر ونعْجَةٍ : معلقة امرئ القيس ، بيت : ٦٧

فعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنعْجَةٍ : ديوان علقمة ، ص : ١٠٥ ، بيت : ٣٩

كمَشْى العَذارَى فى المُلَاءِ المُهدَّبِ : ديوان امرئ القيس ، ص : ١١٨ ، بيت : ٤٤

كمَشْى العَذارَى فى المُلَاءِ المُهدَّبِ : ديوان علقمة ، ص : ١٠٥ ، بيت : ٣٢

تحَمَّل أَهْلُه مِنْهُ فبَانُوا : ديوان زهير ، ص : ٩٩ ، بيت : ٢

تحَمَّل أَهْلُها مِنْها فبَانُوا : ديوان زهير ، ص : ٧٥ ، بيت : ٦

---

(١) ديوان علقمة (ضمن العقد الثمين) .

زعَمَ الهُمَامُ ولم أُذُقْهُ أَنَّهُ : ديوان النابغة[1] ، ص : ١٠ ، بيت : ٤٣

زعَمَ الهُمَامُ ولم أُذُقْهُ أَنَّهُ : ديوان النابغة ، ص : ١٠ ، بيت : ٢٤

قِفا نبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ : معلقة امرئ القيس ، بيت : ١

قِفا نبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَعِرْفانِ : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٦٠ ، بيت : ١

وُقوفًا بِها صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهم : يَقُولُون لَا تهْلِكْ أَسًى وَتجَمَّل

معلقة امرئ القيس ، بيت : ٥

وَقوفًا بِها صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهم : يَقُولُون لَا تهْلِكْ أَسًى وتجَلَّدِ – معلقة طرفة ، بيت : ٢

(ب) عبارات كاملة قد تكوّن مصراعاً :

إذا زاد الخلاف اليسير الموجود فى المثالين الأخيرين نتج عنه هذا النوع من العبارات فهى مجموعة كبيرة من الكلمات المختلفة يربط بينها كلمة – على الأقل – متشابهة فيها جميعاً ، وتستعمل فى بحر واحد . وهذا النوع من التكرار إذن يَنْجم عن إحلال كلمة مَحلّ أُخرى . وتحتوى لغة التخاطب على مجموعات كثيرة من الكلمات المتجانسة تخضع لقواعد نحوية ، أما لغة الشعر المروى فهى تضم عددًا أقل من مثل هذه المجموعات ، ولابد لها أن توافق بحرًا من بحور الشعر . والشاعر الراوى المقتدر لا يقنع بنَقْل هذه الكلمات المعينة والعبارات الثابتة فى كل مرة كما هى دون تغيير . فلو فعل لنفد ما يختزنه منها ولعجز عن التعبير عما يريد . ومن ثم فقد مَرِن على أن يحلّ كلمة لها نفس الإيقاع محلّ أُخرى ، وهذا يؤدى إلى خلق نوع جديد من الكلمات والعبارات مشتقّ من النوع الأول «الكلمات المعينة والعبارات الثابتة» ، ويمكن تمييزه وردّه إلى النوع الأول عن طريق وجود كلمات متشابهة تماماً داخل نفس البحر ، بل فى موقع التفعيلة من البحر (أى التفعيلة الأُولى أو الثانية أو الثالثة فى الشطر الأول أو الثانى) . وأحياناً يصعب التمييز بينهما ، ومن أمثلة هذا النوع :

(١) ديوان النابغة (ضمن العقد الثمين) .

2. Lord. op. cit., p. 35

يَا عَمْرو : المفضليات ، ص : ٣٢١ ، بيت : ١

يا بُؤْسٍ : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٢١ ، بيت : ١

يا ذات : المفضليات ، ص : ٨٨٦ ، بيت : ١

بالدَّارِ : ديوان زهير ، ص : ٩٧ ، بيت : ٢

لا الدَّارُ : ديوان زهير ، ص : ٩٧ ، بيت : ٢

أَوْدَى الشَّبَابُ الَّذِى : المفضليات ، ص : ٢٢٦ ، بيت : ٣

إِنَّ الشَّبَابَ الَّذِى : المفضليات ، ص : ٨٤٨ ، بيت : ٥

هُوَ الجَوَادُ الَّذِى : ديوان زهير ، ص : ٩٧ ، بيت : ١٣

لولا الهُمَامُ الَّذِى : ديوان النابغة ، ص : ١٦ ، بيت : ٩

كَأَنَّ عَلَيْهَا الَّذِى : ديوان النابغة ، ص : ٦ ، بيت : ٦

حُصًّا قوَادِمُه : المفضليات ، ص : ٦ ، بيت : ٨

زُعْرٍ قوَادِمُهَا : ديوان علقمة ، ص : ١١٣ ، ب : ٢٣

زُعْرٌ قَوَائِمُه : ديوان علقمة ، ص : ١١٢ ، ب : ١٧

عُرْيان قَوَائِمُه : المفضليات ، ص : ٢٨٨ ، ب : ٦٢

لا كِفَاءَ لَهُ : ديوان النابغة ، ص : ١٥ ، ب : ١٢

لا كِفَاءَ لَهُ : ديوان النابغة ، ص : ٢٧ ، ب : ٦

لا رِشَاءَ لَهُ : ديوان زهير ، ص : ٨٧ ، ب : ٢١

لا ارْتِجَاءَ لَهُ : ديوان النابغة ، ص : ٦ ، ب : ٧

لا فِكَاكَ لهُ : ديوان زهير ، ص : ٨٤ ، ب : ٢

لا شَوَارَ لَهُ : ديوان زهير ، ص : ٨٦ ، ب : ٨

لا أَنِيسَ بِهِ : المفضليات ، ص : ٨٤٩ ، ب : ١١

أَبْلِغْ حَبِيبًا : المفضليات ، ص : ٥٢٤ ، ب : ١

أَبْلِغْ زِيادًا : ديوان النابغة ، ص : ١٥ ، ب : ١

أَبْلِغْ بَنِي نَهْشَلٍ عَنِّي : ديوان علقمة ، ص : ١١٠ ، ب : ٣

أَبْلِغْ بَنِي نَوْفَلٍ عَنِّي : ديوان زهير ، ص : ٨٣ ، ب : ١

أَبْلِغْ لديْكَ بَنِي الصَّيْدَاءِ كُلَّهم : ديوان زهير ، ص : ٨٨ ، ب : ١

هَلَا سَأَلتَ بَنِي الصَّيْدَاءِ كُلَّهم : ديوان زهير ، ص : ٨٧ ، ب : ٢٥

أَبْلِغْ بَنِي نَهْشَلٍ : ديوان علقمة ، ص : ١١٠ ، ب : ١

أَمْسَى بَنُو نَهْشَلٍ : ديوان علقمة ، ص : ١١٠ ، ب : ١

أَمْسَتْ أُمامَةُ : المفضليات ، ص : ٢٥ ، ب : ١

أَمْسَتْ خَلَاءً وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا : ديوان النابغة ، ص : ٦ ، ب : ٦

آبوا سِرَاعًا وَأَمْسَى : ديوان علقمة ، ص : ١٠٩ ، ب : ١

بانَتْ سُعَادُ فَأَمْسَى القَلْبُ مَعْمُودًا : المفضليات ، ص : ٤٤٢ ، ب : ١

بانَت سُعَادُ وَأَمْسَى حبلُها انْجَذَما : ديوان النابغة ، ص : ٢٥ ، بيت : ١

وأَمْسَى حَبْلُهَـــا : ديوان عنترة ، ص : ٤٩ ، بيت : ١

يَوْمَ الودَاعِ فأَمْسَى الرَّهْنُ قد غَلِقَا : ديوان زهير ، ص : ٨٤ ، بيت : ٢

أَمْسَى قَرْقَرًا جَلَدًا : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٢٢ ، بيت : ١

كَأَنَّ رَحْلِي وقد زَالَ النَّهَارُ بِنَا : ديوان النابغة ، ص : ٦ ، بيت : ٩

كَأَنَّ عَيْنِي وقد سَال السَّلِيلُ بِهِمْ : ديوان زهير ، ص : ٩٧ ، بيت : ٨

بِأَنِّي قد هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمٍ : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٢٣ ، بيت : ٢

ولو أَنِّي هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمٍ : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٢٣ ، بيت : ٣

إِذا نَزَلَ السَّحَابُ بِأَرْضِ قَوْمٍ : المفضليات ، ص : ٧٠٣ ، بيت : ٢٣

إِذَا وَضَعَ الهَزَاهِزُ آلَ قَوْمٍ : المفضليات ، ص : ٦٠٨ ، بيت : ٣

تَحَمَّل أَهْلُه مِنْهُ فَبَانُوا : ديوان زهير ، ص : ٩٩ ، بيت : ٢

تَحَمَّل أَهْلُهَا مِنْهَا فَبَانُوا : ديوان زهير ، ص : ٧٥ ، بيت : ٦

تَحَمَّل أَهْلُهَا إِلَّا عِرَارًا	: ديوان لبيد ، ص : ١٠٣ ، بيت : ٣
تَيَمَّمَ أَهْلُهَا بَلَدًا فَسَارُوا	: المفضليات ، ص : ٦٦٢ ، بيت : ٩
وَمَسْكنِ أَهْلُهَا من بَطْن جِزْع	: ديوان عنترة ، ص : ٤٩ ، بيت : ٣
تَجَانَف عن شَرَائِع بَطْن قَوٍّ	: المفضليات ، ص : ٣٧٩ ، بيت : ٢٥
عَفَا مِن آل لَيْلَى بَطْنِ سَاقٍ	: ديوان زهير ، ص : ٩٩ ، بيت : ٤
عَفَا مِن آلِ فاطمةَ الجِوَاءُ	: ديوان زهير ، ص : ٧٥ ، بيت : ١
تَحَمَّل آلُ لَيْلَى	: ديوان زهير ، ص : ٧٥ ، بيت : ٥
فَمَهْلًا آلَ عبد اللهِ	: ديوان زهير ، ص : ٧٨ ، بيت : ٥٩
عَفَتِ الدِّيَارُ	: معلقة لبيد ، بيت : ١
عَفَتِ الدِّيَارُ	: ديوان امرى القيس ، ص : ١٤٤ ، بيت : ١٠
أَسل الدِّيَارُ	: ديوان عنترة ، ص : ٤١ ، بيت : ٢
نَبْكِي الدِّيَارُ	: ديوان امرئ القيس ، ص : ١٥٧ ، بيت: ٤
هَلْ بالدِّيَارِ	: المفضليات ، ص : ٤٨٥ ، بيت : ١
لِمَنِ الدِّيَارُ	: ديوان زهير ، ص : ٨١ ، بيت١
لِمَنِ الدِّيَارُ	: المفضليات ، ص : ١٩٠ ، بيت : ١
لِمَن الدِّيَارُ	: المفضليات ، ص : ٢٦٣ ، بيت : ١
لِمَنِ الدِّيَار عَفَوْنَ بالجِزْع	: المفضليات ، ص : ٨٢٦ ، بيت : ١
لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتها بالأَنْعُمِ	: المفضليات ، ص : ٦٧٧ ، بيت : ١
أَلَا يا ديارَ الحَيِّ	: المفضليات ، ص : ٥٢٠ ، بيت : ١
غَشِيتَ دِيارَ الحَيِّ	: ديوان امرئ القيس ، ص : ١٢١ ، بيت : ١
غَشِيت دِيَارِ الحَيِّ	: ديوان لبيد ، ص : ٢١٢ ، بيت : ١
تَبِيت إماءُ الحَيِّ	: ديوان طرفة ، ص : ٦٦ ، بيت : ٥
وجَالَتْ عَذَارَى الحَيِّ	: ديوان طرفة ، ص : ٦٦ ، بيت : ٧
وقالَ العـذَارَى	. ديوان زهير ، ص : ٩١ ، بيت : ٣

كَمَشْى العَذَارَى فى المُلَاءِ المُهَدَّبِ	: ديوان علقمة ، ص : ١٠٥ ، بيت : ٣٢
كَمَشْى العذَارَى فى المُلَاءِ المُهَدَّب	: ديوان امرئ القيس ، ص : ١١٨ ، بيت : ٤٤
عَذَارَى دُوار فى مُلَاءٍ مُذَيَّل	: معلقة امرئ القيس . بيت : ٥٨
رَوَاهِبُ عِيد فى مُلَاءٍ مُهَدَّبِ	: ديوان امرئ القيس ، ص : ١١٨ ، بيت : ٤٣
وظَلَّ نِسَـاءُ الحَى	: المفضليات ، ص : ٣١٨ ، بيت : ١٣
يظل نسـاءُ الحَى	: ديوان طرفة ، ص : ٧١ ، بيت : ٣
لَعَمْرِى لِنِعْمَ الحَى	: ديوان النابغة ص : ٨ ، بيت : ٥
لَعَمْرِى لِنِعْمَ الحَى	: معلقة زهير ، بيت : ٣٣
وحَان مِن الحَىِّ الجَمِيعِ	: المفضليات ، ص . ٦٠١ ، بيت : ١٠
وحَان مِن الحَىِّ الجَمِيع	: المفضليات ، ص : ٨٨٩ ، بيت : ١
إِذَا ظَعَن الحَىُّ الجَمِيعُ	: المفضليات ، ص : ٤٧٤ ، بيت : ٦
إِذَا قلّ فى الحَىِّ الجَمِيع	: المفضليات ، ص : ٦٣٥ ، بيت : ١٠
وَقَفْت بِرَبْعِ الدَّارِ	: ديوان النابغة ، ص : ٢٣ ، بيت : ٢
وقَفْت بِهَا مِن بَعْد عِشْرِين حِجَّة	: معلقة زهير ، بيت : ٤
فغيَّرها منه مُلْكُ عشرين حِجَّةً	: ديوان زهير ، ص : ١٠١ ، بيت : ١٦
رَأَى خَرَزاتِى لِمُلْك عشرين حِجَّةً	: ديوان لبيد ، ص : ١٣٦ ، بيت : ٥٠
كأنِّى وقد خَلَّفْتُ تِسْعِين حِجَّة	: ديوان زهير ، ص : ١٠١ ، بيت : ٦
فى كل حِجَّة	: ديوان لبيد ، ص : ١١٨ ، بيت : ٤٤
فى كل رِحْلَة	: ديوان لبيد ، ص : ١٣٤ ، بيت : ٣٠

(ج) كلمات مُتجانسة الإيقاع :

إذا حلَّت كلمة من عبارة ما محلّ أُخرى فى عبارة ثانية وكَثُر هذا الإحلالُ كثرة مفرطةً أو خلت العبارتان من كلمة متماثلة فى كلتيهما تربط بينهما ، لقيل إن ذلك أبعد ما يكون عن مفهوم « الكلمات المعينة والعبارات الثابتة ـ"formulas" » غير أننا كثيرًا ما نجد عبارتين تخلوان من هذه الكلمة المشتركة ، ولكن يمكن

استخدام كلّ منهما على زنة تفعيلة[1] ما وفى إطار قاعدة نحوية واحدة[2] مثل هذه العبارات يطلق عليها « كلمات متجانسة الإيقاع "Structural Formulas"[3] ولما كانت اللغة العربية تعتمد أساساً على الاشتقاق فقد شاعت فيها بوفرة « الكلمات المتجانسة الإيقاع » وإذا استخدمت هذه الكلمات المتجانسة فى سياق نحوى واحد لنجم عن ذلك مايسمى بـ Structural Formulas كلمات متجانسة الإيقاع . .

عَفتِ الديَار : معلقة لبيد ، البيت : ١

عَفتِ الدِّيَار : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٤٤ ، البيت : ١٠

لَعِبَ الزَّمانُ : ديوان زهير ، ص : ٨١ ، البيت : ٢

طَرَقَ الخَيَـال : المفضليات ، ص : ٥١٥ ، البيت : ١

زَعَم الغُـدَافُ : ديوان النابغة ، ص : ٩ ، البيت : ٣

زَعَم الهُمَـام : ديوان النابغة ، ص : ١٠ ، البيت : ٢٢

حَانَ الرَحِيل : ديوان النابغة ، ص : ٩ ، البيت : ٥

كَذَبَ العَتِيقُ : ديوان عنترة ، ص : ٣٥ ، البيت : ٣

سَقَطَ النَّصِيف : ديوان النابغة ، ص : ١٠ ، البيت : ١٧

أوْفى الفَوَارِس : ديوان لبيد ، ص : ١٣٠ ، البيت : ٢

بَعْدَ الفَوَارِس : المفضليات ، ص : ٧١٣ ، البيت : ٨

بَيْنَ القَوَابِلِ : المفضليات ، ص : ٢٩٨ ، البيت : ١٤

غُبْس كَوَاسِبُ : معلقة لبيد ، ص : ، البيت : ٤

نَخْلُ كَوَارِعُ : ديوان لبيد ، ص : ١٥٢ ، البيت : ٤

رِيحُ المَصَـايِفِ : معلقة لبيد ، ص : ، البيت : ٣١

---

(١) داخل أى بحر من بحور الشعر .

(٢) فتكون كلتاهما فاعلا أو مفعولا أو منادى . . . إلخ .

(٣) Nagler, op. cit., Russo, op. cit.

ظَلَّت تخَالِجُهُ : ديوان لبيد ، ص : ١٥٤ ، البيت : ٦

ظَلَّت تُرَاصِدُنِي : المفضليات ، ص : ٧٥ ، البيت : ٣٢

وإنّ شِفَائِي : معلقة امرئ القيس ، ص : ، البيت : ٦

وكَانَ شِفَاءً : ديوان علقمة ، ص : ١١٠ ، البيت : ٥

كأنَّ دِماءَ : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٤٢ ، البيت : ٣٧

رَأَيْتُ دِمَاءَ : المفضليات ، ص : ٦١٥ ، البيت : ٥

يَرَيْنَ دِمَاءَ : ديوان لبيد ، ص : ١١٦ ، البيت : ٢٩

ظللت رِدَاءَ : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٢١ ، البيت : ٣

عَلَى ظَهْرِ أَرْضٍ : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٢١ ، البيت : ٦

عَلَى ظَهْرِ بازٍ : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٤٢ ، البيت : ٢٤

عَلَى ظَهْرِ سَاطٍ : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٤٢ ، البيت : ٢٣

عَلَى ظَهْرِ مَحْبُوكٍ : ديوان زهير ، ص : ٩٢ ، البيت : ٢١

عَلَى فَرْجِ مَحْرُومٍ : ديوان زهير ، ص : ٧٩ ، البيت : ١٠

على كلِّ مَقْصُوص : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٣٠ ، البيت : ٤٨

إلَى كُلِّ مَحْبُوك : ديوان لبيد ، ص : ١٩٧ ، البيت : ٢٦

إلَى جِذْرِ مَدْلُوكٍ : ديوان زهير ، ص : ٧٩ ، البيت : ١٤

عَلَى عَجَلٍ : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٢٢ ، البيت : ٣

عَلَى أَحَدٍ : المفضليات ، ص : ٦٨٩ ، البيت : ٥

عَلَى ضَمَدٍ : ديوان النابغة ، ص : ٧ ، البيت : ٢٥

عن غَنَمٍ : المفضليات ، ص : ٢٣٣ ، البيت : ١٠

عن عُرُضٍ : ديوان النابغة ، ص : ٤١ ، البيت : ٤

ذَا غَبَنٍ : المفضليات ، ص : ٥٢٥ ، البيت : ٧

ذَا عِوَلٍ : المفضليات ، ص : ١٣ ، البيت : ١٠

ذَا عُذَرٍ : المفضليات ، ص : ٨ ، البيت : ٧

يُزَيِّنُ نَحْرَهَا ذَهَبٌ : ديوان النابغة ، ص : ١٠ ، البيت : ١٠

عُرِيَ رَسْمُها خَلَقَـا : معلقة لبيد ، ص : ، البيت : ٢

أُسِفَّ نَوُورُهَا كفَفًا : معلقة لبيد ، ص : ، البيت : ٩

كَأَنَّ شعَاعَ الشَّمْسِ فى حَجَرَاتِهَا : المفضليات ، ص : ١٧٤ ، البيت : ٤٣

سِرَاعًا يَزِل الماءُ عن حَجَرَاتِهَا : ديوان علقمة ، ص : ١١٠ ، البيت : ٢

يَحط يَبِيسُ الماءِ عن حَجَرَاتِهَا : ديوان علقمة ، ص : ١١٠ ، البيت : ٣

دَعْ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فى حَجَرَاتِهَا : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٥٠ ، البيت : ١

وبَيْتٍ يَفُوحُ المِسْكُ فى حَجَرَاتِه : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٤٠ ، البيت : ١٤

وبَيْتٍ يَفوح المِسْكُ مِن حَجَرَاتِه : ديوان امرئ القيس ، ص : ٢٠٦ ، البيت : ١

تَرَى بَعَرَ الآرَامِ فى عَرَاصَاتِهَا : معلقة امرئ القيس ، ص : ، البيت : ٣

نِيافًا تَزِلُّ الطَّيرُ عن قُذُفَاتِه : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٣١ ، البيت : ٦٠

تَزِلُّ الأَرْعَلُ العُصْمُ عن قُذُفَاتِه : ديوان النابغة ، ص : ١٢ ، البيت : ١٥

يَزِل الغُلَامُ الخِفُّ عن صَهَوَاتِه : معلقة امرئ القيس ، ص : ، البيت : ٥٢

وقَد أَغتدِى والطَّيرُ فى وُكْنَاتِها : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٩٦ ، البيت : ١

وقَد أَغْتدِى والطَّيرُ فى وُكُنَاتِهَا : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٣٨ ، البيت : ١٥

وقَد أَغْتدِى والطَّيرُ فى وُكُناتِهَا : ديوان امرئ القيس ، ص : ١٥٤ ، البيت : ٤٧

وقَد أَغْتدِى والطَّيرُ فى وُكُناتِهَا : ديوان علقمة ، ص : ١٠٤ ، البيت : ١٩

ترَجَّعُ فى مَعَاصِمِهَا الوُشُومُ : ديوان زهير ، ص : ٩٩ ، البيت : ٣

تُعَقِّمُ فى جَوَانبِهِ السِّبَاعُ : المفضليات ، ص : ٣٧٧ ، البيت : ١٦

تَقَعَّرَت المَشَاجِرُ بالخِيَـامِ : ديوان لبيد ، ص : ٢٠٠ ، البيت : ٣

عَلَيْهِنَّ المَجَاسِدُ والبُرُودُ : المفضليات ، ص : ٤٦١ ، البيت : ٦

عَلَيْهِنَّ المَجَاسِدُ والحَرِيرُ : المفضليات ، ص : ٨٣٥ ، البيت : ٢٠

بِهَا تَرْبُو الخَوَاصِرُ والسَّنامُ : المفضليات ، ص : ٦٥٤ ، البيت : ١٩

ذَكَرت بهَا الفَوَارِسَ والنَّدَامَى : ديوان لبيد ، ص : ١٢٣ ، البيت : ٣

فيُمْنٌ فالقَوَادِمُ فالحِسَاءُ : ديوان زهير ، ص : ٧٥ ، البيت : ١٠

فَلَا يُنْدَى لَدَى ولا يُضَاعُ : المفضليات ، ص : ٣٧٣ ، البيت : ٥

فَمَا نَزْرَ الكَلَامُ وَلَا شَجَانِي : ديوان النابغة ، ص : ٣١ ، البيت : ٤

وَلَا فَضْحُ الفُضوحِ ولا شُيَيْمُ : المفضليات ، ص : ٧٦١ ، البيت : ١٧

وَلَا سَاهِي الفُؤَادِ وَلَا غَبِيٌّ : ديوان زهير ، ص : ٩٩ ، البيت : ٧

وَلَا ظُلْمًا أَرَدْت وَلَا اخْتِلَابًا : المفضليات ، ص : ٧٠٠ ، البيت : ١٤

٤ ــ كلمات تقليدية شائعة :

تمتلىء الشعر الجاهلى بكلمات معينة ، وأخر تعود فى اشتقاتها إلى أصل واحد يستخدمها الشعراء كثيرا ليعبروا بها عن صور تقليدية وأفكار معينة ، ومن الصعب أحياناً أن تتوافر أمثلة من هذه الكلمات مستخدمة داخل نفس الوزن الشعرى ، حتى يَصِحّ أن نسميها Formulaic ، وأحياناً أخرى قد تستعمل كلمة ما مع مجموعة معينة من الكلمات فى بحر ما من بحور الشعر ، ثم تظهر نفس هذه الكلمة ولكن فى سياق مجموعة أخرى من الكلمات وفى بحر مباين تماماً للبحر الذى استخدمت فيه الكلمة من قبل . فلكثرة دوران مثل هذه الكلمات وارتباطها دائماً بأداء معانٍ متشابهة يُوحِى بأن انتظامها فى Formulaic Constructio أمر قريب الاحتمال.

عندما قام العلماء بتحليل شعر هوميروس كانت أمامهم مادة غزيرة قِوامها سبعة وعشرون ألف بيت ، أما الشعر الجاهلى فهو شديد القِلة ، محدود التنوع. ولم يتيسر لهذه الدراسة سوى خمسة آلاف بيت ، ولو أتيح لها أكثر من ذلك لكانت نسبة « الكلمات المعينة والعبارات الثابتة » Formulas « أكثر وأظهر ، ولأمكنّ سلك كثير من الكلمات فى إطار نوع جديد من ال formulas ولكن لما كانت طبيعة هذا النوع من الكلمات لم تتحد بوضوح بعد فسوف تذكر فيما يلى كنوع مستقل قائم بذاته :

بِمِنًى تَأَبَّدَ : (كامل) معلقة لبيد ، ، البيت : ١

تَأَبَّدَ : (وافر) ديوان النابغة : ٢٠ ، البيت : ٣

خَلَقًا كَمَا ضمن الوُحِيَّ : (كامل) معلقة لبيد ، ، البيت : ٢

كَوَحْيِ صَحَائِفٍ : (وافر) ديوان عنترة : ٥٢ ، البيت : ٢

لِمَنْ طَلَلٌ كالوَحْيِ : (طويل) ديوان زهير : ٩١ ، البيت : ٥

فوَقَفْت أَسْأَلُهَا : (كامل) معلقة لبيد ، البيت : ١٠

فَوَقَفْتُ فِيهَا كَيْ أُسَائِلَهَا : (كامل) المفضليات : ٨٢٧ ، البيت : ٦

وقفْت أُسَائِلهَا نَاقَتِي : (متقارب) المفضليات : ٣٥٥ ، البيت : ٣

بَعْدَ عَهْدِ أَنِيسِها : (كامل) معلقة لبيد ، البيت : ٣

سُدْمًا قَدِيماً عَهْدُه بأَنِيسِها : (كامل) ديوان لبيد : ٢٠٧ ، البيت : ٧

لعبتْ به الأَمواهُ بعد أَنِيسِها : (كامل) ديوان عنترة : ٤١ ، البصت : ٣

بِسِقْطِ اللِّوَى : (طويل) معلقة امرئ القيس ، ، البيت : ١

فَسَال اللِّوَى لَهُ : (طويل) ديوان امرئ القيس : ١٣٨ ، البيت : ٥

بَيْنَ اللِّوَى فَصَرِيمَةٍ : (طويل) ديوان امرئ القيس : ١٢٤ ، البيت : ١١

بالصَّرِيمَةِ فاللِّوَى : (طويل) المفضليات : ٤٢٢ ، البيت : ٣

بالشَّرِبَّة فاللِّوَى : (طويل) ديوان زهير : ٨٣ ، البيت : ٩

سَارَتْ ثلاثًا مِن اللِّوَى : (طويل) ديوان زهير : ٨٠ ، البيت : ٢٩

بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى : (طويل) المفضليات : ٢٣ ، البيت : ٦

ومن الأَمثلة السابقة يتضح أن «الكلمات المعينة والعبارات الثابتة « formulas » فى الشعر المروىّ لا علاقة لها بتفعيلات العروض التى أوجدها الخليل بن أحمد ، فليست كل منها على زنة تفعيلة محددة ، لأَن الشاعر الراوى لا علم له بتقطيع الشعر ولكنه حين يضم هذه الكلمات وتلك العبارات بعضها إلى بعض مراعيا فى ذلك

الإيقاع ، تتكوّن لديه أبياتٌ من الشعر ، على اثنتين من ال Structural Fomulas فمثلا كثيرًا ما يحتوى البحر البسيط (أى الكلمات المتجانسة الإيقاع)هما :

(١)

غُلْبٌ سَـواجِدُ : ديوان لبيد : ٥٦ ، البيت : ٧

خَلْفَ العَضَـارِضِ : ديوان النابغة : ١٤ ، البيت : ٥

سُودُ الذَّوَائبِ : ديوان لبيد : ٥٥ ، البيت : ٤

(٢)

مَحْمُودٌ مَصَـارِعُهُ : ديوان لبيد : ٥٨ ، البيت : ٢١

مَنْكُوبًا دَوَابِرُهَا : ديوان زهير : ٨٥ ، البيت : ١٨

مَرْفُوعًا نَصَـائِبُهُ : المفضليات : ٨٤٨ ، البيت : ٧

ومزج هذين النوعين يؤدّى إلى خَلْق مِصراع من البسيط :

شِيب المَبارِكِ مَدْرُوسٍ مُدَافِعُهُ : المفضليات : ٢٤٢ ، البيت : ٢٨

وكذلك تتردد فى البحر الكامل ثلاثة نماذج من ال formulas ترددًا واسعًا ، هى :

(١)

عَفَتِ الدِّيَارَ : ديوان امرئ القيس . ١٤٤ ، البيت : ١٠

أَسَلُ الدِّيارَ : ديوان عنترة : ٤١ ، البيت : ٢

نَبْكِى الدِّيارَ : ديوان امرئ القيس : ١٥٧ ، البيت : ٤

(٢)

أَرْضِها وسمائِها : المفضليات : ٤٩٧ ، البيت : ١٥

حَيِّهـا ونِسائِهـا : المفضليات : ٤٨٠ ، البيت : ٥

كَهْلِهـا وَوَلِيدُها : المفضليات : ٣١١ ، البيت : ٢٧

(٣)

غلالا تَقَطَّعُ : المفضليات : ٥٥ ، البيت : ٨

جُرْد تَكَدَّسُ : المفضليات : ٧١٩ ، البيت : ١

هضبٍ تقَصَّرُ : المفضليات : ٢٢٣ ، البيت : ٣٨

وبتعديل طفيف لهذه النماذج الثلاثة استطاع لبيد أن ينظم البيت الأول من معلقته :

عَفَتِ الدِّيَارُ	مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا	بِمِنى تَأَبَّدَ	غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا
١	٢	٣	٢

ويجب أن ننتبه إلى أن « الكلمات المعينة والعبارات الثابتة ـ formulas » ليست قاصرة فى اللغة العربية على الصفات والنعوت ، بل هى أوسع من ذلك مدى ، فتشمل كل شيء فى العربية : الأسماء والأفعال والحروف . وهى تكثر (أى ا ل formulas) فى شعر بعض الشعراء دون البعض الآخر ، وقد وجد لورد ـ أثناء دراسته للشعر اليوغوسلافى المروىّ ـ أنه بالرغم من توفّر « الكلمات والعبارات ـ formulas » وشيوعها ، فإنّ الشاعر لا يحيط بها جميعاً ولا يستخدما كلها[1] . كما أثبت « مننديز بدال » من دراسته للشعر الغنائى فى إسبانيا أن عدد ال formulas وتنوعها فى الشعر يختلف من منطقة إلى أخرى ، ومن ثم فإنّ الشعر المروىّ يعكس الخصائص المحلية والمكانية والقبلية ويبين عن أسلوب ناظمه . ودراسة « الكلمات والعبارات formulas » فى الشعر الجاهلى تؤكد هذه النظرية وتدعمها . وقد قسّم فون جرنباوم الشعراء الجاهليين إلى ست مدارس واتخذ الأسلوب والمعنى واللغة أساساً لهذا التقسيم[2] . والتشابه الذى أظهره بين أسلوبى امرئ القيس وعلقمة ، وهما من أوائل الجاهليين (ولد كلاهما سنة ٥٠٠ م) يتضح الآن

(1) Lord, op. cit., pp. 49-50, 63-65.

(2) G. E. Van Grunebaum, op. cit ; p. 381.

ويتأكد تماماً فى ضوء نظرية ال formula كما أن بعض متأخرى شعراء الجاهلية كالنابغة وزهير ولبيد قد استعملوا نفس « الكلمات والعبارات — formulas » وقد تتيح لنا الدراسة المنظمة « للكلمات والعبارات — formulas » فى العصر الجاهلى أن نحل مشكلة ترتيب الشعراء فى مدارس حسب أزمانهم .

ولو فرضنا أن جميع المنشدين لا يستخدمون « كلمات وعبارات — formulas » واحدة ، فمن الممكن إدراج هذه « الكلمات والعبارات » المختلفة فى نوع من ال « formulas » أعم وأشمل ، تتكشف لنا من خلاله العلاقات الدقيقة بينها ، وانتماؤها إلى أصل أدبى واحد . وأكثر هذه « الكلمات والعبارات » وضوحاً وثباتاً تلك التى تعبر عن معان مطروقة فى الشعر ، وهى — أى الكلمات والعبارات — تظهر دائماً فى أوائل القصيدة لأن الشاعر قد لايتاح له أن ينشدها إلى آخرها بسبب ملل المستمعين أو انصرافهم وكل قسم من أقسام القصيدة العربية يختص «بكلمات وعبارات formulas » . فلقسم « النسيب » مثلا كلماته ، ولقسم « الرحيل » عباراته ، وهكذا ، ولكن من الممكن سلك ذلك كله فى مجموعات ضخمة من الكلمات والعبارات تعود فى أصولها إلى اشتقاق واحد ، ومن ثم فإن إحلال كلمة محل أخرى شىء جوهرى للشاعر الراوى لأن ذلك يتيح له أن يستخدم قدرته الفنية بطريقة خلاقة بدلا من أن يعتمد أساساً على ما اختزنه فى ذاكرته .

واستعمال الكلمات المعينة والعبارات الثابتة formulaic pracess فى الشعر الجاهلى لايشيع فقط فى البيت أو شطره ، بل فى التفعيلة نفسها أيضاً لأن الشاعر إذا استخدم كلمات ذات إيقاع معين أعاد تكرارها فى المصراع التالى . وهكذا نجد أسماء وأفعالا وأدوات وعبارات كاملة تستعمل فى المصراع الأول ثم تكرر بأعيانها فى أول المصراع الثانى ، كما يتضح من الأمثلة التالية :

فَلَمْ أَرَ مَعْشَرًا أَسَرُوا هَدِيًّا   ولَمْ أَرَ جَـارَ بَيْت يِسْتَبَاءُ

وجَـارُ البيتِ والرجُلُ المُنَادِى

(ديوان زهير ، ص ٧٨ ، ب : ٥٢ – ٥٣)

وقد غَدَوْت على قِرْنى يُشَبِّعْنِى

وقد عَلَوْت قتادالرحْل يَسْفعنى

(ديوان علقمة ، ص : ١٣٣ ، ب : ٤٤–٤٥)

منعتَ الليثَ من أكْل ابن حُجْرٍ   وكان الليث يُودِى بابنِ حُجْر

منعت وأنت ذو مَنٍّ ونعمى

(ديوان امرئ القيس ، ص : ٢٤ ، ب : ١–٢)

مُجَاوِرَةً بنى شَمَجَى بن جَرْمٍ

ويَمْنَعُهـا بنو شمجى بن جرم

(ديوان امرئ القيس ،ص :   ،ب :٢ ، ٣)

زَعَمَ الغـدَاف بأَنَّ فِيها بَارِد

زَعَمَ الغـدَاف ولم أَذقْهُ أَنَّهُ

زَعَمَ الغـدَاف ولم أَذقْهُ أَنهُ

ومن المعروف أن كل بيت فى القصيدة ينتهى بنفس القافية ، ولكن الصلة الموسيقية بين نهاية البيت وبداية الذى يليه تكاد تنعدم فى الشعر الجاهلى لذا يربط الشاعر بين أبياته بحروف العطف ، أو بتكرار كلمة جاءت فى بيت سابق . وهذه سمة من سمات الشعر المروى ، كما لاحظ لورد[1]

(1) The Singer of Tales, op. cit. p. 54

ولكن كيف استطاع . الشاعر الجاهلى أن يمتلك هذا المخزون الهائل من الكلمات المعينة ،والعبارات الثابتة «formulas» ويستخدمه باقتدار فى بحور الشعر كلها ؟ هل لكل بحر من هذه البحور كلمات معينة وعبارات ثابتة لا تُستخدمَ إلا فيه؟ أم أن هذه الكلمات والعبارات سابقة فى الوجود على زمان البحور ؟ يبدو أن الغرض الثانى أقرب إلى الاحتمال ، فترتيب الكلمات والعبارات ترتيباً معيناً ينتج عنه نشوء بحر من البحور .

وقد اختار الدكتور منرو أربعة من أكثر بحور الشعر دوراناً فى العصر الجاهلى وهى الطويل والكامل والوافر والبسيط . ثم أخذ من كل بحر عبارات معينة ، وقابلها على عدد ضخم من الأبيات على نفس البحور ، فوجدها متشابهة « formulas » ، كما يتضح من الأمثلة التالية :

أَرْضِهـا وسَمائِهَا : الكامل (المفضليات : ٤٧٩ ، ب : ١٥) .

بَدْوُهَا وإيادُهَا : الطويل (المفضليات : ٤٧٨ ، ب : ١٠) .

بالجَلْهَتَيْنِ : الكامل (معلقة لبيد ، ب : ٦) .

بالجَلْهَتَيْنِ : الطويل (ديوان لبيد : ١٩٦ ، ب : ٧) .

ذِكْرَى حَبِيب : الطويل (معلقة امرئ القيس ، ب : ١) .

ذِكْرَى حَبِيبٍ : البسيط (ديوان امرئ القيس : ١٢١ ، ب : ١) .

وَقَفْتُ بِهَـا : المتقارب (المفضليات : ٨٣٧ ، ب : ٣) .

وَقَفْت بِهَـا : الوافر (ديوان النابغة : ٣٠ ، ب : ٣) .

وبتعديل طفيف فى هذه العبارات يصلح استعمالها فى بحر مختلف ؛ فالعبارة الأخيرة مثلاً « وقفت بها » إذا أُضيفت لها « فاءٌ » فى أولها ، وأشبعت « الكسرة » فى « بها » لتصبح « فيها » ، دخلت فى بحر الكامل :

فَوَقَفْتُ فِيهـا : الكامل (المعلقات : ٨٢٧ ، ب : ٦)

فَوَقَفْتُ فِيهـا : الكامل (معلقة عنترة ، ب : ٣) .

ومن هنا قد يصح لنا أن نستنتج أن ترتيب الكلمات والعبارات « formulas »

هو الذى يحدد البحر . ومن الملاحظ أن هناك كلمات بأعيانها تتكرر كثيراً فى بحور بذاتها ، وهذه الظاهرة من العلامات المميزة للشعر المروىّ فقد لاحظ بارى أن هوميروس يستعمل بكثرة كلمات مترادفة فى بحور معينة ، بينما يستخدم مترادفات أخرى فى بحور مختلفة ، وهذا يعنى أن استعمال المترادفات لم يكن لمجرد التأثير ، ولكن كان لغرض محدد . وغنى عن البيان أنْ الشعر الجاهلى يزخر بالمترادفات ، ولو أنعمنا النظر فى هذه المترادفات لوجدناها تدور كثيراً فى بحور معينة دون أخرى . فمثلا كلمة « طَلَل » ومترادفها « دِمَن » تقعان كثيرا فى البحر الطويل والبحر الوافر ، بينما تجىء كلمة « الديار » فى البحر الكامل :

لِمَنْ طَلَلٌ : الوافر (ديوان زهير : ٩٩ ، ب : ١ (.

لِمَنْ طَلَلٌ : الوافر (ديوان لبيد : ١٢٣ ، ب : ١) .

لِمَنْ طَلَلٌ : الطويل (ديوان زهير : ٩١ ، ب : ٥) .

لِمَنْ دِمَنٌ : الطويل (المفضليات : ٥٥٩ ، ب : ١) .

لِمَنْ الدِّيَار : الكامل (ديوان امرئ القيس : ١٥٧ . ب : ١) .

لِمَنْ الدِّيَارُ : الكامل (ديوان زهير : ٨١ ، ب : ١) .

لمن الديار : الكامل (المفضليات : ١٩٠ ، ب ١)

لِمَنْ الدِّيَارُ : الكامل (المفضليات : ٢٦٣ ، ب : ١) .

ولما كانت الكلمات المعينة والعبارات الثابتة « formulas » سابقة فى الظهور على البحور ، يمكن تعديلها أحياناًباستعمال المترادفات لتناسب بحرًا ما . ومما لاخلاف فيه أن هذه الكلمات والعبارات مختزنة فى ذهن الشاعر قبل أن ينظم بيت شعر ، وبمساعدة الإيقاع يسلكها فى نسق معين يتولد عنه بحر من بحور الشعر . فإذا صح هذا الكلام استطعنا أن نفسّر اضطراب الأوزان فى الشعر العربى تفسيراً

(1) M. Parry, studies I'' HSCP XLI, 1930.

أبسط مما قدمه لنا العروضيون ، ولنأخذ مثالا ببحر الكامل ، فكل تفعيلة فيه تبدأ إما بمقطعين قصيرين ، أو بمقطع واحد طويل . ويشيع فى البحر الكامل التركيب التالى : فعل + أداة التعريف + اسم على هذه الصورة :

ه ـ ه ـ ه ـ ال ه ـ ه ـــ ه ـ ، مثل :

لعِب الزَّمَانُ : (ديوان زهير : ٨١ ، ب : ٢) .

طَرَق الخَيَـالُ : (المفضليات : ٥١٥ ، ب : ١) .

ولَمَّا كان المفرد المذكر للغائب فى الفعل الماضى الأجوف هو : ه ـــ ه ـ ، لا ه ـ ه ـ ه ـ كالفعلين فى المثالين السابقين ،فكثيراً ما يحل الفعل الأجوف محل الفعل الصحيح ، مثل :

حانَ الرَّحِيلُ : (ديوان النابغة : ٩ ، ب : ٥) .

وإحلال كلمة محل أخرى تساويها أو تقاربها فى نفس السياق النحوى أمر شائع فى اللغة العربية ، وهذا يؤدّى بدورة إلى خلق كلمات وعبارات « formulas » تتميز باضطرابات عروضية بسيطة لا يستطيع الشاعر الراوى أنْ يتلافاها ، فلا وقت لديه لمراجعة شعره وصقله . ومن الجدير بالذكر أن ابن خلدون قد تنبّه إلى الأساليب الفنية التى يستخدمها الشاعر الراوى ،قال :

ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها فى إطلاقهم . فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذى ينسج فيه التراكيب ، أو القالب الذى يفرغ فيه ؛ ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذى هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذى هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذى هو وظيفة العروض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية . وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصور ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيه رصاً كما يفعله البنّاء فى القالب أو النسّاج

فى المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربى فيه ... وهذه الأساليب التى نحن نقررها ليست من القياس فى شىء ، وإنما هى هيئة ترسخ فى النفس من تَتَبُّع التراكيب فى شعر العرب ، لجريانها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها فى كل تركيب من الشعر[1] .

فابن خلدون يرى أن الأُسلوب الشعرى لا علاقة له بالنحو أو البلاغة أو العروض ، وهى العلوم الثلاثة التى كان للشاعر العربى أن يحيط بها . وإنما الأُسلوب الشعرى هو اقتدار الشاعر على استدعاء الكلمات والعبارات « formulas » وإحلال إحداها محل الأُخرى .

تحليل احصائى للشـــعر الجاهلى

لما كان جَمْع كل الشعر الجاهلى أمراً بالغ الصعوبة ، فقد اكتفى الدارسون بشعر الشعراء الستة الذين نشر الْوَرْد ديوانهم : النابغة ، عنترة ، طرفة ، زهير ، علقمة ، امروُ القيس ، ثم ديوان لبيد وكتاب المفضليات . ورأوا أن هذا الاختيار ملائم ، لأنه يشمل قرناً من الزمان أو يزيد : من بداية القرن السادس حتى أوائل القرن السابع . ولكن – على هذه الملاءمة – أعربوا عن خشيتهم أن التحليل الإحصائى لن يكون دقيقاً أو مُبيناً لأن عدد الأبيات التى اعتمدوا عليها قليل بالقياس مثلاً إلى شعر هوميروس . وبينما استطاعوا عرض عشرة أبيات من البحر الطويل كنموذج على ٢٥٢٠ بيتاً من نفس البحر ، فإنهم لم يتمكنوا إلا من مقابلة عشرة أبيات من الكامل على ١١٥٧ بيتاً فقط من نفس الوزن ، هى كل ما وجدوه ، وبالتالى كانت نسبة الكلمات والعبارات « formulas » فى كلا البحرين ، ٨٦و٨٩ ٪ و ١٢و ٨٢ ٪ على الترتيب ، ولو كانت الأبيات المتاحة فى البحر الكامل أكثر لكانت النسبة أعلى . والتحليل الإحصائى كما يلى :

١ – أُخِذ نموذج من شعر امرىء القيس

(١) مقدمة ابن خلدون ، ٤ : ١٢٩٠ – ١٢٩٣ – تحقيق على عبد الواحد وافى بلجنة البيان العربى ١٩٦٢ .

ولبيد وزهير والنابغة : من البحر الطويل والبسيط والكامل والوافر . واختيرت هذه البحور بالذات لأنها أكثر استعمالا فى الشعر الجاهلى من غيرها ، فقد وجدت الباحثة مارى بتسون أن البحر الطويل يشكل نسبة ٢١١و٥٠ ٪ من مجموع الشعر الجاهلى ، بينما يمثل الكامل ٥٣و١٧٪ ، أما البسيط والوافر فيمثلان ٧٧و٢٤ ٪ (1)

٢ ـ قوبلت الأبيات العشرة الأولى من معلقة لبيد على ١١٥٧ بيتاً من البحر الكامل جُمعت من ديوان لبيد نفسه ، ومن أشعار النابغة وعنترة . وعلقمة وطرفة وزهير وامرئ القيس ، ومن أشعار شعراء آخرين عاشوا فى نفس الفترة كانت نتيجة هذه المقابلة أن ٨٢و٨١ من شعر لبيد ـ الذى أُخِذ كنموذج ـ تشيع فيه كلمات معينة وعبارات ثابتة « formulas » .

٣ ـ عُورِضت الأبيات العشرة الأولى من معلقة امرئ القيس بـ ٢٥٢٠ بيتاً من نفس البحر ، أُخِذت من ديوان امرئ القيس ومن دواوين الشعراء الستة ، ومن أشعار سائر الشعراء الجاهليين . أوضحت هذه المعارضة أن ٨٦و٨٩٪ من أبيات امرئ القيس تحتوى على كلمات معينة وعبارات ثابتة « formulas » .

٤ ـ قُورِنَت الأبيات العشرة الأولى من القصيدة رقم : ١٨ فى ديوان زهير بثمانمئة بيت من نفس البحر الوافر ، تضم كل شعر زهير ـ الذى على هذا الوزن ـ وأشعار الستة الجاهليين وغيرهم أسفرت هذه المقارنة أن ٥٩و٩٢ ٪ من شعر زهير ـ الذى أُخِذ كنموذج ـ يتضمن كلمات معينة وعبارات ثابتة « formulas ».

٥ ـ ضُوهِيَت الأبيات العشرة الأولى من القصيدة الخامسة فى ديوان لبيد ، ـ وهى من البحر البسيط بـ ٦٤٦ بيتاً من نفس البحر ، تتضمن كل شعر لبيد الذى جاء على هذه الوزن ، وشعر الشعراء الستة الجاهليين ، وغيرهم . أوضحت هذه المضاهاة أن ٦٢و٨٥ ٪ من شعر لبيد

(1) Mary Catherine Batzson, Structural Continuity in Poetry - A Linguistic Study of Five Pre-Islamic Arabic Odes (Paris, 1970), p. 30.

المضاهى هو كلمات معينة وعبارات ثابتة « formulas » .

يعتقد بعض الدارسين أن الكلمات المعينة والعبات الثابتة «formulas » ماهى إلا شئ مفروض على الشاعر ، تمليه عليه طبيعة البحر ، أى أن البحر هو الذى يحدد هذه الكلمات والعبارات . ولو صح هذا ، لكانت نسبة الكلمات والعبارات التى تجيء فى شعر الشاعر الراوى (أى الأمى) والشاعر الكاتب (الذى يعرف القراءة والكتابة)واحدةً . أما إذا قبلنا النظرية التى تقول إن الشاعر الراوى يستعمل الكلمات معينة وعبارات ثابتة ليخلق بحرا من البحور ، بينما الشاعر الكاتب يستعمل كلمات — يأتى بها هو — فى بحور موجودة فعلا إذا قبلنا هذه النظرية وجدنا أن نسبة شيوع الكلمات المعينة والعبارات الثابتة « formulas» أعلى بكثر بين الشعراء الأميين منها بين الشعراء الكاتبين .

لإثبات هذا الغرص أخذ الدارسون الأبيات العشرة الأولى من معلقة امرئ القيس وقارنوها بـ ٥٧٤ بيتاً — على نفس الوزن — من الشعر الجاهلى ، فوجدوا أن نسبة الكلمات المعينة والعبارات الثابتة فيها هى ٢٤و٣٣ ٪ . ثم قارنوا هذه الأبيات العشرة نفسها بـ ٣٤٨ بيتاً من شعر أبى نواس والمتنبى وابن زيدون والبارودى وكلهم شعراء كاتبون — فوجدوا أن نسبة الكلمات والعبارات « formulas » هى ٢٢و٩ ٪ فقط . ثم اتبعوا نفس الطريقة فى البحر الكامل ، فعارضوا الأبيات العشرة الأولى من معلقة لبيد بـ ٢٩٩ بيتاً من الشعر الجاهلى من نفس الوزن ، فاستبان لهم أن نسبة الكلمات والعبارات « formulas » هى ٣٢و٣١ ٪ بينما لم تتجاوز هذه النسبة ٦٤و٩ ٪ فى الشعراء الكاتبين المذكورين قَبْلُ .

بلغت نسبة الكلمات والعبارات التى فحصت هنا ٥٤و٨٧ ٪ وانطبقت على ٣٨و٩٥ ٪ من الشعر الجاهلى . ولو نظرنا إلى هذه الكلمات والعبارات التى استعملت فى البحر الكامل لوجدنا نسبتها هى ٣٢و٣١ ٪ من الشعر الجاهلى كله ، ولكنها لا تشكل إلاّ ٦٤و٩ ٪ من شعر الشعراء الكاتبين ، ثم فيحق لنا أن نقول إن الشاعر الأمىّ الجاهلى يستعمل الكلمات والعبارات .

« formulas » ثلاثة أضعاف استعمال الشاعر الكاتب لها .

والكلمات والعبارات formulas التى استعملها الشاعر الجاهلى مستمدة من تراث تكاتفت أجيال على خلقه بحيث أصبح مَعِينُه طوع الشعراء ، وليس الأمر كذلك مع الشعراء الكاتبين ، أى أن الشاعر الجاهلى يعتمد على وسائل فنية جماعية قد هُيِّئَت وأُعِدّت له ، لاعلى كلمات يستمدها من ذات نفسه

ولاشك أن عدم تميز الشاعر الجاهلى عن غيره فى أسلوبه وخصائصه – على عكس مانجد عند أبى نواس والمتنبى مثلا – يدل على هذا المصدر الجماعى الذى استقى منه الجميع وهذا بدوره سمة بارزة من سمات الشعر المروى

ومن هنا . يمكن القول بأن الشعراء الجاهليين كانوا شعراء رواة ، يعتمدون على هذا المخزون الهائل من الكلمات والعبارات formulas ، ويرتجلون أشعارهم خلال وقت الإنشاد ، لا أنهم يحفظون أشعارا بعينها يرددونها كما هى ، على عكس شاعر العصر العباسى الكاتب الذى من خلال مراعاته الدقيقة لقواعد النحو والعروض والبلاغة استطاع أن يخلق لنفسه أسلوبا متميزا وخصائص متفردة وفى حين استعمل الشعراء الجاهليون بحرية نفس الكلمات والعبارات لأنها ليست ملكا لأحد وإنما حقٌّ مُشاع للجميع ، وجد الشاعر العباسى الكاتبُ نفسَه أمام نقاد يتهمونه بالسرقة إنْ اجتلب كلمة أو عبارة أو فكرة من شاعر آخر . ويجب أن نفسر الكلمات المتجانسة الإيقاع Structural formulas التى تشيع فى شعر الشعراء الكاتبين بأنها تقليد واع أو غير واع لأدبهم الموروث أعْداهم على استعمالها حِفْظُهم ومدارستهم لذلك الأدب .

وكان بعض النقاد يرون أن الأصالة الحقة فى الشاعر تكمُن فى مقدرته على تجديد أو إضافة لصورة من صور الشعر القديم ، وطالبوا الشاعر أن يتمسك بشكل القصيدة الجاهلية وبالموضوعات التى عالجتها ، ولكن كان عليه أن يعبر عن ذلك بكلمات وعبارات مغايرة لما يقلده وإلا اتهموه بالسرقة . ولهذا اجتهد الشاعر العباسى الكاتب فى أن يستمد

لغته وعباراته من نفسه ، ويتحاشى ما أنهاه إليه الجاهليون . والمعروف أن أبا تمام والمتنبى قد جددا فى أشعارهما والمعروف أيضا أنهما قد أتيا فى هذه الأشعار بما استهجنه النُّقاد كقول المتنبى فى ختام مديحه لهارون الأوراجى :

لو لَمْ تَكُنْ مِن ذا الوَرَى الَّلذْ مِنْكَ هُو
عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِها حَوّاءُ

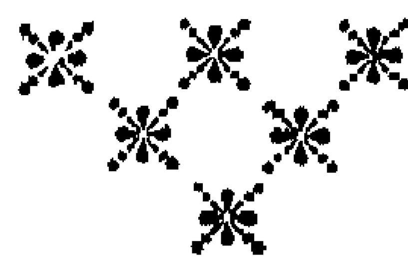
والبيت من الكامل ، وشطره الأول وَعْر خَشِن ، لايحتوى على أية كلمات أو عبارات « formulas » مستمدة من العصر الجاهلى ، أما شطره الثانى فيحتوى على واحدة فقط. «نسلها» جاءت فى معلقة لبيد ، أعادت للبيت سلاسته .

وقد ساعدت هذه الكلمة ـ لأنها مستمدة من تراث قد جُرِّب وقُبِل ـ أنْ تحفظ توازن البيت وتعْدِل كِفَّة الخشونة فى الشطر الأول ولما هجر الشعراء استعمال صيغ الشعر المروىّ فيما بعد نظرًا لشيوع الكتابة ، واتجاههم إلى الخلق والابتكار ، أصبح لكل منهم أسلوبه المتميز :

وبما أن « الشعراء المحدثين لم يستوعبوا الكلمات المعينة والعبارات الثابتة «formulas» التى استعملها الجاهليون وبما أنهم جددوا وابتكروا وأوجدوا لأنفسهم أسلوبا متميزا ، يحق لنا أن نقول إن الشعر الجاهلى صحيح ، ولم يكن فى مقدور هؤلاء الشعراء الكاتبين أن يزيفوه

والشعر المروىّ فى كل الآداب ليس له « نصّ » ثابت ، فالشاعر عند كل إنشاد يدخل تعديلات قد تقل أو تكثر على القصيدة . والقصيدة نفسها يطرأ عليها نوع من التغيير على مدى الزمن المتطاول وتبعا لتغيّر ثقافة الأمة عبر هذا الزمن ، ولكنها ـ رغم هذا التغيير ـ تحتفظ جوهرها وموضوعاتها الأساسية ، فمثلا فى الشعر الملحمى ، تبقى « العُقْدة » : كما هى مهما تبدلت أجزاء الملحمة . والشعر الأنجلو ـ ساكسونى المسيحى ستعمل نفس الكلمات والعبارات « formulas » التى استخدمها الشعر الأنجلو ـ ساكسونى الوثنى قبل المسيحية ، ولكن المسيحية هذبت من هذه الكلمات والعبارات بما يتمشى مع عقيدتها لذا نرى فى قصيدة بِى ولْف Beowulf التى

أُلِّفَت قبل ظهور المسيحية ، عناصر مسيحية واضحة . ونرى فى الشعر القصصى الإسبانى المسيحى الذى يتناقله اليهود فى المغرب آثارا واضحة لتخليصه من السمات المسيحية . هذه المرونة تتَقَبَّل كل جديد مع الاحتفاظ بالجوهر والأَصل القديم سمة بارزة من سمات الشعر المروى . وعلى هذا الضوء يمكن لنا أن نقول إن الأَمر كان كذلك فى الشعر الجاهلى ، ومن ثم نستطيع أن نفهم لماذا يشيع فيه ذكر «الله» والقسم به ، ولماذا يحتوى على عبارات تكاد تكون آية قرآنية بنصها . فالشعر الجاهلى قد استوعب عناصر إسلامية خلال القرون الإسلامية الأُولى ليتخلص من العناصر الوثنية .



خاتمـة

لم تطَبَّق نظرية بارى – لورد حتى الآن بصورة عامة إلّا على الشعر الملحمى ، أى الأشعار الطويلة ذات الطابع القصصى. ولعل طول القصائد المفرط هو الذى جعل ظهور أسلوب « الكلمات والعبارات formulas » أمرًا ضروريًا ، فاعتماد الشاعر على الذاكرة وحفظه للقصيدة كاملة أمرٌ لا يكاد يكون. ولكن الشعر الجاهلى شعر غير قصصى. وإنما هو فى جملته شعر غنائى وَصْفِيّ ، تتراوح طول قصائده بين بضعة أبيات إلى مائة بيت أو ما يقاربها . فالشعر الجاهلى – مثل الشعر القصصى الأوروبى وأغانى تودا الهندية – قليل عدد الأبيات بحيث يسهل حفظها ، ومن ثم فإن أمر الاعتماد على الذاكرة فى حفظه وتداوله يبدو أمرًا مقبولًا غير مدفوع ، ومن ثم فلابد من تعديل طفيف فى نظرية بارى – لورد فيما يختص بتطبيقها على الشعر الجاهلى .

لقد أوضحت هذه الدراسة أن الشعر الجاهلى شعر مروىّ ، يحتوى على نسبة عالية من الكلمات المعينة والعبارات الثابتة «formulas». ولا يعنى اختلاف الروايات واختلاف ترتيب الأبيات فى النسخ المختلفة للديوان الواحد أن ذلك الاختلاف ناشئ عن تغيير وتبديل فى الكلمات والعبارات « formulas » كما أشرنا عن الشعر الملحمى . فهذا الأمر فى الشعر الجاهلى يدل على استقرار فى « النصوص » لا يعرفه الشعر الملحمى الطويل . وهذه الظاهرة – أى ظاهرة الاستقرار – يرى لورد أنها تميز الشعر الملحمى القصير الذى يُغَنِّيه القصاص دوامًا . فى هذه الحالة يحفظ المنشد الشعر ، ولكن هذا الحفظ غير مقصود لذاته ، ولا يكون إلّا بعد اللجوء إلى الوسيلة الفنية لتأليف الشعر المروىّ ، أى اللجوء إلى الارتجال اعتمادًا على الكلمات والعبارات السابقة الوجود «formulas» . فالحفظ والارتجال للأشعار القصيرة ليسا شيئين متناقضين ، بل هما متلازمان يتمان بطريقة واعية حتى يستقر « النص » فى ذهن الشاعر . وسواء كان الحفظ أو لم يكن ، فالذى يجب أن نضعه نصب أعيننا هو أن الارتجال المعتمد على الكلمات والعبارات «formulas»

هو الطريقة الوحيدة المتاحة للشاعر الأُمِّيّ بغَضِّ النظر عن نوع هذا الشعر (قصصى – غنائى – وصنى ... إلخ) والشكل الذى يتخذه. فمثلًا لاحظ الدارسون أن الشعر الإسبانى فى العصور الوسطى ـ سواء كان ملحميًّا أو قصصيًّا أو غنائيًّا استخدم كله نفس الكلمات والعبارات « formulas » . ولكن لما انقرضت طبقة الشعراء المحترفين الذين أجادوا فن الارتجال ، مات معهم الشعر الملحمى ، بينما استمر الشعر القصصى والغنائى نظرًا لقصر قصائده التى يسهل حفظها فى الذاكرة. ومثل ذلك يمكن أن يقال عن الشعر العربى ، فهناك الرواة الذين صانوا الشعر عن طريق حفظهم له ، ولكن كان ذلك فى مرحلة تالية لمرحلة خُلِقَ فيها هذا الشعر بالطريقة التى حاولنا إثباتها هنا . وبعض هؤلاء الرواة لم يكونوا رواة فقط ، بل كانوا شعراء مبتدئين ، رَوَوْا شعر شاعر للتلمذة عليه ، فلما استكملوا الأداة واستحكم فنهم أصبحوا شعراء مشهورين كما نعرف عن كعب بن زهير . ونرى أن الشاعر خلال فترة التلمذة هذه يكتسب الكلمات المعينة والعبارات الثابتة «formulas» التى سيستعملها فيما بعد .

وبناء على ما قدمناه فإننا نرى أن الشعر الجاهلى صحيح غير منحول ، ولكنه لم يصل إلينا بالصورة التى كان عليها عندما نظمه الشعراء ، وإنما على صورة قريبة دخلها تغيير وتبديل نتيجة للرواية ، ومحاولة نزع العناصر الوثنية منه لذلك يجب أن ندرس الروايات المختلفة لأى قصيدة على ضوء تاريخ ظهور هذه الروايات ، وحسب التنقيح الذى أدخله صانعوا الدواوين . وإذا اتضح لنا أن هذه الاختلافات نتيجة لاختلاف المصادر التى استسقى منها صانعو الدواوين ، فيجب أن تقبل هذه الاختلافات على أنها كلها صحيحة ، لأن البحث عن « نص أصلى » فى الشعر المروىّ جهد ضائع لا محصل وراءه .

وبعد ، فهذه خلاصة النظرة الجديدة إلى الشعر الجاهلى ، عرضتها كما هى ، ولم أتدخل فيها ، ولى ردّ مُفَصَّل إن شاء الله فى القريب . وآمل أن يتصدى لها الدارسون بالبحث والنقد .

عادل سليمان جمال
أستاذ اللغة العربية وآدابها
باحدى جامعات الولايات المتحدة

الأرقام كوسيلة لعبور الحرف العربي عن طريق الآلة حسب مخطوطة مغربية كتبت قبل قرن

للدكتور عبد الهادي التازي

لقد احتفظت « الخزائن المغربية » منذ النصف الثاني من القرن الماضي بوثيقة تتعلق أصلاً بموضوع التعليمات السرية التي ترسل بواسطة التلغراف في أعقاب شيوع استعمال هذا الجهاز في التاريخ المشار إليه .

والحديث عن هذه الوثيقة التي بين أيدينا يستدعي منا أن نتناول عدداً من العناصر الضرورية لإلقاء الضوء على هذه المخطوطة .. مصدرها ؟ تحديد وقت كتابتها ؟ مكانها من الطرق الأخرى المستعملة في « الكتابات الباطنة » ؟ مضمونها كمصدر من مصادر تاريخ المغرب وتاريخ الدول التي كانت تربطها علاقات بالمغرب ... وأخيراً – وهذا بيت القصيد في تدخلنا ... الدوافع التي كانت تكمن وراء اختراعها وبالحرى الدوافع التي حدت بالدولة آنذاك للاستعانة على أداء الكلمة العربية أو الحرف العربي بالأرقام الغبارية التي تحمل في الموسوعات العالمية اسم الأرقام العربية : (Les chiffres arabes)

لقد وصلتنا هذه الوثيقة عن طريق المعرض الذي أخذت وزارة الثقافة على عاتقها تنظيمه كل عام لتوزيع جائزة الملك الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق ، كانت في صدر الوثائق التي نجحت بالمعرض الخامس الذي تم سنة ١٩٧٣ ؛ وقد قدمت من لدن السيد الحاج محمد غنام الذي ينتسب لأسرة السيد بناصر غنام الذي كان يشغل منصباً دبلوماسيا أوائل هذا القرن في دار النيابة السلطانية التي كانت في طنجة بمثابة وزارة الشئون الخارجية ...

أما عن وقت كتابتها أو تحديد نسخها فيتأكد أنه كان في أثناء الفترة التي

دعى فيها أمين الأمناء الحاج عبد السلام التازى عام ١٣٢٢ - ١٩٠٤ لشغل منصب « النيابة » بطنجة ، عرض الحاج محمد ابن العربي الطريس ، حيث وجدنا النائب الجديد يطلب من العاهل المغربي مولاى عبد العزيز بن الملك الحسن الأول أن يشد أزره بإبقاء السيد بناصر غنام إلى جانبه تقديراً لخدماته وتجربته الطويلة ..

وعلى خلاف القلقشندى فى صبح الأعشى عندما قدم لنا نماذج متعددة لأداء الخطابات السرية . . . وعندما كان يعتمد فى بعضها على استعمال الأرقام الهندية ، فإن « الدليل » الذى بين أيدينا يعتبر لبنة أولى فى طريق بناء سيميولوجيا مغربية متميزة لإغناء وتتميم التراث العربي فى هذا الموضوع على حد تعبير أحد الأساتذة .

أما عن مضمون الوثيقة فإنه حافل بالمعطيات التى لا تقف عند حد ، ويكفى أن نذكر من تلك المضامين التأكيد على أن المغرب - وهو مطوّق بشتى المؤامرات العالمية - كان مثلاً للدولة الكاملة التى تتمتع بسائر المقومات على خلاف ماكان يقال من أن المغرب كان فراغاً .. ؟ كان مثلا للدولة الكاملة بما عرفته أنظمة المواصلات بين المدن فيما بينها وبين المغرب وغيره من الدول كذلك ، فهنا سعاة البريد الذين يعرفون باسم « الرقّاصة » وقد كانوا مثلاً فى الضبط والأمانة ، علاوة على ما يتمتعون به من بنية قوية وتجربة متجددة [1]

كان من أبرز مضامين هذه الوثيقة أنها كانت « سبْقاً » تقنياً فى ميدان ضبط الأسماء الجغرافية عن طريق الرقم العربي . فلقد سبق هذا الابتكار بأكثر من نصف قرن ، الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية إلى التعامل بالأرقام والتوسل بواسطتها لاستعمال ما يسمى بالمصطلح البريدى لمعرفة مواقع المدن (Zip Code)

(١) الرقاصة : جمع رقاص : ساعى البريد واللفظ من المصطلحات الحضارية التى استعملها المغرب منذ العصر الوسيط معتمدا على المعنى اللغوى لكلمة « الرقص »

بزجاجة رقصت بما فى قعرها   رقص القلوص براكب مستعجل

وقد سنت بالمغرب منذ 16 ربيع الأول 543=4 غشت 1148 قوانين تحدد مهامهم وتعويضاتهم .
ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة ، تحقيقى د. عبد الهادى التازى ، بيروت 1964 ، ص129 ابن القطان : نظم الجمان ، تحقيق ، د. محمد على مكى ، تطوان ، ص 152

فى أمريكا و (Edex) فى فرنسا ، وكذلك لابتكار ما يسمى الرقم الشخصى فى بطاقات التعريف المستعملة اليوم فى الدول الإسكنديناڤية (Magétique) باعتبار أن الأرقام يمكن أن يستعين بها العقل الإليكترونى .. ومن المعلوم أن الوثيقة التى بين أيدينا تعطى – منذ ذلك التاريخ – للشخصيات المسئولة أرقاماً خاصة ، كما تعطيها أيضاً للمؤسسات الحكومية والدور التجارية الكبرى التى تمثل بعض الشركات العالمية .

وبعد أن تقدم لنا الوثيقة شبه قاموس رتبت كلماته على الترتيب المعهود لدى أهل المغرب والأندلس .

ومن المعلوم أنه كان للمغاربة والأندلسيين ترتيب فى الحروف الهجائية ، وكذا الحروفُ الأبجدية غير ترتيب المشارقة على ما يذكره غير واحد من أمثال ابن عبد الملك المراكشى وابن خلدون والقلقشندى[1]

أما عن الدوافع التى حفزت بالمشرفين على الإدارة المغربية إلى اعتماد هذا الدليل طريقة ، فيمكن أن نلخصها فى الكلمات التالية :

لقد كان المغرب حريصاً على أن يحافظ على استقلاله الذى لم تستطع دولة ما من الدول عبر التاريخ أن تكسره . وهو – بعد أن احتُلت الجزائر عام 1930 – أخذ يشعر بعبءٍ أثقل مما كان من ذى قبل ، ولذا كان من مخططاته أن يعمل دوماً على مواكبة الركب العالمى حفاظاً على كيانه ، ومن ثمت وردت فكرة الاستفادة من جهاز التلغراف للاتصال بمختلف الأقاليم وسيتصل بقناصله وديبلوماسّييه الذين كانوا آنذاك موجودين فى عدد من جهات الدنيا .. كان على رأسها مصر القاهرة .

---

(١) فيما يتعلق بالحروف الهجائية ،المغاربة مع المشارقة يتحدون إلى حرف الزاى الذى يليه عند المغاربة : ط. ظ. ک ل. م. ن. ص. ض.ع .غ . ف. ق. س. ش. ه. و. لا. ى. بينما المشارقة يجعلون بعد الزاى : س. ش.ص. ض. ط. ظ. ع.غ . ف. ق . ک. ل. م. ن. ه. و. لا. ى. هذا إلى الخلاف الذى يلاحظ فى القيمة العددية لستة من حروف أبجد : فالمغاربة يعدون ص : 60 وض 90 وس 300 ، وظ 800 وغ 900 وش 1000 – والمشارقة يعدون ص 90 وض 800 وس 60 وظ 900 وغ 1000 وش 300

ولكن كيف تطير تلك التعليمات وكيف تبلغ تلك الأخبار ... والأجهزة الحديثة لا تستوعب الكلمات والحروف العربية ... إن الأمر لا يتعلق فقط بتعمية التعليمات والأخبار ... ولكنه يتعلق بصعوبته وبعدم وجود طريقة لأداء الحرف العربي .

وهكذا فكر المغاربة آنذاك في الاستعانة بشكل ما من الأشكال ، على أداء الحرف العربي ، شريطة أن يكون هذا الشكل مقبولا من لدن جهاز التلغراف وضمن حروفه المسبوكة .. !

ومن هنا وردت فكرة الاستعانة بما نسميه الرقم الغباري ، أي الرقم العربي . وحينئذ وجدت الحكومة المغربية آنذاك أن من السهل عليها الاتصال بجميع أطراف المغرب وبممثليه في الخارج عن طريق الترميز بذلك الرقم ...

ونصرًا للغموض أو اللبس الذي لاحظ المخترع لهذا الدليل ، أنه قد يتعرض له الذي يُشَغل آلة التلغراف ، عندما يركب الرسالة بواسطة أرقام غبارية متوالية ، نظرًا لذلك وجدناه يبتكر فاصلة توضع بين الكلمات تمييزا لها فيما بينها على نحو ما يقوم عليه اليوم نظام التفريق بين الكلمات ببعض الفراغ . وكانت الفاصلة التي اختارها صاحب الاختراع على شكل خط أفقي صغير أي شرطة قصيرة .

وقد شعر صاحب الاختراع بأن قاموسه قد لا يستوعب سائر أغراض الرسالة ، لذلك وجدناه يقدم طريقتين عمليتين للاستعانة بهما توفية للمقصود ، ويتعلق الأمر بالنسبة للطريقة الأولى بعملية تعويض الحروف الهجائية على تواليها بأرقام عربية معينة .. فعوض أن تعطى التعليمات بواسطة حروف المعجم ، تعطى بالأرقام العربية المعينة . وزيادة في رفع اللبس فإنه سيكون علينا أن نجعل بين الحروف فواصل ... كذا فيما سبق - عندما كان الأمر يتعلق بتركيب الكلمات - نستعمل كفاصلة ، شرطة قصيرة بين الكلمات ، ونحن بالنسبة للحروف نكتفي بوضع نقطة ، حيث يظهر لنا الفرق جليًّا عند رؤية التلغراف وهل إننا بصدد قراءة كلمات أو حروف مركبة ؟

وفيما إذا حدث أن اشتملت الرسالة أو البرقية على ذكر عدد في صلب النص من شأنه أن يربكنا ونحن نستعمل الأرقام التي أعطيناها للكلمات أو الحروف في هذه الحالة وجدنا مخترع هذا الدليل

يجرؤ على المطالبة بتطويق العدد الموجود فى صلب النص بحرف A اللاتينى . فمثلا عندما نجد A 297 A فإن القصد يكون إلى سبعة وتسعين ومائتين وليس القصد إلى مصر التى استأثرت بهذا الرقم فى « الدليل » الذى نتحدث عنه .

وقد كان من الملاحظات الدقيقة فى هذه الوثيقة أن الذى وضع الأرقام لأشخاصها ولكلماتها وجد نفسه أحياناً مضطراً لإعطاء رقم مكرر فحتى لايوقع الناس فى الغلط جعل أمام الرقم المكرر علامة النصف هكذا ½ ، وقد يحدث أن يكرر الرقم ثلاث مرات ، وحينئذ يجعل أمام الرقم المكرر علامة الربع هكذا ¼ .

أما بالنسبة للطريقة الثانية التى يمكن أن نسلكها أيضاً لأداء الكلمة العربية أو الحرف العربى فهى لا تعتمد فقط على الأداء بالرقم العربى ، ولكنها تذهب إلى أبعد من ذلك ، أى أنها تستعين بالحرف اللاتينى إضافة إلى الرقم العربى .!!

وليس معنى هذا أن الحرف العربى فى الرسالة أو التلغراف يقابل بحرف لاتينى من نوع صوت الحرف العربى ، ولكن بحرف لا تينى ما يصطلح عليه . . . كما يقابل برقم ما من الأرقام يصطلح عليه لا ننسى أننا نتحدث عن دليل للمخاطبات السرية .. وهكذا فإن هذه الطريقة تأخذ من الأولى مع الاستعانة طبعاً بالحرف اللاتينى ...

ومعنى هذا أنه كان هناك شعور بالحاجة الملحة إلى أن نجد وسيلة ما لمرور الكتابة العربية والحرف العربى عبر جهاز التلغراف الذى كان حديث الظهور آنذاك والذى كنا نجد أنفسنا مضطرين إلى الاستفادة منه حتى نظل مواكبين لمستجدات العصر.

ومع كل هذا فقد ظلت قضية النطق بالكلمة العربية مشكولةً ، ظلت مطروحة ! وكان الاعتماد فى حل هذا المشكل يرتكز أساسًا على التمكن من قواعد اللغة العربية .

وبعد ، فقد كان قصدى من تقديم هذا الجانب من ذلك التأليف هو وضع السؤال مرة أخرى هل إننا ، بعد التجاريب التى مررنا بها طيلة القرن الماضى ، بحاجة إلى التفكير الجدى فيما يضمن اقتحام الحرف العربى للآلات الإليكترونية ؟ وهل إننا بحاجة إلى تصور دقيق لما نحن مقبلون عليه فى عالم الألفين ؟

عبد الهـادى التـازى

عضو المجمع المراسل من المغرب

إضمار «أن» قبل المضارع والقول فيه

للأستاذ عبد العليم فوده

إضمار أن وجوبًا فى المواضع الآتية :

١ – بعد لام الجحود التى تفيد تأكيد النفى ، وهى حرف جر وتسبق يكون ماض لفظا أو معنى منفى بما مثل «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم» أو لم « لم يكن الله ليغفر لهم » .

٢ – بعد كى التعليلية عند البصريين وهى حرف جر بمعنى اللام مثل جئت كى تكرمنى إذا قدرت النصب بأن

٣ – بعد حتى الجارة التى تفيد التعليل وذلك إذا كان ما قبلها علة لما بعدها مثل أسلم حتى تدخل الجنة ، أو تفيد الغاية « إذا كان ما بعدها غاية لما قبلها مثل : سرت حتى أدخل المدينة أو التى تفيد معنى « الا » مثل « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وكقول الشاعر :

ليس العطاء من الفضول سماحة .
حتى تجود وما لديك قليل

٤ – بعد أو بمعنى حتى التى تفيد (إلى أن) وهى التى يسبقها فعل ينقضى شيئاً فشيئاً مثل :

لاستسهلن الصعب أو ادرك المنى
فما انقادت الآمال الا لصابر

أو تفيد معنى (الا أن) وذلك إذا كان الفعل قبلها لا ينقضى شيئا فشيئاً مثل

وكنت إذا غمزت قناة قوم
كسرت كعوبها أو تستقيما

٥ – بعد فاء السببية فى جواب النفى المحض « لا يقضى عليهم فيموتوا » .

أو جواب الطلب ، أمرا مثل

يا ناق سيرى عنقاً فسيحا
إلى سليمان فنستريحا

أو نهيًا مثل « لا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي » .

أو دعاء مثل (رب انصرني فلا أخذل)

أو استفهاما مثل « فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا » .

أو عرضاً (ألا تنزل عندنا فتصيب خيرا) .

أو تحضيضا مثل (لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق) .

أو تمنيا مثل (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) .

أو ترجيا (عند الكوفيين) مثل (لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات)

٦ – بعد واو المعية في جواب النفي مثل (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) أو الطلب ، أمرا مثل :

فقلت أدعى وأدعو إن أندى
لصوت أن ينادى داعيان

أو نهيا مثل :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار
عليك إذا فعلت عظيم أو استفهاما مثل :

ألم أك جاركم ويكون بيني
وبينكم المودة والإخاء

٧ – إذا وقع المضارع بعد الفاء أو الواو أو ثم أو بين الشرط والجزاء فإن من وجوه إعرابه أن ينصب بأن مضمرة وجوبا .

مثل إن تأتني فتحدثني أحسن إليك ، ومن يأتني ويحدثني أحسن إليه . « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » . في قراءة من نصب (يدرك) .

وان تزرني أو تحسن إلى أحسن إليك .

٨ – المضارع السابق الواقع بعد تمام الشرط والجزاء .

فان من وجوه إعرابه أن ينصب بأن مضمرة وجوبا .

مثل : (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء وكذا (وان تخفوها وتؤتوها

الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم قرء (بالجزم والرفع والنصب) فى (يغفر ويكفر)

مواضع اضمارها جوازا :

١-بعد لام التعليل التى لم تعقبها (لا) مثل (جئتك لأراك أو لأن أراك)
٢ - ٣ - ٤ - ٥ بعد عطف بالواو أو الفاء أو ثم أو أو على اسم خالص أى غير مقصود به معنى الفعل .

وامثلتها على الترتيب السابق

ألبس عباءة وتقر عينى
أحب إلى من لبس الشفوف

لولا توقع معتر فأرضيه
ما كنت أوثر أترابا على ترب

انى وقتلى سليكا ثم أعقله
كالثور يضرب لما عافت البقر

وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا)
ومثله :

ولولا رجال من رزام أعزة
وآل سبيع أو أسوءك علقما

استعمال ان فى خبر افعال المقاربة :

أفعال هذا الباب أربعة أقسام :

(أ) ما يجب اقتران خبره بأن وهو حرى واخلولق

مثل : فحرى أن يكون ذاك وكانا أخلو لقت السماء أن تمطر

(ب) ما يغلب اقترانه بها وهو عسى وأوشك

مثل : «فعسى الله أن يأتى بالفتح ».

وقول الشاعر :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا
إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

وذلك أن عسى طمع ، وهو لا يكون الا فيما يستقبل فناسب الخبر أن يدل على الاستقبال فلزمته أن التى تخلص المضارع للاستقبال .

وقد تشبه عسى بكاد فتسقط أن من الخبر ويرفع الفعل كما هو مع كاد . وبعض المستقبل أقرب إلى الحال من بعض ، فاذا قال عيسى زيد أيقوم فكأنه قرب حتى أشبه قرب كاد مثل :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه
يكون وراءه فـرج قـريب

وكذا أوشك فى :

يوشك من فر من منيته
فى بعض غراته يوافقها

(ج) وما يجب تجرد خبره من أن وهو أفعال الشروع لأنها للأخذ فى الفعل فخبرها فى المعنى حال ، وأن تخلص للاستقبال ، فوجودها ينافى معنى الفعل مثل : أنشأت أعرب عدا كان مكنونا .

أخذت أسأل والرسوم تجيبنى .

(د) وما يغلب تجرده وهو كاد وكرب

وجرد خبر كاد من أن لانهم أرادوا قرب وقوعه فى الحال وأن تصرف المعنى إلى الاستقبال ، فلم يأتوا بها لتدافع المعنيين

مثل (فذ بحوها وما كادوا يفعلون)
(يكاد زيتها يضىء)

كرب القلب من جواه يذوب
حين قال الوشاة هند غضوب

وقد تشبه كاد بعسى فيقرن خبرها بأن مثل
قـد كاد من طول البلى أن يمصحا .

وفى الحديث كاد الفقر أن يكون كفرا

وقد كربت أعناقها أن تقطعا

قال ابن يعيش وإذا أدخلوا أن فى خبر كاد فكأنه بعد عن الحال حتى أشبه عسى

حذف أن :

١ ـ حذف أن فى غير مواضع اضمارها وجوباً وجوازا ـ وقد سبقت ـ مع نصب المضارع شاذ لايقبل منه إلا ما نقله العدول من مثل :

قراءة الحسن بنصب (أعبـد) فى (قل افغير الله تأمرونى أعبد)

وفى قراءة بنصب (يدمغه) فى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) .

وفى قراءة الأعرج بنصب (يسفك) فى (ويسفك الدماء) .

وفى قول طرفة :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

وقول الشاعر :

وهم رجال يشفعوا لى فلم أجد
شفيعاً إليه غير جمود يعادله
خذ اللص قبل يأخذك
تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ،

ومن يحفرها .

ونهنهت نفسى بعد ماكدت أفعله .

ولايجوز القياس على النصب مع حذف أن، واجاز ذلك الكوفيون ومن وافقهم، وذهب أبوالعباس إلى أنه إذا حذفت أن بقى عملها لأن الأضمار لايزيل العمل كما فى رب وأكثر العوامل .

قال أبو حيان والصحيح قصره على السماع لأنه لم يرد منه إلا ما ذكرناه وهو نزر فلا ينبغى أن يجعل ذلك قانوناً كليا يقاس عليه .

وحذف أن فى غير مواضع اضمارها مع رفع الفعل بعدها ليس بشاذ وذلك مذهب أبي الحسن ، وهو ظاهر كلام ابن مالك فى شرح التسهيل فانه جعل منه (ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعا) فيريكم صلة لأن الواو حذفت وبقى يريكم مرفوعاً وهذا هو القياس. لأن الحرف عامل ضعيف فإذا حذف بطل عمله

وقد روى ذلك فى مواضع النصب من الأمثلة السابقة .

وبناء على ذلك وتأييدا له قال ابن يعيش فى شرح المفصل (١١٧/٧) .

إن الفعل فى خبر عسى إذا تجرد من أن كان مرفوعاً وإنما يرفع الفعل بوقوعه موقع الاسم مثل :

عسى الله يغنى عن بلاد ابن قادر
بمنهمر جون الرباب سكوب

واشباهه كثير .

٣ــ وذهب قوم إلى أن حذف أن مقصور على السماع مطلقاً فلا يرفع ولا ينصب بعد الحذف إلا ما سمع وإلى ذلك ذهب متأخرو المغاربه قيل وهو الصحيح .

حذف أن قبل المضارع فى الاستعمال اللغوى

أولا : بعد قبل ، وقبيل جاء فى المثل -(خذ اللص قبل يأخذك) .

وقال المتنبي يرثى أبا الهيجاء عبد الله ابن سيف الدولة وقد مات طفلا سنة ٣٣٨ﻫ

أيفطمه التوراب قبل فطامه
ويأكله قبل البلوغ إلى الأكل

وقبل يرى من جوده ما رأيته
ويسمع فيه ما سمعت من العذل

وقال أيضاً :

فما جلست حتى انثنت توسع الخطا
كفاطمة عن درها قبل ترضع

وقال تميم بن المعز الفاطمى :

ويمنعنى من الشكوى إلى الله علمه
بجملة ما ألقاه قبل أقول

وقال أيضاً

لا أدعى الفضل قبل يشهد لى
به أدانى الدنا وأقصاها

وقال الشريف العقيلى (من أشراف الطالبين فى مصر (القرن الرابع والخامس الهجرى)

فكن لداعى التقى مجيبا
من قبل تدعى فلا تجيبا

وقال أيضاً

فاسبق الشمس قبل تبدد بشمس
سرها فى غمامة الكأس جهر

وقال أيضاً

فاشرب على مذهب أزهاره
سن ذهب فى فضة تجرى

قبل يريك الصبح بلوره
يلمع فى فيروزج الفجر

وقال ابن حيوس الدمشقى (٤٧٣ ﻫ) :

لازلت تحكم فى الأنام مخولا
ملكاً يزول الدهر قبل يزول

وقال ظافر الحداد الإسكندرى (القرن السادس)

من قبل بين أو تنهل عيناه

ومن أساليب الرسالة للإمام الشافعى تحقيق الأستاذ أحمد شاكر .

قبل تكمل الصلاة

قبل يحل عليك

وجاء فى شعر المحدثين إيليا أبى ماضى

تشتاق عينى قبل يغمضها الردى
لو أنها اكتحلت ولو برمالها

وفي قول الشاعر المهجري (زكي قنصل) :

ما كنت أعلم قبل يجمعنا الهوى

أن النعيم على مدى خطوات

ومثال قُبَيْل قول المتنبي

يا حابي عيرهـا واحسبني

أوجد ميتا قبيل أفقدها

ثانياً : في غير أسلوب قبل :

من الحديث :

قوله عليه السلام لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث[1]

وقوله : لايحل لامرأة تسأل طلاق أختها[2]

وحديث عوف بن مالك : فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فمايسأل أحداً يناوله إياه[3] .

وحديث أبي ذر : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أسأل الناس شيئاً[4]

وحديث معاذ : لوكنت آمراً بشراً يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها[5]

وحديث أنس : .. إنما بقي من حاجتي يسير وأخاف أنساها[6] .

وحديث هشام بن عامر (لايحل لمسلم يصارم مسلماً فوق ثلاث ليال[7]) .

وحديث حرملة (قلت يا رسول الله ما تأمرني أعمل[8]) .

وحديث جابر : لا ينبغي لأحد يدخل الجنة ، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمه

ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار ، واحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة[9] .

وحديث عمر بن الخطاب لسعد

---

(١) البخاري : باب أحد المرأة على غير ازوجها (الفتح ٣ : ١١٧) .
(٢) البخاري : باب الشروط التي لا تحل في النكاح (الفتح ٩ : ١٩٠) .
(٣) تهذيب الآثار الخبر ٣٩ .
(٤) تهذيب الآثار الخبر ٤٩ .
(٥) سند أحمد ٥ / ٢٨٨ .
(٦) الأدب المفرد رقم ٢٧٨ .
(٧) الأدب المفرد رقم ٤٠٧ .
(٨) الأدب المفرد رقم ٢٢٢ .
(٩) الأدب المفرد رقم ٩٧٠ .

ابن أبي وقاص : لقد شكاك أهل الكوفة

فى كل شيء حتى زعموا أنك لا تحسن

تصلى بهم [1] .

وفى مسند أحمد . ليس يحسن يكتب [2]

من الشعر والنثر .

مع فعل الادارة :

أريد أخاطب الأمير [3] .

وقال ابن الرومى :

وهو عيب يكاد يسقط فيه

كل حر يريد يظهر حاله

وقال ابن حيوس يمدح أكبر الجيوش

أراد يرينا الله جاهك عنده

ومن مناك أولى بالمحبة والزلفى ..

تريـــد . . . فى كل وقت

وذلك عند أمثالى عزيز .

وقال محمود أبو الوفا :

أريد أضحك للدنيا فيمنعنى

أن عاقبتنى على بعض ابتساماتى

وبعد أفعال متعدية غير فعل الإرادة :

أحب تقطن عندى ، أتحسن تتوضأ ،

ما يحسن يتوضأ ، نكتب تتذمه [4]

، ما أحسن أصف [5]

، أحتاج أحفظ ، أخاف لايقبل منى [6]

لاشتهيت تصفع نفسك [7] .

وبعد أفعال لازمة :

فما قدرنانقابله ( )تتجرأتشهدعندى [1]

ومره يحفرها ( )فكيف تلومنى أعجب

بنفسى [1] .

فعقد على أبيه لا يعمل الصرف

موقع المصدر المجرور بحرف الجر

أو الإضافة .

لابد من تبعها [0] .

فتهاربت منه خوف يطوف عليه [0] .

... على شريطة تعطينى [0] .

---

(١) مسند الحميرى ١ / ٣٨ .

(٢) سند أحمد ٤ / ٢٩٨ .

(٣) سيرة أحمد بن طولون تحقيق الأستاذ كرد على .

(٤) من أخبار القضاه للقاضى وكيع .

(٥) للريخ بغداد .

(٦) أخبار سيبويه المصرى لابن زولاق (القرن الرابع) .

(٧) المغرب لابن عصفور .

وفى موقع المصدر المرفوع :

عليه يتعلم الصلاة .

ومن آياته يريكم البرق .

وقد تحذف أن والمضارع معاً كما فى قول المتنبى :

ولو أنى استطعت خفضت طرفى
فلم أبصر به حتى أراكا

أى لو استطعت (أن أخفض) .

– وقوله تعالى :

قل لو شاء الله ما تلوته عليكم .

أى لو شاء الله (أن أتلوه) .

ولو شاء ربك ما فعلوه .

ولو شاء ربك ألا يفعلوه ما فعلوه .

التخريج النحوى لتلك الأساليب :

نلحظ فى المواضع التى حذفت فيها أن أنها كلها فى مقام يتطلب المصدر .إما فاعلا فى مثل (لايحل لامرأة تحد على ميت ،أى لايحل لامرأة حدها على ميت) .

ومثله لايحل لامرأة سؤال طلاق أختها لايحل لمسلم مصارحة أخيه ،لاينبغى لأحد دخول

وإما مفعولا به :

بعد الفعل المتعدى ولاسيا فعل الإرادة.

أُريد مخاطبة الأمير ،كل حر يريد إظهار حاله .

أُريد الضحك للدنيا ، ما أحسن وصف ... الخ .

لا تحسن الصلاة ، يحسن الكتابة وأخاف نسيانها .

وإما منصوباً على نزع الخافض إذا كان الفعل لازماً .

فى مثل فما قدرنا على أن نقابله ، تتجرأ على أن تشهد ، تلومنى على أن أعجب ومره بان يحفرها ، أوصانى بعدم السؤال .

وإما مجرورا بحرف الجر :

فى لابد من (أن تبعها)

أو بالإضافة بعد قبل ، قبيل (قبل يرى) قبل رؤيته ... الخ

ويظاهر ذلك استعمالها القرآنى فقد وردت مضافة للمصدر مؤولا وصريحاً

الرسالة للشافعى : تحقيق أحمد شاكر .

ثلاثين مرة من جملة استعمالاتها مضافة (٣٩) مرة

وإما مرفوعاً على أنه مبتدأ فى

عليه تعلم الصلاة (أى تعلم الصلاة)

ومن آياته يريكم البرق (أى إراءتكم البرق من آياته)

أو خبر ، فى « تسمع بالمعيدى » خير من أن تراه

وخلاصة القول أن الاستعمال اللغوى جوز حذف أن فى نصوص كثيرة

وبخاصة إذا قامت أدلة على حذفها من وجود أن) أخرى كما فى تسمع بالمعيدى خير من أن تراه :

إلا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

أو أن يقتضى المقام المصدر الذى يعرب فاعلاً أو مفعولاً به أومنصوباً بنزع الخافض أومجرورا بمن أو الإضافة أو مرفوعاً مبتدأ أو خبرًا

- وحق هذا الفعل أن يكون مرفوعاً بعد حذف أن

- يسوغ فى الاستعمال

بعض المراجع

ابن عقيل وحاشية الخضرى

حاشية الصبان على الأشمونى

التصريح

همع الهوامع

المفصل لابن يعيش

مذكرة للأستاذ شوقى آمين عضو المجمع

مذكرة للأستاذ محمود شاكر عضو المجمع

ديوان المتنبى من بحوث موتمر الدورة ٤٥

عبد العليم السيد فودة
خبير لجنة الأصول بالمجمع

المجاورة في اللغة العربية

للدكتور زيان أحمد الحاج إبراهيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ملخص :

تعتبر اللغة العربية من أكثر اللّغات الحيَّة إن لم تكن أكثرها على الإطلاق ، من حيث تعدد ظواهرها اللغوية ، وتنوع أساليبها ، وطرق التعبير فيها .

ومن بين هذه الظواهر ظاهرة المجاورة ، أو الجوار ، أو التجاور . وهي ظاهرة متعددة الجوانب ، فقد تكون المجاورة في الأحوال والأحيان والمكان ، وقد تكون في المعاني ، وقد تكون للمشاكلة ، وقد تكون في الألفاظ متصلة أو منفصلة . ويترتب على الجوار في الألفاظ المنفصلة حكم إعرابي خاص ، وهو ما يسمى بالإعراب على المجاورة ، الذي قد نجده في المرفوع ، والمنصوب ، والمجرور ، والمجزوم

وقد وردت في اللغة العربية شواهد على هذه الأنواع تتفاوت كثرة أو قلة ، نجدها موزعة بين شعر العرب ونثرهم ، كما نجدها في القرآن الكريم والحديث الشريف .

لقد وقف علماء العربية من ظاهرة المجاورة موقفين مختلفين :

فالأقدمون ، وعلى رأسهم سيبويه ، والخليل ، يرون الأخذ بها اعتمادًا على تلك النصوص الفصيحة ، مشترطين لذلك شروطًا تحد من التوسع في استعمالها ، من أجل المحافظة على الأساليب العربية الرّاقية

كما ذهب بعض أفراد هذا الفريق إلى القول بندرتها .

أما بعض المتأخرين ، وفى مقدمتهم السيرافى وابن جنى ، فقد ذهبوا إلى وجوب التشدد فى إغفال هذه الظاهرة ، لأنها تخالف الأسس التى تقوم عليها دراسة العربية ، وراحوا يؤولون ما ورد منها فى كلام العرب مما يوحى بظاهرة المجاورة ، لينفوا هذه الظاهرة جملة وتفصيلا .

ولكن المتتبع لهذه الظاهرة من جميع جوانبها يجد أن مجموع النصوص الكلية التى تشكل هذه الظاهرة لايمكن أن يحكم عليها بالندرة ، أو الغلط ، أو الشذوذ .

كما أن إباحة جانب منها وإنكار جانب آخر ، تمسكا بنصوص القواعد العامة ، سيكون حجرا على اللغة وتقييداً لحركتها واتساع أساليبها .

وإن استقصاء شواهد هذه الظاهرة وتوزيعها على الأنماط والجوانب المختلفة فيها ، يشكل ظاهرة تستحق الدراسة والاهتمام كأسلوب لغوى جديد ، لاأرى فى الأخذ به ـ عند الحاجة إليه ـ أية غضاضة خاصة أننا نعيش عصراً تنوعت أساليبه اللغوية ، وازدادت الحاجة إلى تعدد استخدامات اللغة للتعبير عن الأفكار المختلفة ، وتطور الحياة السريع ، مما يؤدى إلى نماء اللغة وثرائها وخصبها .

المجاورة فى اللغة العربية

المجاورة ، والجوار ، والتجاور ، كلها مشتقة من مادة « جور » . وهذه المادة غنية بالمعانى . وقد وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وكلام العرب .

ومن هذه المادة : الجَوْر : وهو نقيض العدل . والجار : المجاور ، الساكن الملاصق فى السكن . والمجاورة : الاعتكاف فى المسجد ، ولهذا قيل للزمخشرى : جارالله ، لمجاورته البيت الحرام مدة طويلة . وأجاره الله من العذاب : أنقذه وحماه . وفى القرآن (وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ)(١) . واستجار فلان بفلان : استغاث به والتجأ إليه . قال تعالى : (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ)(٢) وفى المثل : (قَدْ يُؤْخَذُ الجارُ بِجُرْمِ الجار)(٣) والجار : زوج المرأة ، وهى جارته . وفى المثل : (إياك أَعنِى واسمعى ياجارةُ)(٤) يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً آخر .

والذى يعنينا من هذه المعانى(٥) ، المجاورة التى بمعنى « الملاصقة » وإن كان فى معظمها رائحة القرب والجوار .

إن الجار قد يكتسب من جاره بعض صفاته وشيئاً من خصائصه بحكم هذا الجوار . لهذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يحث على مخالطة الصالحين واعتزال من سواهم ، فيقول : (الرجلُ على دينِ خليلهِ ، فلينظرْ أحدُكم من يُخالِلُ »(٦) .

(١) المؤمنون — ٨٨ .
(٢) التوبة — ٦ .
(٣) مجمع الأمثال — حرف القاف .
(٤) مجمع الأمثال — حرف الهمزة .
(٥) انظر هذه المعانى فى اللسان (جور) .
(٦) رواه أبو داود — باب الأدب — الترمذى — باب الزهد .

وقد وردت هذه المعانى والإشارات فى شعر العرب ، إذ يمكن معرفة الإنسان واستقصاء حاله وسلوكه من دراسة أخلاق أقرانه ، فهذا عدى بن زيد يقول :

عن المرءِ لاتسألْ وأبصرْ قرينَهُ
فإن القَرينَ بالمُقارَنِ يَقْتدِى (١)

فهو يحذرنا من مصاحبة اللئام واكتساب أخلاقهم بمجاورتهم ، حتى لا نوصم بمثالبهم ، وكى لا تنتقل إلينا عدواها ، لأن المرء معدود فى جملة من يخالط ويجاور قال الشاعر :

اذا جاريتَ فى خُلُقٍ دنيئاً
فأنْتَ ومَنْ تُجَاريهِ سَوَاءُ

فعلى العاقل أن يتبوأ لنفسه مقعد خير وصدق ليكون فى طليعة أهل الفضل ، وأن يربأ بنفسه عن مجاورة السفلة ومخالطتهم لما قد تتركه فيه فتشوه سمعته وتلطخ سيرته. وما أحسن قول الشاعر فى الربط بين هذا المعنى اللغوى العام للمجاورة ومعناها الذى سوف نتناوله فى هذا البحث حيث يقول (٢) :

عليك بأَرباب الصُّدور فمنْ غَدَا
مُضافاً لأَرْباب الصُّدُورِ تَصَدَّرا

وإياكَ أنْ تَرضَى صحابَةَ نَاقِصٍ
فتَنْحَطَّ قَدْرًا من عُلاُكَ وَتُحْقَرَا (٣)

فرفعُ « أَبو مَنْ » ثم خفضُ « مُزَمَّل »
يبينُ قولى مُغْرياً ومُحَذِّرًا (٤)

فرفع لفظ « أبو » لمجاورته لفظاً له الصدارة وهو « من » فارتفعت منزلته بذلك ، كما أن خفض لفظ « مزمل » إنما كان لمجاورته « لبجاد » المجرور فانخفض تبعاله ، كما سيأتى إن شاء الله .

---

(١) فى حماسة البحترى — ٣٣٦ «وسل عن قرينه » .
(٢) هو أمين الدين العروضى الحلى .
(٣) أى : يتأثر علوا أو انحطاط منزلة تبعا لمن يخالطهم .
(٤) انظر المغنى — ٦٦٩ .

مما ذكر يتبين لنا أن العرب أشارت إلى أهمية الجوار الحسى والمعنوى فى حياة الأفراد والجماعات فلم تُغفل ، أيضاً ، عن ذلك الجوار فى لغتها وألفاظها ، حتى وجدناهم يعطون الشيء حكم الشيء فى الإعراب وغيره إذا جاوره ، فقديماً قالوا : (قَدْ يُؤخَذُ الجارُ بِجُرْمِ الجارِ)[1] فهم يوردون هذا المثل ليدللوا على أن الشيء قد يعامل المعاملة التى يستحقها جاره ، لا المعاملة التى يستحقها هو نفسه .ومرادهم بذلك أن يناسبوا بين المتجاورين فى اللفظ ، وإن كان المعنى على خلاف ذلك ، كما ناسبوا بين المتجاورين فى غير اللفظ .

الجوار فى الكلام وأضربه

لقد جرى الجوار فى الكلام على لسان العرب وفى لغتهم ، فقد وجدوا ، مثلا ، أن المضاف إليه قد يوصف لفظاً ، والنعت للمضاف ، إذا لم يكن هناك لبس ، وسموه بالجر على الجوار ، وذلك للاتصال الحاصل بين المضاف والمضاف إليه ، كما سنعرض له بالتفصيل فيما بعد .

وقد جاء التجاور على أضرب ، منها :

١ ـ التجاور فى الأحوال والأحيان والمكان.

٢ ـ التجاور فى المعانى .

٣ ـ التجاور للمشاكلة .

٤ ـ التجاور فى الألفاظ .

٥ ـ التجاور للإعراب .

(١) التجاور فى الأحوال والأحيان والمكان :[2]

كقولك : « أحسنت إليه إذ أطاعنى » فأنت لم تحسن إليه فى أول وقت الطاعة ، وإنما أحسنت إليه فى ثانى ذلك . ألا ترى أن الإحسان مسبب عن الطاعة ، وهى كالعلة له ، ولابد من تقدم وقت السبب على وقت المسبب ؟ لكنه لما تقارب الزمانان ، وتجاور الحالان فى الطاعة واستحقاق الإحسان ، صارا كأنهما وقعا فى زمان واحد ، فعمل الإحسان فى الزمان الذى يجاور وقته ، كما يعمل فى الزمان الواقع فيه هو نفسه .

---

(١) سبق ذكره .

(٢) الخصائص ٣ ـ ٢٢٢ /وما بعدها .

ومنه أيضاً : « أعطيتك إذ سألتني فلما كانت العطية مسببة عن المسألة وواقعه على أثرها ، وتقارب وقتاهما صارًا لذلك كأنهما فى وقت واحد .

ومثله : « زدتك إذ شكرتنى » ، ولما استكفانى كفيته ، وكلما استنصرنى نصرته وعلى هذا وجهوا قوله سبحانه وتعالى : (ولنْ يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ »[1] ، وذلك أنه لما كانت الدار الآخرة تلى الدار الدنيا لا فاصل بينهما ، إنما هى هذه فهذه ، صار ما يقع فى الآخرة كأنه واقع فى الدنيا ، فلذلك أجرى اليوم ، وهو الآخرة ، مجرى وقت الظلم ، وهو الدنيا ، فصار الوقتان — — على تباينهما وتنائيهما كالوقتين الدانيين المتلاصقين .

وأشار أبو الفتح بن جنى إلى أن هذا التجاور فى الأحوال والأحيان لم يعرض له أحد ، وإنما ذكروا تجاور الألفاظ .

وقد ذكر شيئاً من هذا النحو فى المكان ، مثل :

« وَهُمْ إِذَا الخَيْلُ جَالُوا فى كَوَاثِبِها »[2] .

وإنما يجول الراكب فى صهوة الفرس ، لا فى كاثبته ، لكنهما لما تجاورا[3] جريا مجرى الجزء الواحد .

(٢) التجاور فى المعانى :

من الحمل ، أو الجوار على المعنى ، ماجاء على لسان جرير فى قوله :

جِئْنِى بمثلِ بنى بدرٍ لقومِهِمُ
أَوْ مِثْلَ أُسْرَةِ مَنْظُورِ بنِ سَيّارِ[4]

بنصب « مثل »

قال سيبويه : ولو قلت : مررت بعمرو وزيدًا لكان عربيًّا . فكيف هذا ؟ لأنه فعل ، والمجرور فى موضع مفعول منصوب . ومعناه : أتيت ونحوها . فيحمل الاسم إذا كان العامل الأول فعلا ، وكان

---

(١) الزخرف — ٣٩
(٢) لم أعثر على قائله وبقيته — الخصائص ٣ — ٢٢٧ — الكواثب : جمع كاثبة ، وهى من الفرس مجتمع كتفيه قدام السرج .
(٣) أعاد الضمير فى « تجاورا وجريا » على الصهوة والكاثبة ، على أنهما جزاءات ، ولولا ذلك لأنث
(٤) يفخر على الفرزدق بسادات قيس لأنهم أخواله . وأسرة الرجل رهطه الذين يقوى بهم

المجرور فى موضع المنصوب على فعل لاينقض معناه ، كما قال جرير ...وأنشد البيت ، فحمله على المعنى ، كأنه قال هات مثل أسرة منظور بن سيار »[1]

وقال العجاج بن رؤبة الراجز :

يَسْلُكْنَ فى نجدٍ وغَوْرًا غائرًا[2]

قال فيه سيبويه : « كأنه قال ويسلكن غورًا غائرًا ، لأن معنى « يذهبن فيه » : يسلكن »[3] .

وقال كعب بن جُعَيْل التغلبى :

أعِنِّى بِخَوّارِ العِنَانِ تَخالُهُ
إذا راحَ يَرْدِى بِالمُدَجَّجِ أحْرَدَا
وأبيضَ مصقُولَ السِّطَامَ مُهَنَّدًا
وذا حَلَقٍ مَن نَسْجِ داودَ مُسْرَدَا[4]

فحمله على المعنى ، كأنه قال : وأعطنى أبيضَ مصقولَ السِّطام . أو : ناولنى خوارَ العِنَان وأبيضَ مصقولَ السِّطام[5] .

وقال رجل من قيس عيلان :

بَيْنَا نحنُ نطلُبُه أتانا
مُعَلِّقَ وَفْضَةٍ وَزِنادَ رَاعِ[6]

حيث نصب « زناد » حملاً على موضع « الوفضة » ، لأن المعنى : يعلق وفضة وزناد راع . والوفضة : الكنانة توضع فيها السهام .

وزعم عيسى أنهم ينشدون هذا البيت :

هل أنتَ باعثُ دِينارٍ لحاجَتِنا
أو عبدَ رَبٍّ أخا عَوْنِ بنِ مِخْراقِ[7]

حيث نصب « عبد رب » حملاً على موضع « دينار » ، لأن المعنى : هل أنت باعثٌ دينارًا أو عبدَ رب؟ والدينار يحتمل أحد وجهين : الدينار المعروف ، أو اسم رجل .

ومن الحمل على المعنى أيضاً :

بادَتْ وَغَيَّرَ آيَهُنَّ مَعَ البِلَى
إلَّا رَواكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ

---

(١) الكتاب ١ – ٩٤ ، ١٧٠

(٢) وصف ظعائن منتجعات يأتين نجدا مرة ، وغورًا مرة أخرى .

(٣) الكتاب ١ – ٩٤ .

(٤) أراد بخوار العنان : الفرس المنقادا . الرديان : أن يضرب بيديه عند السير لمرحه ، وشبهه بالأحرد لميله القصد لمرحه . الأبيض : السيف . السطام : جوانبه . المسرد : المتتابع النظم .

(٥) الكتاب ١ – ١٧٠

(٦) الكتاب ١ – ١٧١

(٧) الكتاب ١ – ١٧١

وَمُشَجَّجٌ أَمَّا سَوَاءُ قَذَالِــهِ
فَــبَدَا وَغَيَّرَ سَارَهُ المَعْزَاءُ[1]

لأن قوله « إلا رواكد » فى معنى الحديث أى : بها رواكد ، فحمله على شيء لو كان عليه الأول لم ينقض الحديث ، فحمل « مشجج » على المعنى لأنه لما قال : إلَّا رواكد ، فاستثناهن من آى الدار ، علم أنها مقيمة بها ثابتة ، فكأنه قال : بها رواكدُ ومشججٌ » .

وقال الشاعر مزاحم العقيلى أو الزبرقان :

يَهْدِى الخَمِيسَ نِجَادًا فى مَطَالِعِهَا
إمَّا المِصَاعَ وإمَّا ضَرْبَةٌ رُغُبُ[2]

حيث حمله على شيء لو كان عليه الأول لم ينقض المعنى ، وهو حمل « الضربة » على معنى « إمَّا المصاع » لأن المعنى : إما أمره المصاع وإما ضربة رغب . وأما نصب المصاع فعلى المصدر ، والعامل فيه فعله الذى جعل بدلًا من اللفظ به ، وهو يماصع .

وقال كعب بن زهير يصف منزلًا رحل عنه فطرقه ذئبان يعتسانه :

فلم يَجدا إلَّا مُنَاخَ مَطِيَّةٍ
تَجَافَى بِهَا زَوْرٌ نَبِيلٌ وكَلْكَلُ

ومَفْحَصَهَا عَنْهَا الحَصَى بِجِرَانِهَا
وَمَثْنَى نَوَاجٍ لم يَخُنْهُنَّ مَفْصِلُ

وسُمْرٌ ظِمَــاءٌ وَاتَرَتْهُنَّ بَعْــدَمَا
مَضَتْ هَجْعَةٌ من آخِرِ اللَّيْلِ ذُبَّلُ[3]

كأنَّهُ قال : وَثَمَّ سمرٌ ظِمَاءٌ ، فرفع السمر الظماء حملًا على المعنى ، لأنه لما قال : فلم يجدا إلَّا مناخ مطية ومفحصها عنها الحصى ، علم أن بالمنزل الذى وصف هذه الأشياء ، فكأنه قال : فيه كذا وكذا ، وفيه سمرٌ ظِمَاءٌ .

وقال لبيد بن ربيعة يصف عيرًا وأتانه شبه ناقته بها :

حتَّى تَهَجَّرَ فى الرَّوَاحِ وهَاجَهَا
طَلَبَ المُعَقِّبِ حَقَّهُ المَظْلُومُ[4]

فقد استشهد به صاحب الدرر اللَّوامع على جواز العطف على محل المجرور بالمصدر .

---

(1) الكتاب 1 / 173 — الرواكد : الأثافى . أراد بالمشجج وتدا من أوتاد الخباء . وتشجيجه ضربه ليثبت . وسواء قذاله : وسطه . غير ساره : أى سائره . المعزاء : الأرض الصلبة .
(2) الكتاب 1 / 172 — المصاع : القتال . الرغب : الواسعة .
(3) الكتاب 1 / 173 — النبيل : الواسع . أراد بالسمر الظماء : بعرها . الجران : باطن العنق .
(4) الإنصاف 1 / 232 — الدرر اللوامع 2 / 202

« فطلب » بالنصب مصدر مفعول مطلق نوعى مضاف إلى فاعله . وهو المعقب ، بكسر القاف ، وهو الغريم الطالب لأنه يأتى عقب غريمه ، و « حقه » مفعول المصدر ، و « المظلوم » بالرفع نعت للمعقب على محله ، أى كما يطلب المعقب المظلوم حقه

والمعنى : هاج هذا الفحل أنثاه ، لطلب الماء وقت الهاجرة ، طلبًا حثيثًا كطلب المعقب ، وهو اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقه مرة بعد مرة .

وقال سيبويه فى قول امرئ القيس

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ لاحَهُ
طِرَادُ الهَوَادِى كُلَّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ (١)

حيث أجرى « قيد الأوابد » على « منجرد » نعتًا له ، وإن كان مضافًا إلى ما فيه الألف واللام ، لأنه فى معنى الفعل ، فكأنه قال : بمنجرد يقيد الأوابد ، فلما جاور الفعل فى المعنى ، جاوزه فى الاستعمال ، فوقع وصفًا للنكرة .

ومن الحمل على المعنى قول لبيد :

فَعَلَا فُرُوعَ الأَيْهُقَانِ وَأَطْفَلَتْ
بِالجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا وَنَعَامُهَا (٢)

فظاهره أن قوله : « نعامها » معطوف على قوله : « ظباؤها » فيكون الفعل الذى عمل فى المعطوف عليه هو العامل فى المعطوف ؛ وأهل العربية لا يقولون : أطفلت النعامة ؛ وإنما يقولون : أفرخ النعام أو باض النعام . ولهذا يرى أهل التحقيق من النحاة أن العامل فى « نعامها » محذوف ، والتقدير : أطفلت ظباؤها وأفرخت نعامها ، أو أطفلت ظباؤها وباضت نعامها وعلى هذا تكون الواو قد عطفت جملة ، « وأفرخت نعامها » على جملة « أطفلت ظباؤها » . أو يكون الشاعر توسع فى معنى « أطفلت » فصيره كقولك « أنتجت » وما يؤدى مؤداه ، وحينئذ يصح تسلطه على كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه .

وقال الشاعر :

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وماءً بارِدًا
حَتَّى غَدَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا (٣)

---

(١) الكتاب ١ / ٤٢٤ — لاحه : ضمره . الهوادى : المتقدمة .

(٢) الخصائص ٢ / ٤٣٢ — الإنصاف ٢ / ٦١١ — الأيهقان : ضرب من النبت . الجلهتان : جانبا الوادى .

(٣) الخصائص ٢ / ٤٣٢ — الإنصاف ٢ / ٦١١ .

فظاهر قوله : « وماءً » أنه معطوف على قوله : « تبنًا » ولو كان معطوفًا على التبن لكان الواجب أن يتسلط على المعطوف بالفعل العامل فى المعطوف عليه ، وهو قوله : « علفتها » ، لكنه يقال : علفت الدَّابة تبنًا ، ولا يقال : علفتها ماءً ، ولكن يقال : سقيتها ماءً . ومن أجل هذا وجب واحد من أمرين :

الأول : أن يكون « ماء » مفعولًا به لفعل محذوف . والتقدير : وسقيتها ماء .

الثانى : أن تضمن « علفتها » معنى فعل يصح أن تسلطه على المعطوف والمعطوف عليه جميعًا ، مثل : أنلتها ، أو قدمت لها ، أو ما أشبه هذين .

ومثل هذا فى العربية كثير ، كقول الشاعر

يَا لَيْتَ بَعْلَكِ فى الوَغَى
مُتَقَلِّدًا سَيْفًا ورُمْحًا (١)

فالظاهر أن قوله : « رمحًا » معطوف على قوله : « سيفًا » ، فيكون قوله : « متقلدًا » مسلطًا وعاملًا فى المعطوف والمعطوف عليه جميعًا ، ولكن علماء اللغة يقولون : تقلد فلان سيفه وحمل رمحه . فإمَّا أن يكون « رمحًا » مفعولًا لمحذوف . أى : متقلدًا سيفًا ومعتقلًا رمحًا . وإما أن يكون متقلدًا » قد ضُمِّن معنًى يصح تسليطه على المعطوف والمعطوف عليه جميعًا كحامل .

وكقول طرفة بن العبد البكرى :

أَعمرَو بنَ هند ماتَرَى رَأْىَ صَرْمَةٍ
لَهَا سَبَبٌ تَرْعَى بِهِ الماءَ والشَّجَر (٢)

يقال : رعت الماشية الشجر . ولا يقال : رعت الماءَ ، وإنما يقال : شربت الماءَ ، فكان لابد من تقدير فعل يعمل فى الماء . والتقدير : لها سبب تشرب به الماءَ وترعى الشجر ، وإما أن تضمن « ترعى » معنى فعل يصح تسلطه على المعطوف والمعطوف عليه جميعًا ، مثل : تتناول .

ومثله قول الشاعر :

تَرَاهُ كَأَنَّ اللهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ
وعَيْنَيْهِ إنْ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفْرُ (٣)

فإن « عينيه » لا يصح عطفها على « أنفه » لأنها لو كانت كذلك لكانت

---

(١) الخصائص ٢ / ٤٣١ – الإنصاف ٢ / ٦١٣
(٢) ديوان طرفة ٤٧
(٣) الخصائص ٢ / ٤٣١ – الإنصاف ٢ / ٥١٥

معمولة لقوله : « يجدع » ضرورة أن المعطوف يشارك المعطوف عليه فى تسلط عامله عليه ، ولا يصح ذلك ، لأن الجدع فى لسان أهل هذه اللغة خاص بالأنف ، فيكون قوله : « عينيه » مفعولًا لفعل محذوف تقديره « يفقأ » .

ومثله قول الراعى النميرى ، واسمه عبيد بن حصين :

إِذَا ما الغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا
وَزَجَّجْنَ الحَوَاجِبَ والعُيُونَا (١)

فظاهر قوله : « والعيونا » أنه معطوف على « الحواجب » ، مع أن العامل فى المعطوف عليه لا يصح أن يتسلط على المعطوف ، لأن العيون لا تزجج ، وإنما تكحل . لهذا كان قوله : « والعيونا » مفعولًا به لفعل محذوف يناسبه ، فكأنه قال : زججن الحواجب وكحلن العيونا ، أو أن تتوسع فى معنى كلمة « زججن » فتجعل المراد بها حسَّنَّ أو جمَّلْنَ أو ما أشبه ذلك مما يصح أن يتسلط على المعطوف والمعطوف عليه جميعًا .

ومنه قول الحطيئة فى مدح بنى أنف الناقة :

طَافَتْ أُمَامَةُ بالرُّكْبَانِ آونَةً
يا حُسْنَهُ من قَوَامٍ ما ومُنْتَقَبَا (٢)

لأن الأول فى معنى : يا حسنه قوامًا .

ومنه قول غيره :

تَسْمَعُ للأَجْوَافِ منْهُ صَرَدا
وفى اليَدَيْنِ جُسْأَةً وَبَدَدَا (٣)

فالجسأة – بالضم – الصلابة واليبس . والبدد : التفرق ، وكل من الصلابة والتفرق لا يسمع ، فوجب أن تقدر لها فعلًا . وكأنه قال : وترى فى اليدين جسأة وبددًا ، أو تضمن قوله : « تسمع » معنى فعل يصح أن يتسلط على كل من الصرد والصلابة والتفرق ، وكأنه قال : تحس منه . والأجواف : جمع جوف باعتبار جوانبه ، والصرد : البرد .

(١) الخصائص ٢ / ٤٣٢
(٢) الخصائص ٢ / ٤٣٢
(٣) الخصائص ٢ / ٤٣٢

ومثاله قول غيره :

* شَرَّابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ وَأَقِطْ [1] *

الأَقط - بفتح الهمزة وكسر القاف - طعام يتخذ من اللبن المخيض . فظاهر قوله أن « تمر » معطوف على « ألبان » بالواو ، فيكون قوله « شراب » مسلطًا على المعطوف والمعطوف عليه ، لكن كل من التمر والأَقط مطعوم مأْكول ، لا مشروب . فإمَّا أن تقدر عاملًا للتمر يكون معطوفًا على « شراب » . والتقدير على هذا : شرَّاب ألبان وطعَّام تمر وأَقط . وإما أن نتوسع فى معنى « شرَّاب » فنضمنه معنى كلمة أُخرى يصح أن تتسلط على المعطوف والمعطوف عليه جميعًا ، والتقدير على هذا : متناول ألبان وتمر وأَقط .

التجاور للمشاكلة

ممَّا يمكن حمله على الجوار للمشاكلة لفظ « مأْزورات » فى الحديث التالى :

« خرج رسول الله ﷺ فإذا نسوة جلوس . فقال : مايجلسكن ؟ قلن : ننتظر الجنازة . قال : هل تغسلن ؟ قلن : لا . قال : هل تحملن ؟ قلن : لا . قال : هل تدلين فيمن يدلى ؟ قلن : لا . قال : فارجعن مأْزورات غير مأْجورات » [2] .

فالأَصل « موزورات » بالواو ، من الوزر ، حيث قلبت الواو همزة لتشاكل الهمزة فى مأْجورات .

وجاءَ فى حديث عذاب القبر : « إن المنافق إذا وضع فى قبره سئل عن محمد ﷺ وما جاءَ به ، فيقول : لا أدرى فيقال : لا دريت ولا تليت » [3] .

والأَصل : تلوت بالواو من التلاوة فقلبت ياءً لتشاكل الياءَ فى « دريت » .

وقال صاحب الهمع : وقد تأْتى النون موضع الواو للمشاكلة ، لحديث :

« اللَّهُمَّ رَبَّ السَّموات وما أَظللن

(١) الكامل للمبرد ١ - ١٩٦

(٢) سنن ابن ماجة - كتاب الجنائز .

(٣) صحيح البخارى - كتاب الجنائز .

ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن » [1] .

والأصل : « وما أضلوا » . وإنما عدل عنه لمشاكلة « أضللن وأقللن » كما فى « لا دريت ولا تليت » ، وفى « مأزورات غير مأجورات » .

ومن ذلك قول العرب : « هنأنى ومرأنى أى : أتانى هنيئًا بلا مشقة ، وجعل عيشى مريئًا ، أى : حميد المعيشة مستحسنًا والأصل : « أمرأنى » إلّا أن الهمزة حذفت منه عند اقترانه « بهنأنى » للمشاكلة .

ومثله قولهم : « هو رِجْس نِجْس بكسر النون وسكون الجيم ، والأصل نَجِس ، بفتحة فكسرة . لكنهم كسروا النون وسكنوا الجيم طلبًا لمشاكلة ما قبله [2] .

وكذلك قولهم : « الحمدِ لِله » بكسر الدال لمشاكلة اللّام واتباع حركتها لحركتها ، والأصل رفع الدال ، لكنها أعطيت حركة جارتها .

وقالوا أيضًا : أخذه ما قَدُمَ وما حدُث [3] بضم دال « حدث » والأصل فتحها ، ولكنها ضمت لقصد المناسبة والازدواج .

التجاور فى الألفاظ

وهو على ضربين :

أحدهما : فى المتصل .

والآخر : فى المنفصل

وكلا الضربين قد ورد فى كلام العرب شعره ونثره ، كما وردت طائفة منه فى القرآن الكريم .

الجوار فى المتصل

وهو ما يمكن أن نبيح لأنفسنا أن نطلق عليه التجاور الصناعى - إن صحت التسمية - وما ذاك إلّا لأنه ليس فى أصل الكلمة ، وإنما هو من صنع أيدينا ، بتغيير فى جوهر الكلمة لضرب من التخفيف .

وروده فى كلام العرب :

من هذا الضرب فى الجوار مجاورة -

(١) فى سنن الترمذى ٥ ٢٠٠٠ بالتاء بدلا من النون . انظر المعجم بحث المصدر ١-٢٠٠٥ - المسائل السفرية مسألة ٣٨

(٢) مغنى اللبيب ٨٩٦

(٣) المغنى ٨٩٧

العين للّام بحملها على حكمها ، كقولهم : صُيّم في صوّم ، وقُيّم في قوّم ، وقُيّل في قوّل ، ونُيّم في نوّم (١) .

فالأصل في هذا الجمع ألّا يعل ؛ لأنه ليس فيه ما يوجب القلب ، ولكنه لما كان الواحد معلا ، وهو : صائم ، وقائم ، وقائل ، ونائم ، وجاء الجمع وهو أثقل من الواحد ، وقربت العين من الطرف فأشبهت اللّام في « عصى » ، قلبت إذ لم يكن القلب هو الوجه في « فُعّل » ، وإن كانت لغة القلب مطردة فيه ، والأجود « صوّم وقوّم » .

والذي يدل على أن الشيء إذا جاور الشيء دخل في كثير من أحكامه لأجل المجاورة ، قولهم : قِنْيَة ، وصِبْيَة ، وفلان من عِلْيَةِ القوم ، وهو ابن عمي دِنيا ، وصِبْيان . وأصل قِنْيَة : قِنْوَة من قَنَوْتُ ، وصِبْيَة وصِبْيَان من صَبَوْتُ ، وعِلْيَة من عَلَوْتُ ، ودِنْيَا من دَنَوْتُ . وقياسه : قِنْوة ، وصِبوة ، وصِبْوَان ، وعِلْوَة ، ودِنوا .

ولكن لمّا جاورت الواو الكسرة قبلها ، صارت الكسرة كأنها قبل الواو ، ولم يعتد بالساكن حاجزًا لضعفه .

ونظير هذا قولهم : اقْتُل ، ادْخُل ، ضموا الهمزة لضمة العين ولم يعتدوا بالفاء حاجزًا لسكونها . فصارت الهمزة لذلك كأنها قبل العين المضمومة ، فضمت كراهة الخروج من كسر إلى ضم .

ومن ذلك استقباحهم اختلاف حركات ما قبل حرف الرويّ إذا كان مقيدًا – وهو المسمّى توجيهًا – نحو قول رؤبة :

* وَقَائِمِ الأَعْمَاقِ خَاوِي الْمُخْتَرَقْ *

ففتح ما قبل القاف . ثم قال :

* أَلَّفَ شَتَّى لَيْسَ بالرَّاعِي الْحَمِقْ *

فكسر ما قبل القاف . ثم قال :

* سِرًّا وَقَدْ أَوَّنَّ تَأْوِينَ الْعُقُقْ *

فضم ما قبلها (٢)

وإنما صار هذا عندهم قبيحًا وعيبًا لأن الحركة مجاورة للقاف ، فكأن اختلاف الحركات واقع على القاف . فكما أن الإقواء عيب ، فكذلك استقبحوا اختلاف التوجيه .

(١) الخصائص ٢ / ١٧٥ – ٣ / ٢١٩ .

(٢) الخصائص ٣ / ٢٢٠ – أوّنّ : شربن حتى امتلأت بطونهن. العقق : التي تكامل حملها وقرب ولادها .

فلذلك جاز فى « صوّم : صيّم » — لمجاورة العين اللّام . وقال الحادرة واسمه قطبة :

ومعرّضٍ تغلى المَراجلُ تحتَهُ
عَجّلْتُ طَبْخَتَهُ لرَهْطٍ جُيّعِ (١)

يريد « جوّعا » . ومثله ما أنشدوا :

لَوْلَا الإلٰهُ ما سَكَنّا خَضّمَا
وَلَا ظَلِلْنَــا بالمَشاءِ قُيَّمَا (٢)

وقال ابن جنى فى قول النابغة الجعدى :

وبرذَوْنَةٍ بَلَّ البَرَاذِينُ ثَغْرَهَــا
وقد شَرِبَتْ من آخِرِ الصَّيفِ أُيّلا (٣)

« أخبرنى أبو على أن ابن حبيب قال : أراد لبن أيل ، وهو يغلم . وقال : ويروى : أيَّلا ، يراد : جمع لبن آيل . أى : خاثر ، مثل : حائل وحوّل ، قال : وهو خطأ . وليس هذا بخطأ ، لأن فاعلًا من هذا الباب — أعنى المعتل العين بالواو — إذا جمع على « فُعّل » كان القلب فيه مطردًا ، وإن كان التصحيح فيه أجود ، فجائز أن يكون : أُيّل : يراد به : أُوّل ، ثم يقلب . كما قال فى صوّم : صيّم ، وفى جوّع : جيّع .

وقال الأعشى :

فبات عَــذُوبًا للسّماءِ كأنّما
يُوائمُ رَهْطًا للعَزُوبَةِ صُيّما (٤)

فدفع ابن حبيب لهذا التأويل ليس بمستقيم . وهذا رأى أبى على .

أمّا إذا كان الجمع على « فعّال » لم تقلب فيه الواو ياءً ، وقد عقب عليه — أبو الفتح بن جنى بقوله : تصحيحهم لهذا يدلك على أن « صيما » مشبه « بعتىّ » لما قربت العين من اللّام ولم يفصل بينهما شئٌ ، ألا ترى أن ألف « فعال » لما حجزت بين العين واللّام بعدت العين ، فلم يجز

---

(١) الخصائص ٣ / ٢١٩ — الأشمونى ٤ / ٣٢٨ — المعرض : اللحم . المراجل : القدور .

(٢) الخصائص ٣ / ٢١٩ — خضم : موضع فى بلاد تميم . المشاء : جمع مشذاة : وهو المكتل .

(٣) الخصائص ٣ / ٢١٩ — الثغر : بمنزلة الحيا للناقة . الأيل : اللبن الخاثر وهو يهيج الشهوة .

(٤) الخصائص ١ / ٣٧ — شرح المفصل ١٠ / ٩٣ — العذوب : الذى ليس بينه وبين السماء ستر . العزوبة : الأرض البعيدة والعروبة : يوم الجمعة وقد روى بكلتا الروايتين أى : ترك كل شىء وقام يرعى السماء وترك الطعام ، والشراب فكأنه يشبه صيم يوم الجمعة .

قلبها ، وهذا هو القياس ، لأنه لما كان « صوّم » مع قرب واوه من الطرف الوجه فى التصحيح ، كان التصحيح — إذا تباعدت الواو من الطرف — . لا يجوز غيره[1] .

وقد جاء حرف شاذ ، وهو قولهم : « فلان فى صُيَّابة قومه » يريدون : فى صوّابة ، أى : فى صميمهم وخالصهم ، وهو من صاب يصوب : إذا نزل ، فكأن عرقه فيهم قد ساخ وتمكن ، وقياسه التصحيح . ولكن هذا مما هرب فيه من الواو إلى الياء ، لثقل الواو ، وليس ذلك بعلة قاطعة . وأنشد ابن الأعرابى لذى الرمة وينسب إلى أبى الغمر الكلابى :

أَلا طَرَقَتْنَـا مَيَّةُ ابْنَةُ مُنْذِرٍ
فَمَا أَرَّقَ النيامَ إِلَّا سَلَامُهَا [2]

وقد ثبت أن ألف الجمع فى « مفاعل وفواعل » متى اكتنفها واوان ، كانت الثانية مجاورة للطرف ليس بينها وبين الطرف حاجز ، فإنهم يقلبون الواو الثانية همزة ، نحو قولهم : أوائل ، والأصل : أواول ، لأن الواحد « أوّل أفعل » . مما فاؤه وعينه واو ، وهم يكرهون اجتماع الواوين والألف من جنسهما ، فشبهوا اجتماعهما هنا باجتماعهما فى أول الكلمة .
فكما يقلبون فى « واصلة وواصل » — كذلك يقلبون هٰهنا ، إلا أن القلب هنا وقع ثابتا لقربه من الطرف ، وهم كثيراً ما يعطون الجار حكم مجاوره ، فلذلك قدروا الواو فى « أواول » طرفا إذ كانت مجاورة للطرف ، فهمزوها كما همزوا فى كساء ورداء[3] .

ومن الجوار فى المتصل قول جرير

لَحُبُّ المُؤْقِدانِ إِلَيَّ مُؤسى[4]

إذ إنه تصور الضمة — لمجاورتها الواو — أنها كأنها فيها فهمزها ، كما تهمز فى أدؤر جمع دار .

وعليه أجازوا نقل حركة الإعراب إلى ما قبلها فى الوقف ، نحو : هذا بكُرْ ،

---

(١) انظر شرح الشافية للرضى ٣ / ١٤٣ .
(٢) شرح الشافية ٣ / ١٤٣ ، ١٧٣ .
(٣) شرح الشافية ٣ / ١٣٠ وما بعدها .
(٤) الخصائص ٢ / ١٧٥ ، ٣ / ١٤٦

ومررت ببكرٍ ، ألا تراها لما جاورت اللام بكونها فى العين ، صارت لذلك كأنها فى اللام لم تفارقها ؟[1]

وإذا تتبعنا الجوار اللفظى الصناعى فى لغة العرب وجدناه كثيراً ، لهذا كان ماورد عنهم من همز الألف الساكنة فى بأز ، وسأل ، وتأبل ، ونحو ذلك ، إنما هو عن تطرق وصنعة ، وليس اعتباطاً هكذا من غير مسكة ، إذ ثبت من عدة أوجه أن الحركة إذا جاورت الحرف الساكن ، فكثيرا ما تجريها العرب مجراها فيه ، فيصير لجوارها إياها كأنه محرك بها ، فإذا كان كذلك ، فكأن فتحة باء « باز » إنما هى فى نفس الألف ، والألف كذلك كأنها محركة ، وإذاتحركت الألف انقلبت همزة[2] . قال كثير فى مدح عبد العزيز بن مروان :

وأنْتَ ابنُ ليْلَى خَيْرُ قَوْمِك مَشْهَدًا
إذَا ما احْمَأَرَّتْ بالعَبِيطِ العَوَامِلِ[3]

يريد : احمارّت . وقال أيضًا فى رثائه :

وللأرض أمّا سُـودُها فَتَجَلَّلَتْ
بَيَاضًا ، وأمّا بِيْضُهـا فاسْوَأَدَّتِ[4]

ومن هذا النوع من الجوار اللّفظى قولهم : هذا مصباح ، ومطعان وماجرى مجرى ذلك ، أى أن هذه الألفاظ جرت فيها الإمالة ، لأن الحرف المتحرك كأنه جاور المكسور ، إذ الحاجز ساكن ، وهو لا يمنع الجوار[5] .

وروده فى القرآن الكريم

لقد وقع التجاور بنوعيه : فى المتصل والمنفصل فى القرآن الكريم . وهاك بعض الآيات التى وقع فيها الجوار فى المتصل فى كتاب الله تعالى ، كما يرى بعض العلماء :

قال الله تعالى : « وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ »[6]

---

(١) الخصائص

(٢) الخصائص ٣ / ١٤٧ .

(٣) الخصائص ٣ / ١٤٨ برواية : إذا ما الموالى بالعبيط احمارت والعبيط : الدم الطرى .

(٤) الخصائص ٣ / ١٤٨ .

(٥) الخصائص ٢ / ١٧٥ .

(٦) البقرة / ٤ .

فقد قرأ أبو حية النميرى « يؤقدون » بهمزة ساكنة ، جعل الضمة فى جار الواو كأنها فيه . وشاع عندهم أن الواو إذا ضمت ضمة غير عارضة ، يجوز إبدالها همزة ، كما قيل فى « وجوه » جمع « وجه » « أجوه » ، و « وقتت أقتت » ونحوه

لَحُبّ الْمُؤْقِدَانِ إِلَيَّ مُؤْسَى
وَجَعْدَةَ إِذْ أَضَاءَهُمَا الوَقُودُ[1]

فقد روى عن سيبويه قلب الواو همزة فى « المؤقدان ومؤسى » ، ولعل الإبدال هنا لمجاورتها المضموم ، فأعطيت حكمه ، « وقد يؤخذ الجار بجرم الجار » .

(٢)

قال تعالى : « وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ »[2] الهمزة فى « أقتت » بدل من الواو ، إذ إن كل واو ضمت ، وكانت ضمتها لازمة ، جاز أن يبدل منها همزة . نقول : صلى القوم أحدانا ، تريد : وحدانا . ويقولون : وجوه حسان وأجوه ، لأن ضمة الواو ثقيلة ، ولم يجز البدل فى قوله تعالى : « وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ »[3] . لأن الضمة غير لازمة[4] . وقرئ « وقتت » بالواو وتشديد القاف على الأصل ، لأن الهمزة مبدلة من الواو المضمومة ضمة لازمة ، وهو أمر مطرد[5]

(٣)

ومنه قوله تعالى : « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا »[6] . أى : مأقوتا .

(٤)

ومن ذلك قراءة أيوب السختيانى « وَلَا الضَّأْلِّينَ »[7] بالهمزة[8] . قال أبو الفتح : ذكر بعض أصحابنا أن أيوب

---

(١) الكشاف للزمخشرى ١ / ١٣٧ – روح المعانى ١ / ١٢٢ .
(٢) المرسلات / ١١ .
(٣) البقرة / ٢٣٧ .
(٤) تفسير القرطبى ١٩ / ١٥٥ – مجمع البيان للطبرسى ٢٩ / ١٥٥ – البحر المحيط ٨ / ٤٠٥ .
(٥) قرأ بها أبو عمرو – التبصرة فى القراءات ٣٦٨ / البدور الزاهرة ٣٣٤
(٦) النساء / ١٠٣ .
(٧) الفاتحة / ٧ .
(٨) النشر فى القراءات العشر ١ / ٤٧ .

سُئل عن هذه الهمزة فقال : هي بدل من المدة لالتقاء الساكنين[1] .

(٥)

وحكى أبو زيد قال : سمعت عمرو ابن عبيد يقرأ[2] : « فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَأَنٌّ »[3] فظننته قد لحن ، حتى سمعت من العرب : دأبّة وشأبّة . قال أبو الفتح : وعلى هذه اللغة قول كثير :

* إِذَا ما العَوَالى بالعَبِيطِ احْمَأَرَّتِ[4] *

(٦)

ومنه قوله تعالى : « حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا »[5] : فأصل « ادَّارَكُوا » تداركوا ، فأُدغمت التاء فى الدال بعد قلبها دَالًا وتسكينها ، ثم اجتلبت همزة الوصل . وفيها قول طويل[6] .

الجوار فى المنفصل

يتركز هذا النوع من المجاورة أساسًا على ظاهرة الإعراب ، لهذا كان لابد لنا من إلمامة عجلى نلقى فيها الضوء على معنى الإعراب ، والإشارة إلى بعض أنواع الإعراب التى تبدو فى ظاهرها غريبة ، ومن ثم نفصل القول فى الإعراب على المجاورة .

يطلق الإعراب ويراد به الإبانة ، ففى الحديث : « والأَيِّم تُعربُ عن نفسها »[7] والإجالة ، تقول : عربت الدَّابة : إذا جالت فى مرعاها ، وإزالة الفساد ، والتحسين .

وقد يأتى « أعرب » لازمًا بمعنى : تكلم بالعربية ، وصارت له خيل عراب ، وتحبب إلى غيره ، ولم يلحن فى الكلام .

---

(١) المحتسب ١ / ٤٦ .
(٢) الخصائص ٣ / ١٤٢ ، ٣ / ١٤٦ .
(٣) الرحمن / ٣٩ .
(٤) سبق ذكره .
(٥) الأعراف / ٣٨ .
(٦) انظر الفتوحات الإلهية ٢ / ١٣٩ .
(٧) انظر مسند أحمد وابن ماجة .

ومن معانيه أيضًا [1] : التغيير ، يقال : عربت المعدة ، إذا تغيرت . وقد يكون هذا المعنى أقرب المعانى إلى ما نحن فيه من الإعراب على المجاورة لتغيير آخر كلمة لمجاورتها غيرها بحيث تأخذ حكمها .

هذا هو الإعراب فى اللغة . أما تعريفه فى الاصطلاح فهو : « ما اختلف آخره به ليدل على المعانى المعتورة عليه » [2] .

ومن المعلوم أن أصل وضع الإعراب إنما كان للتمييز بين المعانى المختلفة حتى لا تختلط ببعضها ، فلو قلنا ، مثلا : ما أحسنْ زيدْ بسكون النون والدال . لالتبس الأمر ، على هذا ، بين التعجب ، والاستفهام ، والنفى .

أما أنواع الإعراب فكثيرة ، منها ما يكون ظاهرًا فى الكلمات الصحيحة ، ومقدرا فى المقصور والمنقوص مثلًا ، وهناك الإعراب المحلى فى المبنيات والجمل .

ومن أنواع الإعراب التى تأتى على غير الوجه المألوف :

الإعراب على التوهم :

ويكثر هذا فى المجرور ، كقول زهير

بَدَا لِىَ أنِّى لستُ مُدْرِكَ مامضَى
ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائياً [3]

بجر « سابق » المعطوف على « مدرك » على توهم أن المعطوف عليه مجرور بالباء الزائدة ، والتقدير : لست بمدرك .

وقد سمى هذا النوع من الإعراب فى القرآن الكريم بالعطف على المعنى ، صونا لكلام الله تعالى عن التوهم .

وقد وقع هذا العطف فى المجزوم كقراءة غير أبى عمرو : (لولا أَخَّرْتَنِى إلى أَجل قريب فأَصَّدَّقَ وأكنْ) [4] ، فإن معنى « لولا أَخَّرْتَنى فأَصدق » ومعنى « إن أَخَّرتَنى فأَصدق » واحد .

---

(١) انظر هذه المعانى فى اللسان (عرب) .
(٢) انظر شرح الكافية للمؤلف / ٩ .
(٣) المغنى ٦١٩ .
(٤) المنافقون / ١٠ .

ووقع فى المنصوب اسماً كما قال بعضهم فى قوله تعالى : (وحفظاً من كلِّ شيطانٍ مارد) [1] ، إنه عطف على معنى « إنَّا زينا السماء الدُّنيا بزينَةٍ الكَّواكب » . والمعنى : إنَّا خلقنا الكواكب فى السماء الدنيا زينة للسماء وحفظاً .

أما فى المنصوب فعلاً فقد قيل فى قراءة حفص : (لَعَلِّى أبلغُ الأَسبَابَ أسبابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ) [2] بالنصب ، إنه عطف على معنى « لعَلِّى أبلغ » وهو « لَعَلَّنِى أن أبلغ » فإن خبر « لَعَلَّ » يقترن « بأَن كثيراً » .

وأما فى المركبات فقد قيل فى قوله تعالى : (ومن آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّراتٍ ولِيُذِيقَكُمْ) [3] إنه على تقدير : ليبشركم وليذيقكم ، أو على معنى : وليذيقكم وليكون كذا وكذا

ومن هذه الأنواع :

الإعراب بقصد اللفظ أو الحكاية :

والحكاية والمحاكاة : المماثلة والمشابهة فى الذات أو الفعل أو القول .

ويراد بها فى الاصطلاح : إيراد اللفظ المسموع بهيئته ، أو إيراد صفته أو معناه . فإذا قيل : رأيت زيدًا ، فتقول : من زيدًا ؟ بالنصب ؛ كما ورد فى عبارة المتكلم

والحكاية نوعان : حكاية جملة . وحكاية مفرد .

فالأول كقول ذى الرمة :

سمعتُ النَّاسُ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا
فقلتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِى بِلالا [4]

برفع « النَّاس » ، إذ سمع قوماً يقولون : الناس ينتجعون غيثاً ، فحكى ذلك كما سمع . وكقولك : قرأت على فصه محمد رسول الله .

أما الثانى فكقول بعض العرب – وقد قيل له : هاتان تمرتان – دعنا من تمرتان . وهو شاذ .

---

(١) الصافات / ٧ .
(٢) غافر / ٣٦ – ٣٧ .
(٣) الروم / ٤٦ .
(٤) المقتضب ٤ / ١٠ – صيدح : ناقة الشاعر .

وهناك – أيضاً – الإعراب على العارية : كما في قوله تعالى : (لو كانَ فيهما آلهةٌ إلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا)[1] . « فإلَّا » هنا اسم بمعنى « غير » ، وهي صفة « لآلِهَةٍ » يظهر إعرابها على ما بعدها ، ولفظ الجلالة مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة منع من ظهورها حركة العارية ، أي حركة « إلَّا المعارة لما بعدها .

الاعراب على المجاورة

إن ظاهرة الإعراب هذه متولدة عن الجوار في المنفصل . وهذا النوع من الإعراب ليس محل اتفاق بين العلماء ، كما سنرى . وسنبدأ القول في هذا النوع بإيراد الشواهد الواردة في كلام العرب ، ثم في القرآن الكريم . ومن ثم نشير إلى بعض آراء العلماء فيه .

في الشعر

(١)

منه قول امرئ القيس :

كَأَنَّ ثبيرًا في عَرانِينِ وَبْلِهِ
كبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ[2]

اختلاف النحاة في الجر على الجوار : فقال به الخليل وسيبويه وخرجا عليه هذا البيت من قول امرئ القيس . وتبعهما شراح المعلقات ، وأنكره السيرا في شارح كتاب سيبويه ، وابن جني ، وجماعة .

أما سيبويه فيقول فيه : إن كلمة « مزمل » معناها ملتف ، و « في بجاد » يتعلق به ، ولا شك أن الملتف في البجاد – أي الكساء – هو « كبير أناس » ، « وكبير أُناس » مرفوع لأنه خبر كان ، فلو جرى اللفظ على وجهه الصحيح لارتفع « مزمل » على أنه نعت « لكبير » ، فيكون في البيت الإقواء ؛ لكنه جره ، وهذا الجر لمجاورة « بجاد » المجرور بفي .

وأما المنكرون الجر على الجوار فقالوا : ليس قوله « مزمل » نعتاً « لكبير » ، بل هو نعت سببي لبجاد ، وأصل الكلام : « في بجاد مزمل لابسه » أو « في بجاد مزمل فيه » أو نحو ذلك ، فحذف اللابس في الأول ، وحذف حرف الجر ، وهو في التقدير الثاني ، فاتصل الضمير بعامله ، وهو مزمل ، واستتر فيه .

---

(١) الأنبياء / ٢٢ .

(٢) انظر معلقته – ثبير : اسم جبل . استعار العرانين لأوائل المطر . جعل الجبل شيخا مزملا في كساء مخطط .

وقد جاء فى المغنى باب « الأمور التى يكتسبها الاسم بالإضافة » قوله : وإلى هذا يشير بعض الفضلاء :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا
مضافاً لأرباب الصدور تصدرا

وإياك أن ترضى صحابة ناقص
فتنحط قدرًا من علاك وتحقرا

فرفع « أبو من » ثم خفض « مزمل »
يبين قولى معزياً ومحذرا

والإشارة بقوله « ثم خفض مزمل » إلى قول امرئ القيس فى البيت المذكور ، ذلك أن « مزملا » صفة « لكبير » ، فكان حقه الرفع ، ولكنه خفض لمجاورته للمخفوض [1] . وقد سبقت الإشارة إلى هذه الأبيات .

(٢)

قال الحطيئة :

فإياكُمْ وَحَيَّـةَ بَطن وادِ
هَموزِ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بِسِيّ [2]

استشهد به العلماء فى قوله : « هموز الناب » فإن الرواية فى هذه الكلمة بجر « هموز » مع أنها نعت للحية المنصوب على التحذير . وقد جر الشاعر هذه الكلمة لأنها فى مجاورة كلمة مجرورة ، وهى قوله « وادٍ » « والهموز » مؤنثة لكونها صفة للحية ، والوادى مذكر . فدل على أنه لايلزم للجر فى المجاورة أن يكون المتجاوران متساويين فى التذكير والتأنيث . كما ذهب إليه الخليل بن أحمد ، بل يجوز تخالفهما فى التذكير والتأنيث ، وفى التعريف والتنكير . وفى الإفراد والتثنية والجمع .

وأثبته البغدادى فى الخزانة شاهدًا على جر « هموز الناب » جر الجوار . وكذلك فى شرح ديوان الحماسة للمرزوقى .

وقال ابن جنى : جر « هموز » لمجاورته الواد . مع اختلاف المضاف والمضاف إليه تذكيرًا وتأنيثًا .

---

(١) انظر القول فى هذا البيت فى مغنى اللبيب / ٦٦٩ .

(٢) الخصائص ٣ / ٢٢٠ — خزانة الأدب ٢ / ٣٢١ — المنصف لابن جنى ٢ / ١٥ — أمالى ابن الشجرى ١ / ٢٤٢ — شرح ديوان الحماسة ٤١٧ — ديوان الشاعر ٦٩١ أراد بالحية نفسه — هموز الناب : شديدة الدفع به — السى : الند والمثل أى : هو أشرف منهم ، ولا يستوون معه .

(٣)

قال دريد بن الصمة :

نجئتُ إِلَيْهِ والرماحُ تنُوشُهُ
كَوَقْعِ الصَّياصِي في النَّسيج المُمَدِدِ
فَدَافعتُ عَنْهُ الخيْلَ حتى تَبَدَّدَتْ
وحتى عَلاني حالكُ اللونِ أسودِ(١)

« فأسود » صفة « لحالك اللون » ، « وأسود » مجرور بدليل الروى ، و « حالك اللون » مرفوع لأنه فاعل « علانى » ، ولكنه جرّ « أسود » لكونه بجوار « اللون » المجرور بالإضافة .

وكثير من العلماء يهونون الأمر فى الإقواء ولا يعدونه عيباً قبيحاً ، فيجعلونه « وحتى علانى حالك اللون أسود » برفع أسود .

ويروى : « وحتى علانى حالك لون أسود » والضعف فيه ظاهر . ألا ترى أنه قال : حالك ، وهو الشديد السواد ، ثم قال : لون أسود . وفى إضافة « لون » إلى أسود » مالا يرتضى ؟ .

وأجود من هذا أن يقال : « حالك اللون أسودى » وهو يريد « أسودىّ » بالتشديد ، كما قيل فى الأحمر أحمرى ، وفى الدوار دوارى ، ثم خففت ياء النسبة بحذف أحدهما ، وهو الأول ، وجعل الثانى صلة

وجاء فى الأصمعيات « أسود » بالرفع وهو إقواء .

(٤)

قال الشاعر :

السالكُ الثغرةِ اليقظانِ سالكُهَا
مَشْيَ الهَلُوكِ عليها الخَيْعَلُ الفُضُلُ(٢)

ففى هذا البيت — عند النحويين — شاهد ، هو الرفع على المجاورة . وتفصيل ذلك : أن « الفضل » صفة « للهلوك » فحقه الجر ، إلا أنه ارتفع بمجاورة « الخيعل » ، كما أنهم خفضوا على المجاورة فقالوا : هذا جحر ضب خرب .

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٢ / ٨١٧ — الأصمعيات ١٠٩ — المنصف ٣ / ٧٨ أى : دافعت عنه الخيل — الفرسان — حتى انكشفوا وإلى أن جرحت فسال الدم على .

(٢) الخصائص ٢ / ١٦٧ — همع الهوامع ١ / ١٨٧ ، ٢ / ١٤٥ — الدرر اللوامع ١ / ١٦٠ — حاشية الشيخ ياسين على شرح التصريح ١ / ٣٢٧ — ديوان الهذليين ٢ / ٣٤ الثغرة والثغر : موضع المخافة . الهلوك : الغنجة المتثنية . الخيعل : درع يخاط أحد شقيه ويترك الآخر . الفضل من النساء : التى عليها ثوب واحد .

قال الشيخ ياسين فى حاشيته على شرح ابن على الفاكهى لقطر الندى ١١٧/٢ مايلى :

« وقال بعض معاصرينا أكثرهم يعتقده أى الإعراب بالمجاورة ـ مخصوصاً بالمجرور . قال : وقد جاء فى المرفوع ، وأنشد البيت ، وقال : فإنه رفع الفضل اتباعاً لما قبله لقربه . قلت : وليس الرفع كما ذكر اتباعاً للخيعل ، بل رفعه على أنه نعت للهلوك على الموضع ، لأن معناه : كما تمشى الهلوك الفضل وعليها الخيعل .

(٥)

ومنه قول الأخطل :

جَزَى اللهُ فيها الأَعْوَرَيْنِ مَلامَةً
وفروةَ ، ثَفْرَ الثَّوْرَةِ المُتَضَاجِمِ (١)

حيث خفض « المتضاجم » وكان حقه النصب ، لأنه من صفة الثفر ، لكنه خفضه على الجوار .

(٦)

ومنه قول الأنبارى فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : أنشدنا أبو شعيب الحرانى ، قال : أنشدنا سلمة :

كأَنَّ نَسْجَ العَنْكَبُوتِ المُرْمَلِ (٢)

خفض «المرمل» على الجوار «للعنكبوت» وهو فى المعنى نعت النسج .

وأورده صاحب المخصص بالكسر ، وقال : فعلى الجوار .

ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله : « المرمل » فإنه مجرور بدليل الروى ، وهو صفة لنسج العنكبوت المنصوب لكونه اسم « كأن » ، ولما كان النعت يطابق المنعوت فى حركة إعرابه ، كان من المسلم به أن هذه الكسرة التى فى « المرمل » ليست هى الحركة التى اقتضاها العامل ، لأن العامل يقتضى فتحة ، فهو إذا منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة .

وقال الأعلم : الشاهد فيه جرى «المرمل» على العنكبوت نعتا لها فى اللفظ لقرب جوارها منه .

---

(١) شعر الأخطل ٢ / ٥٠٦ ـ الثفر للسباع واستعارة للثورة ، وهو الحيا . المتضاجم : المائل يشبه به الذين يلمئهم ويهجوهم .

(٢) الكتاب ١ / ٤٣٧ ـ الخصائص ٣ / ٢٢١ ـ المخصص ١٧ / ١٧ ـ اللسان (رمل وغزل) .

وكان الخليل – رحمه الله – لايجيز مثل هذا حتى يكون المتجاوران مستويين في التعريف والتنكير، والتأنيث والتذكير والإفراد والتثنية والجمع. وسيبويه يجيز الحمل على الجوار، وإن اختلف المتجاوران إذا لم يشكل المعنى[1].

(٧)

ومنه ما أنشده الفراء لذى الرمة :

كَأَنَّمَا ضَرَبَتْ قُدَّامَ أَعْيُنِهَا
قُطْناً بِمُسْتَحْصِدِ الأَوْتَارِ مَحْلُوجِ[2]

فمحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « محلوج » ، فإن الرواية فيه بالجر ، مع أنه نعت لقوله « قطناً » المنصوب على أنه مفعول به لقوله « ضربت » وذلك لأن لأن هذه الكسرة ليست الحركة التى اقتضاها العامل ، وإنما هى كسرة المجاورة للمستحصد . فهو منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة .

ومنه لزهير :

لَعِبَ الزَّمَانُ بِهَا وَغَيَّرَهَا
بَعْدِى سَوافِى المُوْرِوالقَطْرِ[3]

الاستشهاد به فى قوله « والقطر » فإنه مجرور بدليل أن روىّ القصيدة مجرور فيسبق الوهم أنه معطوف على « المور » لأنه هو المجرور بإضافة « سوافى » إليه ، ولو عطف على « المور » للزم أن يكون معمولًا « لسوافى » ، لأن العامل فى المعطوف هو العامل فى المعطوف عليه ، ويلزم أن يكون تقدير الكلام : سوافى المور وسوافى القطر . والمعنى : أن الذى غير هذه الديار الرياح والمطر ، وهذا المعنى لا يتأدى إلا بأن يكون « القطر » معطوفاً على « سوافى » مع أنه ليس للمطر سواف فيكون مرفوعاً فى التقدير ، وجره لمجاورة المجرور . فنقول : « القطر » معطوف على سواف » والمعطوف على المرفوع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة

---

(١) انظر الكتاب ١ / ٤٣٧ .

(٢) ديوان الشاعر / ١٠٥ – شرح القصائد السبع للأنبارى / ١٠٧ – المستحصد : محكم الفتل والصنعة محلوج : مندوف ، أى استخرج منه الحب .

(٣) ديوان زهير / ٨٧ – الإنصاف ٦٠٣ .

(٩)

ومنه قول امرئ القيس :

فَظَلَّ طُهاةُ اللَّحم ما بَيْنَ مُنْضِجٍ
صَفيفَ شِواءٍ أَوْقديرٍ مُعَجَّلِ (١)

كان جر « قدير » فى هذا البيت مثار خلاف بين العلماء .

قال ابن هشام فى المغنى :أجاز البغداديون إتباع المنصوب بمجرور ، وأنشد البيت .

والقدير : المطبوخ فى القدر ، وهو عندهم عطف على « صفيف » ، وخرّج على أن الأصل « أو طابخ قدير » ثم حذف المضاف وأبقى جر المضاف إليه كقراءة بعضهم (و الله يُريدُ الآخرة)(٢) بالخفض . أو أنه عطف على « صفيف » ولكن خفض على الجوار ، أو على توهم أنّ « الصفيف » مجرور بالإضافة .

(١٠)

ومنه قول الشاعر :

كَمْ تَمَشَّشْتُ من قَصٍّ وَإِنْفَحَةٍ
جاءتْ إليك بذاكَ الأَضْؤنِ السُّودِ (٣)

نقول : تمششت العظم ، إذا مصصت أطرافه . والقص – بفتح القاف – عظام الصدر ، أو رأس الصدر . والإنفحة – بكسر الهمزة وسكون النون وفتح الفاء – كرش الحمل أوالجدى إذا كان لم يأكل ، فإذا أكل فهو كرش ، والأضؤن : جمع الضأن .

فقول الشاعر : « وإنفحة » لايجوز أن يكون معطوفاً على « قص » لأنه لو كان كذلك لكان قوله « تمششت عاملا فيه ومعلوم أن التمشش خاص بمص العظم ، والإنفحة ليست عظماً ، فوجب أن يكون قوله « إنفحة » مفعولًا به لفعل محذوف . وتقدير الكلام : كم تمششت من عظم وأكلت إنفحة ، ويكون « إنفحة » منصوبا بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة .

---

(١) ديوانه –١٥٦– شرح الزوزنى / ١٢٢ – الصفيف : ما صفف مرققا على الجمر . القدير : ما طبخ فى القدر .

(٢) الأنفال / ٦٧ .

(٣) انظر الإنصاف ٢ / ٦٠٣ – شرح المفصل ١ / ٩٠ .

(١١)

لقد أثبت النحاة الجر بالمجاورة للمجرور فى النعت والتوكيد ، واستشهدوا بالبيت التالى لأبى الغريب :

يا صَاحِ بَلِّغْ ذَوِى الزَّوْجاتِ كُلِّهِمُ
أَنْ ليس وَصْلٌ إذا انْحَلَّتْ عُرَى الذَّنَبِ [١]

الشاهد فيه قوله « كلهم » فالرواية بجر « كل » مع أنها توكيد « لذوى » المنصوب على المفعولية ، والتوكيد يتبع المؤكد فى إعرابه ، فكان حقه أن ينصب « كلا » لذلك ، لكنه لما وقع مجاوراً « للزوجات » المجرور بالإضافة جره لمناسبة الجوار .

وجاء فى شرح شواهد الرضى بأن جر الجوار لم يسمع إلا فى النعت على القلة ، وقد جاء فى التوكيد فى بيت على سبيل الندرة وأشار إلى البيت المذكور .

وقد أشار ابن هشام إلى جر الجوار فى هذا البيت فى الشذور ، وكذلك الشنقيطى صاحب الدرر اللوامع ؛ إذ صرح بأن الجمهور من البصريين والكوفيين أثبتوا الجر بالمجاورة للمجرور فى النعت والتوكيد .

فى النثر

(١)

ومما حمل على الجوار فى نثر العرب إذ أعطى حكم ما جاوره القول المشهور :

« هذا جُحْرُ ضَبٍ خَرِبٍ »

بالجر .

وفى هذا يقول سيبويه : ومما جرى نعتا على غير وجه الكلام : [٢] « هذا جحر ضب خرب » ، فالوجه الرفع ، وهو أكثر كلام العرب وأفصحهم ، وهو القياس ، لأن الخرب نعت الجحر ، والجحر رفع ، فكان حقه الرفع مثله . ولكن بعض العرب يجره لمجاورته المجرور ، وليس بنعت للضب ، ولكنه نعت للذى أضيف إلى الضب ، فجروه لأنه نكرة كالضب ، ولأنه فى موقع يقع فيه نعت الضب ، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد .

---

(١) المغنى – ٦٨٣ / همع الهوامع ٢ / ٥٥ – شرح المقامات للشريشى ٢ / ١٠٩ .
انحلت عرى الذنب : يقصد استرخاء الذكر .

(٢) الكتاب ١ / ٢١٧ .

ألا ترى أنك تقول : هذا حب رمّان ؟ فإذا كان لك قلت : هذا حب رمانى ، فأضفت الرمان إليك ، وليس لك الرمان ، إنما لك الحب .

ومثل ذلك : هذه ثلاثة أثوابك ، فكذلك يقع على جحر ضب ما يقع على حب رمان . تقول : هذا جحر ضبى ، والجحر والضب بمنزلة اسم مفرد ، فانجر الخرب على الضب كما أضفت الجحر إليك مع إضافة الضب .

ومع هذا فإنهم أتبعوا الجر الجر كما أتبعوا الكسر الكسر ، نحو قولهم : بهم وبدارهم – أى : لولا كسرة الباء لقلت هُم ، بضم الهاء – وما أشبه ذلك[1]

وإذا كان « خرب » مرفوعًا أصلًا ولكنه جر للمجاورة ، فعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع منها اشتغال المحل بحركة المجاورة .

فحركة المجاورة ليست حركة بناء ولا إعراب ، وإنما هى حركة اجتلبت للمناسبة بين اللفظين المتجاورين . فلا تحتاج لعامل ، لأن الإتيان بها إنما هو لمجرد أمر استحسانى لفظى لا تعلق له بالمعنى[2] .

فى القرآن الكريم

قال تعالى : (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قمتم إلى الصّلاةِ فاغسلوا وجوهَكُمْ وأيدِيَكم إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)[3]

قرأ بعضهم «وأرجلكم » بالجر ، لمجاورة المخفوض ، وهو الرءوس ، وكان حقه النصب كما فى القراءة الأخرى ، عطفًا على الوجوه والأيدى .

والجر بالجوار قول جماعة من المفسرين والفقهاء ، وخالفهم فى ذلك المحققون الذين يرون أن الجر بالجوار لا يحسن فى المعطوف ، لأن حرف العطف حاجز بين الاسمين ومبطل للمجاورة .

وجاء فى الشذور[4] : لا يمتنع فى القياس الخفض على الجوار فى عطف البيان ، لأنه

---

(١) الكتاب ١ / ٢١٧ .
(٢) حاشية الدسوقى على المغنى ٢ / ٣٠٣ .
(٣) المائدة / ٦ .
(٤) شذور الذهب / ٣٣٢ .

كالنعت والتوكيد فى مجاورة المتبوع . وينبغى امتناعه فى البدل ، لأنه فى التقدير من جملة أُخرى ، فهو محجوز تقديرًا .

ورأى هؤلاء الذين يمنعون الجر على الجوار ، أن الخفض فى الآية بالعطف على لفظ « الرءوس » .

وجمعوا بين القراءتين : قراءة النصب التى تفيد أن الأرجل مغسولة ، وقراءة الجر التى تفيد أن الأرجل ممسوحة . وفى الآية أقوال كثيرة[1] .

ورجح صاحب الشذور هذا العطف بأن حمل على المجاورة شاذ ينبغى صون القرآن عنه ، وبأن الحمل على المجاور « رؤوسكم » أولى من الحمل على غير المجاور « الوجوه والأيدى » .

وقد رد نظام الدين النيسابورى الكسر على الجوار[2] ، لأن ذلك لم يجئ فى كلام الفصحاء ، وجاء حيث لا لبس . ولا عطف ، بخلاف الآية .

وزاد الطبرى أن الجوار لا حرف حائل فيه بين المتجاورين[3] .

ويرى أبو حيان أن الخفض على الجوار ضعيف جدًا[4] .

وإلى مثل ذلك ذهب الآلوسى . ورأى أن الكسر على الجوار معدود فى اللحن الذى قد يتحمل لأجل الضرورة فى الشعر ، وكلام الله تعالى يجب تنزيهه عنه[5] .

أما القرطبى فقال : وقد قيل : إن قوله « وأرجلكم » بالخفض معطوف على اللفظ دون المعنى ، وإنما خفض للجوار كما تفعل العرب ، وقد جاء هذا فى القرآن وغيره . قال الله تعالى : (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ ونُحَاسٍ)[6] بالجر ، والقراءة لابن كثير وأهل البصرة غير يعقوب .

---

(١) انظر الكشاف ١ / ٥٩٧ .
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦ / ٥٣ .
(٣) مجمع البيان ٦ / ٣٤ .
(٤) البحر المحيط ٣ / ٤٣٧ .
(٥) روح المعانى ٦ / ٧٣ .
(٦) الرحمن / ٣٥ .

واستطرد قائلًا : وهذا مذهب الأخفش وأبي عبيدة ورده النحاس[1] .

وقد رأيت في صورة عن مخطوطة كشف الكشاف[2] لعمر القزويني ، الموجودة في دار الكتب ما يلي :

« ... جاز أن يكون على الجوار ، وجاز أن يكون من قبيل :

* عَلَفْتها تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا *

والثاني اختيار الزجاج وكثيرين تعليلًا بأن الإعراب بالجوار قليل في كلام الفصحاء ، وليس بذاك ، لأنه باب كثير الشعب في فنون العربية ، وإذا جاز بالعفايا والعشايا فهذا أجوز .

ومراده : أن العافية جمعت على العفايا لما جاورت العشايا للمشاكلة بدلًا من العافيات .

(٢)

وقيل بالإعراب على الجوار في « وحُور عِين » من قوله تعالى : (يَطُوفُ عَلَيْهِم وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِن مَعِينٍ . لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ . وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ)[3] .

فقد قرئ « وحور عين » بالرفع والنصب والجر .

فالرفع عطف على « ولدان » ، أو على تقدير : لهم حور أو عندهم ، أو نساؤهم حور ، أو لهم هذا كله وحور ، أو على سرر موضونة حور عين[4] .

أما الجر فبالعطف على « أكواب » ، أو على « جنات » مع تقدير حذف المضاف بمعنى : في جنات النعيم وفي معاشرة أو مصاحبة حور . قال به الزمخشري وهاجمه أبو حيان .

ويجوز أن يبقى على ظاهره المعطوف ، أي : أن الولدان يطوفون عليهم بالمأكول والمشروب والمنكوح ، كما تأتي الخدام بالسراري للملوك ويعرضونهن عليهم[5] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٨٧ .
(٢) المخطوطة / ٢٨٦ .
(٣) الواقعة ١٧ / ٢٢ .
(٤) انظر جامع البيان ٢٧ / ١٠١ – تفسير القرطبي ١٧ / ٢٠٤ .
(٥) تفسير القرطبي ١٧ / ٢٠٤ .

وأبى صاحب كشف الكشاف أن يكون الجر للجوار[1] .

أما الرواية بالنصب فعلى تقدير إضمار فعل ، لأن المعنى : يعطون أكوابًا وحورًا[2]

(٣)

وقال تعالى : (يُرْسَلُ عَلَيكُمَا شُوَاظٌ مِن نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ)[3]

لقد قرئ « ونحاس » بالرفع والجر . فقرأ ابن كثير وأهل البصرة ،غير يعقوب بالجر ، والباقون بالرفع .

ولم يشر أحد إلى أن الجر للجوار إلّا صاحب روح المعانى[4] ، فقال : وقرأ ابن أبى إسحاق والنخعى وابن كثير ، وأبو عمرو « ونحاس » بالجر ، على أنه عطف على نار ، وقيل : « على شواظ » وجر للجوار .

(٤)

وقال تعالى : (لم يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)[5]

لقد استشهد الكوفيون بهذه الآية الكريمة فى معرض حديثهم عن أن جواب الشرط مجزوم على الجوار ،حيث قالوا : والحمل على الجوار كثير . قال الله تعالى : (لَم يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ) ، ووجه الدليل أنه قال : « وَالْمُشْرِكِينَ » بالخفض على الجوار ، وإن كان معطوفًا على « الَّذِينَ » فهو مرفوع لأنه اسم « يَكُن »[6] .

وجاء فى روح المعانى[7] : وقرئ « المشركون » بالرفع عطفًا على الموصول ، وحمل قراءة الجمهور على ذلك ، واعتبار أن الجر للجوار لا يخفى حاله ، والجار

---

(١) روح المعانى ٢٧ / ١٣٨ .
(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٢٥٤ .
(٣) الرحمن / ٣٥ .
(٤) ٢٧ / ١١٣ .
(٥) البينة / ١ .
(٦) الإنصاف المسألة / ٨٤ .
(٧) ٣٠ / ٢٠٠ .

والمجرور فى موضع الحال من ضمير « كَفَرُوا » .

(٥)

ومما يعطى حكم الجوار – على خلاف – « سلاسل » بالتنوين، من قوله تعالى : (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا)[١] ، و « قوارير » الثانية من قوله عز وجل : (وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا . قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا)[٢]

قال القرطبى فى تفسيره[٣] : رأيت فى مصحف عثمان « سلاسلا » بالألف ، و « قواريرًا » الأول بالألف ، وكان الثانى مكتوبًا بالألف،فحكت فرأيت أثرها هناك بينًا . فمن صرف فله أربع حجج . وذكر فى الحجة الثالثة مايلى :

نونت « قوارير » الأول لأنه رأس آية ، ورؤوس الآى جاءت بالنون ، كقوله – جل وعز – : « مَذْكُورًا . سَمِيعًا . بَصِيرًا » . فنونا الأول ليوقف بين رءوس الآى . ونونا الثانى على الجوار للأول .

(٦)

ومما حمل على الجوار « محفوظ » من قوله تعالى : (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)[٤] ، بالجر .

قال القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن[٥] : وقد جاء هذا ، أى : الخفض على الجوار ، فى القرآن وغيره . قال الله تعالى : (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِن نَارٍ وَنُحَاسٍ) بالجر ، لأن النحاس الدخان . وقال : (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مُحَفُوظٍ) بالجر .

وأراد القرطبى أن « محفوظ » حقه الرفع ، لأنه نعت « لقرآن » المرفوع ، ولكنه جر لمجاورته « لوح » المجرور .

---

(١) الإنسان / ٤ .
(٢) الإنسان / ١٥ – ١٦ .
(٣) ١٩ / ١٢١ .
(٤) البروج ٢١ / ٢٢ .
(٥) ٦ / ٩٤ .

(٧)

ومنه قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام لقومه : (إِنِّى أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُم عَذَابَ يَوْمٍ محيط)[1] .

فقد جاء فى التفسير الكبير للفخر الرازى[2] قوله : « والمحيط من صفة اليوم فى الظاهر ، وفى المعنى صفة العذاب ، وذلك مجاز مشهور ، كقوله : هذا يوم عصيب .

أما فى روح المعانى للآلوسى فقد ذكر ما نصه — بعد أن ذكر أكثر من وجه « وجوز أن يكون « محيط » نعتًا لعذاب وجر للجوار . وقيل : هو نعت ليوم جار على غير ما هو له ، والتقدير : عذاب يوم محيط عذابه ، وليس بشىء كما لا يخفى »[3] .

التجاور يقع فى المرفوع والمنصوب والمجرور والمجزوم

من استقصاء الأمثلة والشواهد التى وردت فى التجاور على اختلاف أضربه ، نستطيع القول بأن الإعراب على المجاورة قد تردد على ألسنة العرب مستوفيًا علامات الإعراب الأربعة : الرفع ، والنصب ، والجر ، والجزم .

كما أنه يمكن القول بأن التجاور قد وقع فى النعت كثيرًا ، وفى المعطوف قليلًا وفى التوكيد نادرًا ، وأنه كان فى المجرور متوافرًا ، وفى غير ذلك قليلًا أيضًا .

وأستطيع القول : إننى لم أعثر على مثال للمنصوب فى المنفصل من تجاور الألفاظ ، على حين وجدت طائفة كافية منه فى تجاور المعانى .

أما المرفوع فى المنفصل فكان شاهدًا واحدًا على حين كانت منه طائفة شافية فى الجوار على المعنى .

الجوار فى المجزوم

لقد ذهب العلماء إلى أن الجوار يقع فى المجزوم ، وأن جواب الشرط مجزوم على الجوار ، كما قال الكوفيون[4]

---

(١) هود / ٨٤ .
(٢) ١٨ / ٤٠ .
(٣) ٢ / ١١٥
(٤) الإنصاف المسألة / ٨٤ .

واختلف البصريون : فذهب الأكثرون إلى أن العامل فيهما حرف الشرط . وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط وفعل الشرط يعملان فيه .

وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط يعمل فى فعل الشرط ، وفعل الشرط يعمل فى جواب الشرط .

وذهب أبو عثمان المازنى إلى أنه مبنى على الوقف .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا :

إنما قلنا : إنه مجزوم على الجوار ، لأن جواب الشرط مجاور لفعل الشرط ، لازم له ،لا يكاد ينفك عنه ، فلمّا كان منه بهذه المنزلة فى الجوار حمل عليه فى الجزم ، فكان مجزومًا على الجوار ، والحمل على الجوار كثير . قال الله تعالى : (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ)[1] وجه الدليل أنه قال : « وَالْمُشْرِكِينَ » بالخفض على الجوار ، وإن كان معطوفًا على « الَّذِينَ » ، فهو مرفوع لأنه اسم « يَكُن » .

وقال تعالى : (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)[2] بالخفض على الجوار ، وهى قراءة أبى عمرو ، وابن كثير وحمزة ، ويحيى عن عاصم ، وأبى جعفر ، وخلف . وكان ينبغى أن يكون منصوبًا ؛ لأنه معطوف على قوله : « فَاغْسِلُوا وجوهَكُم وَأَيدِيَكُم » كما فى القراءة الأخرى ، وهى قراءة نافع ، وابن عامر ، والكسائى ، وحفص عن عاصم ، ويعقوب . ولو كان معطوفاً على قوله « برءوسكم » لكان ينبغى أن تكون الأرجل ممسوحة لا مغسولة ، وهو مخالف لإجماع أئمة الأمة من السلف ، والخلف ، إلّا فيما لا يعد خلافًا .

واستطرد الكوفيون يأتون بأمثلة وشواهد شعرية يدللون بها على مجيء الجوار وكثرة وقوعه فى كلام العرب إلى أن قالوا : .

فكذلك هٰهنا : جواب الشرط كان ينبغى أن يكون مرفوعًا ، إلّا أنه جزم للجوار ، ولهذا إذا حلت بينه وبين فعل الشرط بالفاء ، أو بإذا ، رجع إلى الرفع . وقال الله تعالى : (فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّه فَلَا يَخَاف

(١) البينة / ١ .
(٢) المائدة / ٦ .

بخسا ولا رهقًا)[1] ، وقال تعالى : (وإن تُصِبهم سَيِّئَة بِمَا قَدَّمَتْ أَيدِيهم إِذَا هُم يَقْنطُونَ)[2] .

حقيقة الاعراب بالمجاورة

اهو اسلوب ام ظاهرة شاذة ؟

اختلف العلماء فى الإعراب بالمجاورة : فهم بين مؤيد له ، يرى إباحته بشروط خاصة ، وبين معارض له ، ذاهب إلى وجوب التشدد فى إغفاله وإهماله ، منكر لمكانته بين الأساليب العربية الفصيحة ، لأنه من الغلط .

وسنورد طائفة من أقوال العلماء لنرى مواقفهم من الإعراب على الجوار . كما سنورد بعض آراء علماء التفسير لنتبين نظرتهم إلى هذا الإعراب من زاويتهم ، إذ لابد لعالم التفسير أن يكون عالماً بالعربية ، فهى عدته وسلاحه لفهم وتوضيح آى الذكر الحكيم ، فلم يقعد لهذا العلم ولم يتصدر له إلَّا بعد أن ارتقى إلى مرتبة الاجتهاد فى التفسير ، والتى من أول شروطها الإلمام بعلم النحو . أضف إلى ذلك أن بعضهم قد استشهد بآراء النحاة عند تعرضهم لهذا الموضوع .

يقول سيبويه : « ومما جرى نعتًا على غير وجه الكلام : « هذا جحر ضب خرب » فالوجه الرفع ، وهو أكثر كلام العرب وأفصحهم ، وهو القياس ، لأن الخرب نعت الجحر ، والجحر رفع ، ولكن بعض العرب يجره » .

واشترط الخليل لجواز الحمل على الجوار استواء المتجاورين فى التعريف والتنكير ، والتأنيث والتذكير ، والإفراد والتثنية والجمع ، على حين يجيز سيبويه ذلك مع اختلافهما إذا لم يلبس المعنى[3] .

فسيبويه والخليل لا ينكران الجر على الجوار ، فهما متفقان فيه ، ولكن لكل منهما شروطه ، فقد قالا به ، وخرج عليه قول امرئ القيس :

كأن ثَبِيرًا فى عَرَانِين وَبلِه
كَبِير أُنَاسٍ فى بجَاد مزمل

كما مَرّ .

---

(١) الجن – ١٣ .
(٢) الروم – ٣٦ .
(٣) الكتاب ١ / ٢١٧ .

وقد جاء فى شرح الرضى لكافية ابن الحاجب آخر باب النعت ما يلى :

« فقد وجدوا أن المضاف إليه قد يوصف لفظًا والنعت للمضاف إذا لم يلبس ، وسموه الجر على الجوار ، وذلك للاتصال الحاصل بين المضاف والمضاف إليه .

ثم ذكر أن الجر على الجوار لم يسمع إلَّا فى النعت على القلة ، وأنه جاء فى التأكيد على سبيل الندرة فى :

يا صَاحِ بَلِّغْ ذوى الزَّوجَاتِ كُلِّهِم
أنْ ليس وصل إذا انحلت عُرى الذنبِ

أما ابن هشام فقد منع الإعراب على الجوار فى البدل ، فقال : لا يمتنع فى القياس الخفض على الجوار فى عطف البيان ، لأنه كالنعت والتوكيد فى مجاورة المتبوع ، وينبغى امتناعه فى البدل لأنه فى التقدير من جملة أخرى ، فهو محجوز تقديرًا ، واعتبره شاذا فى القرآن ينبغى صونه عنه[1] .

والذى عليه المحققون أن الخفض بالجوار يكون فى النعت قليلًا ، ويكون فى التوكيد نادرًا ، وأنه لا يكون فى النسق ، لأن العاطف يمنع من التجاور .

أما ابن الأنبارى فقد رد قول الكوفيين بأن الإعراب على الجوار يقع فى المجزوم ، وأبطل دعواهم بقوله : إن الحمل على الجوار من الشاذ الذى لا يعرج عليه[2] .

أما عمر القزوينى فى مخطوطه كشف الكشاف[3] فقد أباحه لأنه باب كثير الشعب فى فنون العربية وإذا جاز « بالعفايا والعشايا » فهذا أجوز ، كما مر

ويرى الآلوسى أنه يكون بدون حرف العطف ، وأن العرب لم تتكلم به مع حرف العطف ، وأنه معدود فى اللَّحن الذى قد يتحمل لأجل الضرورة فى الشعر[4] .

---

(١) شرح شذور الذهب / ٢٣٠

(٢) الإنصاف مسألة / ٨٤

(٣) كشف الكشاف – ٢٨٦ .

(٤) روح المعانى ٦ – ٧٣ .

وقال الطبرسي في مجمع البيـان[1]

«إن المحققين من النحويين نفوا أن يكون الإعراب بالمجاورة جائزًا في كلام العرب

أما القرطبي فقد قال به ، وأيد مجيئه في القرآن وغيره . وبين أن هذا مذهب الأخفش وأبي عبيدة ، وأن النحاس رده[2]

وقال النيسابوري : بأنه لم يجيء في كلام الفصحاء وفي السبعة ، وأنه جاء حيث لا لبس ولا عطف[3] .

ويرى صاحب البحر المحيط أنه لم يرد إلّا في النعت حيث لا يلبس ، على خلاف فيه[4] .

رأى السيرافي وابن جني
في الاعراب على المجاورة

للسيرافي وابن جني رأي يخالف رأي القائلين بالإعراب على المجاورة ، فهما ينكران هذا الضرب من الإعراب ، ويخرجان ما ورد من ذلك ، مما يوحي في ظاهره بأنه إعراب على المجاورة ، مثل قول امرئ القيس :

كأنْ ثَبِيرًا في عَرَانِينِ وبلِهِ
كَبِيرُ أُنَاسٍ في بِجَـادٍ مزمل

وقول العرب : « هذا جحر ضب خرب » حيث أنهما لم يحملا ذلك على الغلط ، وإنما حملاه على نظائره الكثيرة في القرآن وغيره من أنه على حذف المضاف .

قال ابن هشام في المغنى[5] : « أنكر السيرافي وابن جنى الخفض ع الجوار ، وتأولا قولهم : « خرب » بالجر ع أنه صفة نصب » . ثم قال السيرافي : الأصل : خرب الجحر منه ، بتنوين « خرب » ، ورفع « الجحر » ، ثم حذف الضمير للعلم به ، وحول الإسناد إلى ضمير الضب وخفض الجحر ، كما تقول : مررت برجل حسن الوجه ، بالإضافة . والأصل حسن الوجه منه ، ثم أتى بضمير الجحر مكانه لتقدم ذكره فاستتر .

ثم يقول : والذي يقوى هذا أنا إذا قلنا : خرب الجحر ، صار من باب حسن

---

(١) ٦/ ٣٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٨٧ .
(٣) غرائب القرآن ٦ / ٥٣ .
(٤) البحر المحيط ٣ / ٤٣٧
(٥) القاعدة الثانية من الباب الثامن .

الوجه ، وفى « خرب » ضمير « الجحر » مرفوع ، لأن التقدير كان : خرب — جحره[1] :

وللتفصيل نقول : « إن « خربا » نعت « نصب » جار على غير من هو له والجحر فاعل « بخرب » لأنها صفة مشبهة و « منه » متعلق « بخرب » ، ثم حذف « منه » للعلم به وإن كان ضمير الصفة ، ثم حول الإسناد لضمير الموصوف ، وهو الضب ، فقيل : هذا جحر ضب خرب الجحر ، ثم أتى بضمير الجحر مكان الجحر ، وقيل : خرب ، واستتر الضمير فى « خرب » ، وتحمل « خرب » — ضميرين : الجحر ، وضمير الموصوف الذى استتر أولاً[2] .

أما ابن جنى فقد ذهب إلى مثل ذلك فقال : الأصل : خرب جحره ، ثم أنيب المضاف إليه عن المضاف ، فارتفع ، واستتر[3] .

وقال فى الخصائص[4] : « وتلخيص هذا أن أصله : هذا جحر ضبٍ خربٍ جحره ، فيجرى « خرب » وصفا على « ضب » وإن كان فى الحقيقة للجحر ، كما تقول : مررت برجل قائم أبوه ، فتجرى « قائماً » وصفاً على « رجل » ، وإن كان القيام للأب لا للرجل ، لما ضمن من ذكره[5] .

ثم يستطرد فيقول : والأمر فى هذا أظهر من أن يأتى بمثال له أو شاهد عليه ، فلما كان أصله كذلك ، حذف الجحر المضاف إلى الهاء ، وأقيمت الهاء مقامه فارتفعت ، لأن المضاف المحذوف كان مرفوعًا ، فلما ارتفعت استتر الضمير المرفوع فى نفس « خرب » فجرى وصفًا

(١) الكتاب ١ / ٢٠٩ .

(٢) حاشية الدسوقى على المغنى ٣٠٣

(٣) القاعدة الثانية من الباب الثامن .

(٤) ١ / ١٨٩ .

(٥) أى : ضميره يريد أن المسوغ لمجىء قائم وصفا للرجل ، وهو ليس بوصف له فى الحقيقة ، بل الموصوف حقيقة الأب ، هو كضمن الأب ذكر الرجل .

على « ضب » ، وإن كان الخراب للجحر لا للضب ، على تقدير حذف المضاف .

وعقب ابن هشام فى المغنى[1] على قوليهما بقوله : « ويلزمهما استتار الضمير مع جريان الصفة على غير من هى له ، وذلك لا يجوز عند البصريين وإن أمن اللبس ، وقول السيرافى : إن هذا مثل « مررت برجل قائم أبواه لا قاعدين » مردود ، لأن ذلك إنما يجوز فى الوصف الثانى دون الأول » .

وقد تأول ابن جنى الأمثلة التى جاءت من هذا القبيل بالطريقة المذكورة . ومثل ذلك قول امرئ القيس « مزمل » لأنه أراد : مزمل فيه ، ثم حذف حرف الجر ، فارتفع الضمير ، فاستتر فى اسم المفعول .

ومنه قول لبيد :

أَو مُذْهَبٌ جُـدَدٌ على أَلْوَاحِهِ
النَّـاطِقُ المَبْرُوزُ والمخْتُومُ[2]

أى : المبروز به ، ثم حذف حرف الجر فارتفع الضمير ، فاستتر فى اسم المفعول وعليه قول بشر بن أبى خازم :

لَتُحْتَمَلَنْ باللَّيْـلِ مِنْكُمْ ظَعِينَةٌ
إِلَى غَيرِ مَوْثُوقٍ من الأَرْضِ تَذْهَبُ[3]

أى : موثوق به ، ثم حذف حرف الجر فارتفع الضمير ، فاستتر فى المفعول .

هذا هو رأى ابن جنى وتأويله لما جاء من أنماط الإعراب على المجاورة فى كلام العرب .

---

(١) القاعدة الثانية من الباب الثامن .
(٢) الخصائص ١ / ١٩٣ .
(٣) الخصائص ١ / ١٩٣ .

خاتمـــة

العربية لغة متعددة الفنون . ودوحة متشعبة الأفنان . يستطيع المرء أن يجد فيها بغيته . وكلما كانت اللغة متنوعة الأساليب كانت أكثر عالمية . وأقوى على مجابهة التيارات العاصفة . وأقدر على تحديها واحتوائها ، وبالتالي أطول عمراً وأبقى خلوداً .

والعرب من الشعوب التي لقيت حظا عظيماً بأن منحهم الله هذه الجنة الوارفة الظلال ، إلى جانب ما أوتوا من فصاحة البيان وذرابة اللسان . فكان ذلك كله سنداً لهم في التفنن في ضروب القول ، وأساليب التعبير عن حوائجهم ومتطلبات حياتهم .

وما دام الإنسان ، فيما يعبر عنه ، يحس بهذا المجتمع وبصلاته ، وما دام يتحدث بوصفه عضواً من أعضاء هذا المجتمع ، فلابد أن يدور في فلك اللغة التي اصطلح عليها هذا المجتمع . لأن هذا الفلك هو الوشيجة التي تربطه به في الفهم والإفهام وإلّا لم يستطع أن يفهمه ويفهم عنه ، واستغلق الأمر وعميت الوسيلة التي يتخذها وسيلة للفهم والإفهام .

إن اللغة ليست من الأمور التي يصنعها فرد معين أو أفراد ؛ وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع ، وتنبعث عن الحياة الاجتماعية وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر وتبادل للأفكار . وللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك الأفراد في اتباعه ويتخذونه أساساً للتعبير عمّا يجول في خواطرهم وفي تفاهمهم بعضهم مع بعض (1) .

إن لكل لغة طابعها الاجتماعي الخاص في التعبير لا تطابق فيه غيرها من اللغات في جميع خصائصها .

والطابع الاجتماعي الخاص باللغة العربية فسيح المدى يتيح لأبنائها وحملة لوائها أن

---

(1) انظر اللغة والمجتمع لعلي عبد الواحد وافي/٤ .

يصولوا فيه ويجولوا ويبرزوا فيه شخصياتهم وعقولهم ونظامهم النفسى الخاص .

وإذا كان الذهب إنما هو معدن خاص له مقوماته الخاصة ، فإن الصائغين يستطيع كل منهم أن يبرز مواهبه وذوقه فيما يصوغ من هذا المعدن من ألوان الحلى المختلفة التى لاتقع تحت حصر . والناس ، من أقدم الأزمنة ، مفتونون بهذا المعدن ، يظهرون أذواقهم فيما اتخذوه ويتخذونه من حلى تختلف طوابعها وأشكالها باختلاف الزمان والمكان والجنس .

والعربية كنز ثمين تفنن أصحابه فى إخراج لآلئه بصور شتى تخلب الألباب وتأسر الأفئدة . وإذا كان الإنسان فى لغته العادية له طابعه الخاص ، وهومع ذلك لايكاد يخرج ذوقه عن اللغة العامية الجارية ، ولايكاد يتعدى ما تسوغه هذه اللغـة من ألوان الأساليب والتراكيب والصيغ ، فإن الأمر هو كذلك بالنسبة إلى من عرف الفصحى ونفذ إلى أسرارها ، ذلك بأنه مع دورانه فى حدود هذه اللغة ؛ إنما يفصح عن حدود ذاته ورسوم شخصيته ومن أجل ذلك قالوا : إن الأسلوب هو الرجل[1] .

فالأسلوب طريقة المتكلم فى التعبير والتفكير وتصوره للأشياء وفهمه لها . وإذا كان الأمر كذلك فمن منا يستطيع الحكم على إمام الشعراء وأمير أمراء كندة بضعف فى الأسلوب أو خروج عن الطابع العام أو المألوف فى هذه اللغة . وهل جر « مزمل » إلا وهو يعتمد على قدرة السامعين على إدراك مغزاه والمقصود من مبناه ؟

لاشك أنه جره تفننا فى القول وتوسعاً فيه ، وهو من هو فى الاحتجاج بشعره .

وإذا جرينا وراء الأساليب التى لانعتد بها ونعتبرها غير فصيحة ، وجدناها كثيرة ، وهى مع ذلك عربية . منها :

إنَّ أباهـا وأبا أباهـا
قد بلغنا فى المجدِ غايتاها[2]

---

(١) انظر أصول النقد الأدبى لأحمد الشايب / ٢٨٥

(٢) لرؤبة أو لأبى النجم العجلى .

وتزَودَ منا بين أُذْناه طعنة
دعتْهُ إلى هابي الترابِ عقيمِ [1]

وقد ذهب العرب فى لغتهم إلى إبدال أحد التضعيفين بالياء ، كقول العجاج :

تقضِّيَ البازِى إذَا البازِى كسر

والتقضى : الانقضاض ، كمايقولون : تظنيت ، والأَصل : تظننت ، لأَنه من الظن [2] .

وقد قرأ بعضهم فى كتاب الله المصون عن الضعف : « إنَّ هذانِ لساحِرانِ » [3]

فالفنون العربية أكثر من أن يحصرها عد ، ومن عادتهم أن يتوسعوا فى الكلام ويخلطوا بعضه ببعض ، فنجدهم يضمنون كلمة معنى كلمة أُخرى يصح أن تتسلط على المعطوف والمعطوف عليه كما مر فى قول الراعى النميرى :

إذا ما لغانيات برزن يوماً
وزججن الحواجب والعيونا

وقد ذهبوا شأْوا بعيدًا وتفننوافى التلاعب بالأَلفاظ والأَساليب فهم يعطون الشىء حكم ما أَشبهه فى معناه أَو فى لفظه أَو فى كليهما ، كجواز حذف خبر المبتدأ فى « إن زيدًا قائم وعمرو » اكتفاء بخبر « إن » ، لما كان « إن زيدًا قائم » فى معنى زيد قائم .

ونراهم يشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه ويسمونه « التضمين » وفائدته أَن تؤدى كلمة مؤدى كلمتين ، كقول الفرزدق :

كيف ترانى قالباً مِجنِّى
قد قتل اللهُ زيادًا عنِّى

أَى : صرفه عنى بالقتل .

كما أَنهم يغلبون على الشىء ما لغيره لتناسب بينهما أَو اختلاط ، لهذا قالوا : « الأَبوان » فى الأَب والأُم ، وأَمثاله كثيرة .

ومن فنون كلامهم القلب ، وأَكثر وقوعه فى الشعر ، كقول حسان :

كأَن سبيئةً من بيت رأْسٍ
يكون مِزاجُها عسل وماءُ

(١) لهوبر الحارثى – اللسان (هب) .
(٢) الكامل للمبرد ٢ / ٧٦٠
(٣) طه / ٦٣

فيمن نصب المزاج ، فجعل المعرفة الخبر ، والنكرة الاسم .

ومن ملح كلامهم تقارض اللفظين فى الأحكام ، كإعطاء « غير » حكم « إلّا » فى الاستثناء بها ، وإعطاء « أن » المصدرية حكم « ما » المصدرية فى الإهمال ، كقوله :

أن تقرآنِ على أسماءَ ويْحكُما
منّى السلامَ وأنْ لا تُشْعرا أحدا

وقد أشرنا إلى أنواع الإعراب المختلفة كالإعراب بقصد اللفظ والحكاية ، والإعراب على التوهم ، والإعراب على العارية . وقد أقر العلماء هذه الأنواع من الإعراب واعترفوا بأصالتها العربية ولم ينكروها ، فما المانع من اعتبار الإعراب على المجاورة ضمن هذه الأساليب العربية التى ذكرنا ؟

إننى لا أرى غضاضة أو حرجا فى اعتماد هذا الأسلوب لأسباب ، منها :

أولا : إن هذه الظاهرة وردت فى المعتمد من كلام العرب ، وفى القرآن الكريم ، وهذان من أهم المصادر التى اعتمد عليها العلماء فى استنباط قواعد النحو التى بين أيدينا .

ثانياً : إن ورود شواهد قليلة على هذه الظاهرة لا يعنى عدم وجودها ، ولايستدعى إنكارها ، حيث إن بعض الشواهد وردت فى القراءات القرآنية المعتمدة كقراءة « وأرجلكم » بالخفض .

ثالثاً : يحمد للعربية سعتها وتعدد أساليبها ، الأمر الذى يعين على التوسع فيها وهذه ظاهرة من ظواهر الاتساع فى اللغة العربية ، لا أرى ما يمنع إقرارها .

رابعاً : إذا نفينا أسلوباً من أساليب العربية لأنه لم يرقنا ، أو لندرة شواهده ، كان لزاماً إنكار باقى الأساليب المشابهة كالإعراب على التوهم ، مع أنه ورد فى القرآن الكريم باسم العطف على المعنى ، كما سماه العلماء ، تنزيها لكلام الله تعالى عن لفظ « التوهم » ، وكذا الحال فى الإعراب بقصد اللفظ والحكاية وغيرهما .

خامساً : إن الذى حمل بعض العلماء على دفعه وإنكاره – كما يغلب على ظنى – أنهم استطاعوا تأويل هذه الأنماط الواردة ، فلو لم يكن لهم مخرج بهذا التطويل لما قالوا بعدم وجوده ، ثم لم هذا التطويل فى التأويل ؟ .

سادساً : **إذا كانت قلة شواهده هي التي شجعت على إنكاره ، فإن الأمثلة والشواهد الواردة فيه أوفر وأكثر منها في الأنواع التي أوردناها .**

سابعاً : من تقصي الأمثلة والشواهد في هذا النوع من الإعراب ، ومن خلال اختلاف الآراء حولها ، تبين أن كثيرين من النحاة والمفسرين قد أقروه واعترفوا بوجوده ، وإن كان بعضهم قد قال بندرته واشترط آخرون شروطا لتحققه كما مر فإن هذه الشروط وتلك الندرة ليستا من من مبررات إلغائه .

ثامناً : إن المنكرين تكلفوا وتجشموا ما هم في غنى عنه ، فتلمسوا التخريجات لدعم آرائهم ، والعلماء مجمعون على أن الأخذ بالظاهر وعدم التقدير أولى وأجدر من التقدير والتأويل والحذف والتخريج .

وختاماً ، فإنني لا أرى بأساً في إباحة الأخذ بهذا الأسلوب والقياس عليه عند الضرورة وإذا لم يؤد إلى اللبس ، وفي ذلك تنمية للغة وزيادة خصبها وثرائها

والله أسأل أن يوفق أبناء هذه اللغة لخدمتها وصيانتها لتكون أداة سهلة للتعبير عن أفكار الناس ومصالحهم ووسيلة تفاهم وتعاون في سبيل البر والتقوى ، وأن تحمل في طياتها الخير للإنسانية ، وتؤدي رسالتها في تدعيم أسس السلام وسعادة البشرية في الدارين .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين .



المصادر والمراجع

* الآلوسي : أبو الفضل شهاب الدين محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، المطبعة المنيرية ، ودار إحياء التراث العربي – لبنان .

* الأخطل : أبو مالك غياث بن غوث . شعر الأخطل ، تحقيق فخر الدين قباوة حلب ١٩٧١ .

* الأشموني : نور الدين أبو الحسن على بن محمد ، شرح الأشموني على الألفية ، مطبعة الحلبي ، القاهرة .

* الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، الأصمعيات . تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، مصر .

* الأنباري : أبو بكر محمد بن القاسم ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٣

* ابن الأنباري : كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ، الإنصاف فى مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة .

* البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي ٩ صحيح البخاري ، لجنة إحياء كتب السنة ، القاهرة ١٣٨٧ هـ .

* التبريزي : أبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزي ، شرح القصائد العشر ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .

* جرير : ابن عطية الخطفي اليربوعي ، ديوانه ، شرح محمد بن حبيب ، تحقيق نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ ، ودار صادر ، بيروت ١٩٦٤ .

* ابن الجزرى : الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقى ، النشر فى القراءات العشر ، تصحيح على محمد الضباع ، المكتبة التجارية الكبرى .

* الجمل : سليمان بن عمر العجيلى ، الفتوحات الإلهية ، طبعة الحلبى ، القاهرة .

* ابن جنى : أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى بيروت ، وطبعة القاهرة ١٩٥٢ م .

– المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق على النجدى ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبى ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

– المنصف : تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، طبعة ١٩٥٤

* ابن الحاجب : جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر ، شرح الكافية له ، دار الطباعة العامرة ١٣١١ هـ .

* الحطيئة : جرول بن أوس ، ديوانه ، شرح ابن السكيت والسكرى والسجستانى ، تحقيق نعمان أمين طه ، القاهرة ١٩٥٨

* ابن حنبل : أحمد بن محمد . مسنده ، شرح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م .

* أبو حيان : محمد بن يوسف بن على الأندلسى ، البحر المحيط ، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ ، ومطابع النصر الحديثة بالرياض .

* أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستانى ، صحيح سنن المصطفى ، دار الكتاب العربى ، بيروت .

* الدسوقى : الشيخ محمد مصطفى عرفة ، حاشية الدسوقى على مغنى اللبيب ، القاهرة .

* ذو الرمة : أبو الحارث غيلان بن عقبة ، ديوانه ، شرح أحمد بن حاتم الباهلي ، تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، دمشق ١٩٧٢ ، وتحقيق مطيع ببيلي ، الطبعة الثانية دمشق .

* رضى الدين : محمد بن الحسن الاسترابادي ، شرحه على كافية ابن الحاجب ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ، شرحه على شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

* الزمخشري : جار الله محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١٩٦٦

* زهير : ابن أبي سلمى ، ديوانه ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٤ ، وشرح ديوانه لثعلب ، دار الكتب ١٣٦٣ هـ .

* الزوزني : أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، شرح المعلقات السبع ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ١٣٩٨ - ١٩٧٨

* سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون والطبعة الأميرية .

* ابن سيده : أبو الحسن علي بن اسماعيل ، المخصص ، الطبعة الأميرية ١٣١٨ هـ .

* السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن بكر ، همع الهوامع ، تحقيق عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٣٩٤ - ١٩٧٥ ، ونسخة بتصحيح محمد بدر الدين النعساني ، دار المعرفة ، لبنان

* الشايب : أحمد ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ م

* ابن الشجري : هبة الله بن علي بن حمزة ، الأمالي الشجرية ، دار المعرفة ، بيروت .

* الشريشي : أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي ، شرح مقامات الحريري ، القاهرة ١٩٥٢

* الشنقيطي : أحمد بن الأمين ، الدرر اللوامع ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٣ - ١٩٧٣ .

* الطبرسي : أبو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار الفكر ، بيروت ١٩٥٧ .

* الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبعة الأولى ، الأميرية ١٣٢٤ هـ .

- جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر .

* طرفة : طرفة بن العبد ، ديوانه ، تحقيق كرم البستاني ، المكتبة الثقافية ، بيروت

* العجاج : أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة ، ديوانه برواية الأصمعي ، تحقيق عزة حسن ، بيروت ١٩٧١ م .

* العكبري : أبو البقاء عبد الله الضرير بن الحسين ، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، وهو هامش على الفتوحات الإلهية ، وطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٩ م .

* عبد الواحد وافي : علي ، اللغة والمجتمع ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

* الفخر الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر القرشي ، التفسير الكبير ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

* القاضي : عبد الفتاح القاضي ، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

* القرطبي : أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، الطبعة الثانية ، دار الكتب المصرية ، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م

* القزويني : عمر بن عبد الرحمن بن عمر البهبهائي ، مخطوطة الكشف على الكشاف : مكتبة دار الأوقاف ، بغداد .

* القيسي : أبومحمد مكي بن أبي طالب ، التبصرة في القراءات . تحقيق محيي الدين رمضان ، نشر معهد المخطوطات العربية ، الطبعة الأولى ، الكويت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م

ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .

* المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة القاهرة .

- الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق زكي مبارك ، الطبعة الأولى ، وطبعة بتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته .

* المرزوقي : أبو علي أحمد بن محمد الحسن ، شرح ديوان الحماسة ، نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م

* امرؤ القيس : ابن حجر الكندي ، ديوانه ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر .

* ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ، لسان العرب .

* الميداني : أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ، مجمع الأمثال ، بيروت ١٩٦١م

* النيسابوري : نظام الدين الحسن بن محمد ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض .

* الهذليون : ديوان الهذليين ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م ، دار الكتب المصرية .

* ابن هشام : جمال الدين بن هشام الأنصارى ، شرح شذور الذهب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

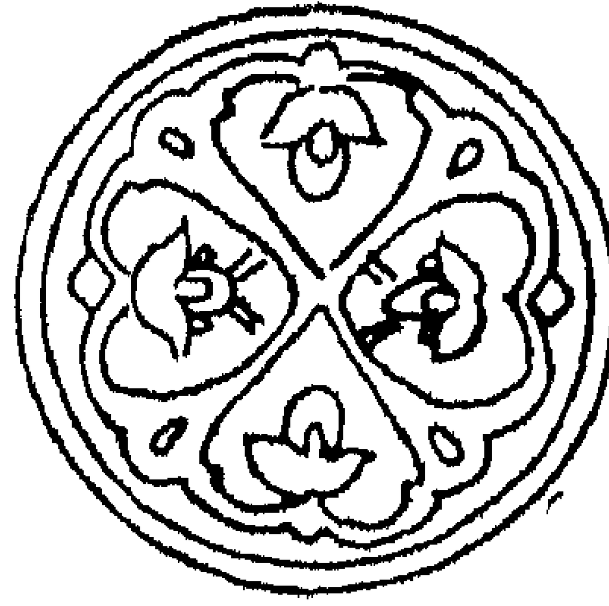
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمد الله ، دار الفكر .

- المسائل السفرية فى النحو ، تحقيق على حسين البواب ، كلية اللغة العربية ، الرياض ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤ م .

* الشيخ ياسين : ابن زين الدين الحمصى ، حاشية على شرح التصريح ، دار إحياء الكتب العربية .

* ابن يعيش : موفق الدين بن على ، شرح المفصل ، المطبعة المنيرية ، وطبعة عالم الكتب ، بيروت .

زيان أحمد الحاج ابراهيم
الأستاذ المساعد فى النحو والصرف
والعروض - بجامعة البحرين



بين الناظم "ابن مالك" والشارح ابنه "بدر الدين"

للدكتور إبرهيم الإذكاوى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله الطيبين الأطهار ، وأصحابه الهادين الأبرار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد . .

لقد آثرت دراسة بعض تعقيبات بدر الدين « فى كتابه شرح ألفية ابن مالك » ، لوالده ابن مالك (الناظم) لأن بدر الدين (ابن الناظم) تعقب أباه كثيرا دون هوادة فى بعض المسائل النحوية ، وربما حمله التعقيب على الإتيان ببيت بدل بيت الناظم (ابن مالك) ، وسنوضح ذلك إن شاء الله فى هذا البحث .

ولقد عاشا فى عصر واحد من الزمن (القرن السابع الهجرى) ، وكل منهما أحب العلم ، وأكب على الدراسة المتعمقة ،خاصة فى ميادين النحو واللغة ومما ساعد على ذلك ، ذكاء نادر ، وعقلية واعية ، ونفس صافية .

وقد تعرفت على هذه التعقيبات عن طريق كتاب شرح الألفية لابن الناظم (بدر الدين) الذى يعتبر بحق من المراجع الأساسية لشراح الألفية ويغلب على الظن أنه أول شرح عليها حتى امتاز أن يصير علمـا بالغلبة للشارح إذا أطلق فى هذه المصنفات .

وعن طريق مؤلفات ابن مالك التى تيسر اطلاعى عليها كالتسهيل وشرحه وشرح عمدة الحافظ ، وعدة اللافظ وشواهـد التوضيح والتصحيح على مشكلات الجـامع الصحيح استطعت بحمـد الله أن أتعرف على بعض

مسائل الاختلاف بين العالمين الجليلين وقد استأنست بكتب أخرى لهذا ، الغرض كهمع الهوامع للسيوطى ، وشرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى والجنى الدانى للمرادى ، وبعض شراح الألفية كابن عقيل والأشمونى .

وقد مهدت لكل تعقيب بتمهيد موجز ، عرضت فيه رأى كل منهما (ابن مالك وابنه بدر الدين) ثم ذكرت أقوالهما من واقع مؤلفاتهما ، وبعد ذلك عرضت آراء بعض العلماء ممن وافقت أقوالهم كلا من العالمين ، ثم رجحت ما ظهر لى رجحانه مؤيدا ما أقول بالدليل ما أمكن .

فإذا كنت قد وفقت فى بحثى هذا فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإن كانت الأخرى فحسبى أنى اجتهدت « وَما تَوْفِيقى إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْت وَإِلَيْهِ أُنِيب » .

وقبل أن أتعرض لهذه التعقيبات أردت أن أذكر طرفا يسيرا عن حياتهما ومكانتهما العلمية .

ابن مالك « الناظم » :

اسمه ونسبه : هو جمال الدين محمد ابن عبد الله بن عبد الله بن مالك الجيانى الطائى الشافعى النحوى نزيل دمشق [1] .

مولده :

ولد ابن مالك بجيان مدينة ، بالأندلس سنة ٦٠٠ هـ على أكثر الروايات واقتصر عليها ابن شاكر فى فوات الوفيات [2] ، وابن كثير فى البداية والنهاية [3] .

أخلاقه :

أجمع الذين ترجموا لابن مالك على أنه يمتاز برقة القلب ، وكمال الفعل والدين المتين ، وأنه كان حريصاً على العلم وحفظه ، حتى إنه حفظ يوم وفاته ثمانية شواهد [4] .

---

(١) انظر ترجمته فى نفح الطيب ٢ / ٢٢٢ وما بعدها ، وبغية الوعاة ١/١٣٠ وما بعدها وشذرات الذهب ٥/٣٣٩ ، ومفتاح السعادة ١/١٩٣ وما بعدها .

(٢) فوات الوفيات ٢/٤٥٢ وما بعدها .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/٢٦٧

(٤) نفح الطيب ٧/٢٥٧ وما بعدها .

مذهبه الفقهى :

يكاد يجمع كل من تعرض لمذهب المصنف على أنه كان مالكيا بالمغرب شافعيا بالمشرق ، وليس من المستبعد أن يكون مرد هذا إلى أن ابن مالك نشأ بالأندلس ، وكان المذهب المالكى سائدا على عهده فلما حل بالمشرق ورأى المذهب الشافعى فى مقدمة المذاهب وبخاصة فى مصر والشام ، أتيحت له فرصة الموازنة ، وحرية الاختيار بين المذهبين . وذكر الصفدى فى الوافى بالوفيات [1] ، والسيوطى فى بغيـــة الوعاة [2] أن ابن مالك قـــد انفرد عن المغاربة بشيئين : الكرم ، ومذهب الشافعى

مذهبه الاعتقادى :

يبدو لى من مؤلفات ابن مالك أنه كان سنيا معتدلا لا معتزلا ولا شيعيا يظهر ذلك بوضوح عند شرحه لقوله فى الكافية :

وَالْتَزَمُوا تَأْخِيرَهُ فِى نَحْوِ لَنْ
يَفُوزَ فَذَا بِالْمُنَى إِلَّا الْحَسَنْ

قال : « والإشارة إلى الحسن بن على – رضى الله عنهما – وإلى ما فاز به من الثواب الجزيل والثناء الجميل ، إذ أذعن لمصالحة معاوية – رضى الله عنه – فاغمد الله بفعله سيف الفتن تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه سلم « إن ابنى هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » [3]

ففى الوقت يثنى فيه المصنف على الحسن ابن على – رضى الله عنهما – يقول عن معاوية (رضى الله عنه) ومما يؤيد القول بأن ابن مالك – رحمه الله – ينتمى إلى مذهب أهل السنة والجماعة أنه كان يهدم آراء المعتزلة .ففى باب إعراب الفعل يقول : « ثم أشرت إلى ضعف قول من رأى تأبيد النفى بلن وهـو الزمخشرى فى أنموذجه ،

---

(١) انظر وافى الوفيات ٣ / ٣٦٠ .
(٢) بغية الوعاء ١ / ١٣٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥ / ٢٨ .
(٣) شرح الكافية الشافية مخطوطة ص ٧٢ .

وحامله على ذلك اعتقاده أن الله - تعالى لا يُرَى وهو اعتقاد باطل بصحة ذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعنى ثبوت الرؤية ،جعلنا الله من أهلها وأعاذنا من عدم الإيمان بها »[1]

فابن مالك رد على قول الزمخشرى بنفى الرؤية لأنها من مبادئ المعتزلة قال الشهرستانى فى الملل والنحل حين تحدث عن المعتزلة .

« واتفقوا على نفى رؤية الله تعالى بالأبصار فى دار القرار »[2]

منزلته العلمية :

نشأ ابن مالك محبا للعلم ،مقبلا على مؤلفات من سبقوه وكان - رحمه الله له باع طويل فى اللغة قال الصفدى ، « جلس ابن مالك يوما وذكر ما انفرد به صاحب المحكم - ابن سيده - ت ٤٥٨ هـ عن الأزهرى فى اللغة »[3] .

أما النحو والصرف فكان فيه بحرا لا يشق لجه[4] وفى هذا المجال عجب الفضلاء من فرط ذكائه ، وقوة حافظته واستحضاره لكل ما مر به حتى أصبحوا فى حيرة من أمره ، وانبرى من بينهم من يقول : « إن ابن مالك ما خلى للنحو حرمة »[5] .

وبمثل هذه العقلية الفذة ، استطاع ابن مالك أن يربى على متقدميه ، ويظهر على معاصريه ، حتى صار يضرب به المثل فى دقائق النحو وغوامض الصرف[6] .

مذهبه النحوى :

لم يكن ابن مالك متعصبا لمذهب أى من المدرستين البصرة والكوفة ، من هنا رأينا المصنف يؤيد البصريين إن سار الحق فى ركابهم ، ويوافق الكوفيين إن رأى الصواب معهم ، ويفند آراء

(١) المرجع السابق ١٧١ .
(٢) الملل والنحل ت فتح الله بدران ٦٢ .
(٣) الوافى بالوفيات ٣ / ٣٥٩ ، ونفح الطيب ٢ / ٢٢٣ .
(٤) فوات الوفيات ٢ / ٢٢٧ دائرة معارف البستانى ١/٦٧٤
(٥) نفح الطيب ٧ / ٢٧٢ ، بغية الوعاة ١ / ١٣٠ .
(٦) دائرة معارف القرن العشرين ٩ / ٤٧١ ، دائرة معارف البستانى ١ / ٦٧٥ .

هؤلاء وهؤلاء إن كان رأيه يخالفهم فقد ذهب ابن مالك ـ تبعا ـ لجمهور البصريين إلى أن الفعل ينقسم إلى ماضٍ ومضارع ، وأمر ، والكوفيون يرون أن القسمة ثنائية ، وأن الفعل ماض ومضارع فقط ، أما الأمر ـ في نظرهم ـ فإنه مقتطع من المضارع وليس أصلا برأسه ، وهو معرب مجزوم بلام الأمر التي حذفت حذفا مستمرا[1].

كما وافق البصريين في أن (كي) تأتي حرف جر ، كما تأتي ناصبة للمضارع ، وذهب الكوفيون إلى أنها ناصبة دائما ، ومذهب الأخفش أنها حرف جر دائما[2] .

ومن المسائل التي وافق فيها الكوفيين : امتناع تقديم خبر ليس عليها قياسا على فعل التعجب وعسى ونعم وبئس بجامع عدم التصرف وأجاز البصريون تقديم خبر ليس عليها[3]

كما وافق الكوفيين في جواز نيابة غير المفعول به عن الفاعل مع وجوده ، ومنع ذلك البصريون إلا الأخفش[4] .

مؤلفاته :

حاز المصنف (ابن مالك) قصب السبق في جميع الفنون ، ومؤلفاته خير شاهد على ذلك ، وأشهر كتبه ما يلي :

١ ـ الكافية الشافية

٢ ـ شرح الكافية الشافية .

٣ ـ الخلاصة المشهورة بالألفية

٤ ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد

٥ ـ شرح التسهيل .

٦ ـ شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ .

٧ ـ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح

٨ ـ شرح الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد .

٩ ـ اللامية في القراءات .

١٠ ـ كتاب في العروض .

---

(١) انظر شرح التسهيل لابن مالك ١٥ .
(٢) انظر عمدة الحافظ وعدة اللافظ ١٦١ .
(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف ٩٢ مسألة ١٨ ، وشرح المفصل ٧ / ١١٤ .
(٤) تسهيل الفوائد ٧٧ .

١١ – تحفة المودود في المقصور والممدود .

١٢ – الدالية في القراءات[1] .

توفي – رحمه الله – بدمشق سنة ٦٧٢ هـ[2] .

ابن الناظم « الشارح » :

هو محمد بدر الدين بن محمد بن عبد الله بن مالك ولد بدمشق ، ويغلب على الظن أنه ولد بعد سنة ٦٤٠ هـ لأنه قد توفي كهلا سنة ٦٨٦ هـ[3]

أخذ عن والده ، ونشأ حاد الذهن ووقع بينه وبين أبيه خلاف ، فسكن لأجلها بعلبك ، فقرأ عليه بها جماعة ، ولما مات أبوه ذهب إلى دمشق وولي وظيفة والده ، وتصدى للاشتغال . والتصنيف[4] .

وكان – رحمه الله – إماما ، فهما ذكيا ، وإماما في النحو ، والمعاني والبيان ، والبديع ، والعروض ، والمنطق .

ومن مؤلفاته :

١ – شرح ألفية والده .

٢ – شرح كافية والده أيضاً .

٣ – شرح لاميته .

٤ – شرح الملحة .

٥ – شرح التسهيل ولم يتمه

٦ – شرح الحاجبية .

٧ – مقدمة في العروض .

٨ – مقدمة في المنطق[5] .

وقد تعقب والده في نظمه دون هوادة في بعض المسائل التي نحن بصددها في هذا البحث إن شاء الله ، وهذا مما يدل على أمانته العلمية وقوة ذكائه وغزارة علمه ، نفع الله بهما وجزاهما عن العربية خير الجزاء .

---

(١) انظر مؤلفاته – مفتاح السعادة ١ – ١٩٣

(٢) انظر نشأة النحو ٢٢٢ .

(٣) ترجمته في الوافي بالوفيات ١ / ١٢٩ ، ١٣٠ ، وبغية الوعاة ١ / ٢٢٥ وشذرات الذهب ٥ / ٣٩٨

(٤) انظر نشأة النحو ٢٣٠ .

(٥) انظر المراجع السابقة .

بين الناظم « ابن مالك » والشارح بدر الدين ابنه » :

يغلب على الظن أن أول شرح على ألفية ابن مالك ، هو شرح ابن الناظم . والشرح – فى الحقيقة – يميل إلى دقة العبارة وصعوبة المأخذ أحيانا ويغلب عليه الاختصار ، مع الوفاء بمطالب الشرح والبيان .

وهذا الشرح كان الضياء الذى استنار به الشراح لألفية والده ، والمنار الذى اهتدى بهديه من تصدى لشرح الخلاصة (الألفية) لهذا كله امتاز هذا الشرح أن يصير علما بالغلبة « للشارح » إذا أطلق فى هذه المصنفات[1] .

ولقد أصبح هذا الشرح من المراجع الأساسية لشراح الألفية – كما ذكرت لدرجة أن شرح ابن الناظم وردت فيه بعض شواهد محرفة نقلها عنه من أتى بعده .

من ذلك على سبيل المثال : استشهاده فى أول باب نعم وبئس للكوفيين على اسميتها بقول الراجز :

صَبَّحَكَ اللهُ بِخَيرٍ بَاكِرِ
بِنِعْمِ طَيرٍ وشَبَابٍ فَاخِرِ[2]

وصحة الشطر الثانى « بِنُعْمِ عَيْنٍ ... لخ » كما فى لسان العرب[3] ، وعلى هذا ضاع الاستشهاد بالبيت مع أنه اقتفاه فى هذا الاستشهاد الأشمونى[4] .

ويلاحظ على ابن الناظم أنه ربما ساق شعر المحدثين استدلالا ، فقد جوز ذكر الخبر بعد لولا إن دل عليه دليل واستشهد على ذلك بقول أبى العلاء المعرى .

يُذِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ
فلَولاَ الغِمْدُ يُمسِكُهُ لَسَالاَ[5]

---

(١) انظر نشأة النحو ٢٣١ .

(٢) هذا بيت من الرجز ، ولم أقف له على نسبة إلى قائل معين ، والشاهد فيه قوله بنعم فان الكوفيين إلا الكسائى قد ذهبوا إلى أن «نعم» وبئس اسمان بمعنى المدح والذم ، واستدلوا على اسميتها بأمور منها دخول حرف الجر عليهما والبيت من شواهد العينى ٤ / ٢ وهمع الهوامع ٢ / ٨٤ ، والدرر اللوامع ٥ / ١٩٥ .

(٣) لسان العرب مادة (ن ع م)

(٤) شرح الأشمونى ٣ / ٢٧ .

(٥) من شواهد شذور الذهب ٣٦ ، والمغنى ٢٧٣ ، ٥٤٢ ، وشرح التصريح ١ / ١٧٩ ، والعينى ١ / ٥٤٠ وهمع الهوامع ١ / ١٠٤ والدرر اللوامع ٢ / ٢٧ والأشمونى ١ / ٢١٥ .

واقتفاه فى الاستشهاد بهذا البيت ابن هشام فى شذور الذهب والمغنى ،والشيخ خالد الأزهرى ، فى شرح التصريح ،والعينى فى شرح شواهد الألفية . والسيوطى همع الهوامع والشنقيطى فى دررالللوامع والأشمونى فى شرحه .

ولقد كثرت الحواشى على شرح ابن الناظم ، فكتب عليه ابن جماعة والعينى والسيوطى وزكريا الأنصارى وابن قاسم العبادى وغيرهم[1]

ولقد تعقب ابن الناظم أباه كثيرا كما ذكرت ـ دون هوادة فى بعض المسائل ، وربما حمله التعقب على الإتيان ببيت بدل بيت الناظم ،ففى باب التنازع رأى أن قول والده :

بلْ حَذْفَهُ الْزَم إنْ يَكُنْ غَيْرَ خَبَرْ
وَأَخِّرَنْهُ إنْ يَكُنْ هُوَ الخَبَرْ[2]

يفيد أن ضمير المتنازع فيه إن كان المفعول الأول فى باب ظن يجب حذفه مع أنه لا فرق بين المفعولين فاستصوب أن يقول بدله :

وَاحْذِفْهُ إنْ لَم يَكُ مَفعُول حسب
وَإنْ يَكُن ذَاكَ فَأَخِّرْه تُصِبْ[3]

إلا أن الشراح بعده من ابن هشام وابن عقيل والأشمونى وغيرهم تصدوا للرد عليه .

فالمرادى قال : قوله مفعول حسب يوهم أن غير مفعول (حسب) يجب حذفه وإن كان خبرا وليس كذلك لأن خبر كان لا يحذف أيضاً ، بل يؤخر كمفعول حسب نحو زيد كان وكنتُ قائماً إياه وهذا مندرج تحت قول المصنف « غير خبر » .

ولو قال .

بَلْ حَذْفُهُ إنْ كَانَ فضْلَةً حُتِم
وَغَيْرُهَا تَأْخِيرُه قَدِ الْتُزِمْ

لأجاد[4] .

واعترض الأشمونى أيضاً على كلام المرادى فقال : « وعلى هذا أيضاً من

(١) انظر نشأة النحو ٢٣٢ .
(٢) ألفية ابن مالك ٦٦ .
(٣) شرح الألفية لابن الناظم ٢٥٩ .
(٤) شرح الألفية للمرادى ٢ / ٧٣ .

المؤاخذة ما على بيت الأصل من عدم اشتراطه من اللبس. . . فكان الأحسن أن يقول :

وَاحذِفْهُ لاَ إنْ خِيفَ لَبْسٌ، أويُرَى
لِعُمْدَة فجِئْ بهِ مُؤخَّرًا[1]

ولهذا قال العلامة الملوى على شرحه للمكودى مهاجما ابن الناظم وردا عليه فى بعض مواقفهمع أبيه :

وَابنُ اللَّبُونِ إذَا مَـا لُزَّ فى قَرَن
لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البَزْلِ القَنَاعِيس[2]

ومواضع التعقيبات بين الناظم والشارح كثيرة ، ونكتفى بما يصور أهم هذه التعقيبات .

وأعنى بها : الموافقة الصريحة أو المخالفة أو الاستدراكات من الشارح على الناظم (ابن مالك) فى ألفيته ، ونكتفى بما يصور أهم هذه التعقيبات على سبيل المثال لا الحصر ، فمن ذلك :

١ ـ ابن مالك قسم المعرفة فى ألفيته إلى ستة أقسام ، وهى : الضمير ، واسم الإشارة ، والعلم ، والمضاف إلى معرفة ، والمعرف بالألف واللام واسم الموصول وأهمل المعرف بالنداء ، فقال ،

وَغَيْرُهُ مَعْرِفَةٌ كَهُم وَذِى
وَهِنْد وابنِى وَالغُلامَ والذى[3]

لهذا قال ابنه : « وواحد أهمله المصنف وهو المعرف بالنداء نحو يارجل[4] .

وكلام ابن مالك هنا ـ أى فى الألفية ـ لا يشمل ذلك ، وقد نبه على المعرف بالنداء فى شرحه لعمدة الحافظ وعدة اللافظ فقال :

« وإما معرف بالنداء كيارجل[5] .

٢ ـ إذا كان خبر كان وأخواتها ضميرا ، فإنه يجوز اتصاله وانفصاله ، واختلف فى المختار منهما ، فاختار ابن مالك الاتصال نحـو كنته

(١) شرح الألفية للأشمونى ٢ / ١٠٧ .
(٢) حاشية الملوى على شرح المكودى لألفية ابن مالك ٧٣ .
(٣) ألفية ابن مالك ١٥
(٤) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٥٥ .
(٥) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك ٤٩ .

فيقول :

وَصِلْ أَو افْصِلْ هَاءَ سَلْنِيهِ وَمَا
أَشْبَهَهُ فِي كُنْتُهُ الخُلْفُ انْتَمَى
كَذَاكَ خِلْتَنِيهِ واتصالاَ
أَخْتَارُ ، غَيْرِى اخْتَارَ الانفِصالاَ[1]

واختار سيبويه الانفصال نحو كنت إياه

ولقد ورد الأمران كثيرا فى كلام العرب ، فمن الاتصال قول أبى الأسود الدؤلى يخاطب غلاماً له كان يشرب النبيذ فيضطرب شأنه وتسوء حالته .

فَإِنْ لاَ يَكُنْهَا أَو تَكُنْهُ فَإِنَّه
أَخُوهَا غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلبَانِهَا[2] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب فى شأن ابن الصياد : إن يكنه فلن تسلط عليه ، وإلا يكنه فلا خير لك فى قتله » .

ومن الانفصال قول عمر بن أبى ربيعة المخزومى .

لَئِن كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا
عَنِ العَهْدِ ، والإنسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ[3] .

وقول الآخر :

لَيْسَ إِيَّاىَ وإيَّا
كَ ، وَ لاَ نَخْشَى رَقِيبا[4]

وابن عقيل يرى أن مذهب سيبويه أرجح فيقول : « ومذهب سيبويه أرجح لأنه هو الكثير فى لسان العرب على ما حكاه سيبويه عنهم وهو المشافه لهم »[5] .

وابن الناظم أيد والده فى هذه المسألة فقال : « والصحيح اختيار الاتصال لكثرته فى النظم والنثر الفصيح »[6]

وأما نحو خلتنيه وهو كل فعل تعدى إلى مفعولين : الثانى منهما خبر

---

(١) ألفية ابن مالك ١٧ .
(٢) البيت فى الكتاب لسيبويه ١/ ٤٦ ، والمقتضب للمبرد ٣/ ٩٨ ، والمقرب لابن عصفور ١/ ٩٥
(٣) البيت فى شرح المفصل لابن يعيش ٣ / ١٠٧ ، وخزانة الأدب للبغدادى ٥ / ٣١٢ وشرح التصريح ١/ ١٠٨ .
(٤) البيت فى المنصف لابن جنى ٣/ ٦٢ ، وهمع الهوامع للسيوطى ١ / ٦٤ ، وخزانة الأدب للبغدادى ٥/ ٣٢٢ .
(٥) شرح ابن عقيل ١/ ١٠٤ .
(٦) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٦٣ .

فى الأصل وهما ضميران ، فابن مالك اختار الاتصال أيضاً تقول خلتنيه لأنه أخصر ومذهب سيبويه الانفصال .

ولقد ورد الأمران فى فصيح الكلام أيضاً ، فمن الاتصال قوله تعالى « إذْ يُرِيكَهُم اللهُ فى مَنَامِك قليلا ، ولَوْ أَرَاكَهم كثيراً » [١] .

وقول الشاعر :

بُلِّغتُ صُنْعَ امْرِئٍ برٍّ إِخَالُكَهُ [٢]
إِذْ لَم تَزلْ لاكْتِساب الحَمْدِ مُبْتدرا [٣]

وابن الناظم خالف والده فى ذلك فقال : ثم ذكر – ابن مالك – أنه يختار الاتصال ، وأن منهم من يختار الانفصال نظرا إلى أنه خبر فى الأصل وليس بمرضى ، لأن الاتصال قد جاء فى الكتاب العزيز فى قوله تعالى (إذْ يُريكهُم الله فى مَنَامِك قَليلاً ، وَلَوْ أَراكَهُم كَثِيراً لَفَشِلْتُم) .

والانفصال لا يكاد يعثر عليه إلا فى الشعر كقوله [٣] :

أَخِى حَسِبْتُكَ إِيَّاهُ وَقَدْ مُلِئَتْ
أَرْجَاءُ صَدْرِك بالأَضْغَانَ والإِحَنِ [٤]

وما ذهب إليه ابن مالك والرمانى وابن الطراوة هو الراجح عندى ، لأن الاتصال أرجح فى خبر كان ، وفى المفعول الثانى من مفعولى ظن وأخواتها وذلك من قبيل أن الاتصال فى البابين أكثر ورودا عن العرب .

وقد ورد الاتصال فى خبر « كان » فى الحديث الذى رويناه سابقاً ، وورد الاتصال فى المفعول الثانى من باب ظن فى القرآن الكريم فيما قد ذكرناه ولم يرد فى القرآن الانفصال فى أحد البابين أصلًا وبحسبك أن يكون ، الاتصال هو الطريق الذى استعمله القرآن الكريم باطراد .

---

(١) من الآية ٤٣ من سورة الأنفال .
(٢) البيت فى كتاب المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية للعينى ١ / ٢٨٧ وشرح التصريح ١ / ١٠٨ شرح الأشمونى ١ / ١١٩ .
(٣) لم يعرف قائله ، واستشهد به العينى ١ / ٢٧٦ ، وشرح التصريح ١ / ١٠٧ ، وشرح الأشمونى ١ / ١١٩ .
(٤) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٦٥ .

٣ ـ إذا اجتمع الاسم واللقب فإن كانا مفردين ، وجب عند البصريين الإضافة نحو :هذا سعيد كرز ، ورأيت سعيدَ كرزٍ ، ومررت بسعيد كرزٍ .

وابن مالك اختار هذا الرأى فقال

وَإِنْ يَكُونَا مُفْرَدَيْنِ فَأَضِفْ
حَتْماً وَإِلاَّ أَتْبِعِ الَّذِى رَدِفْ[1]

وأجاز الكوفيون إتباع الثانى للأول على أنه بدل منه أو عطف بيان نحو هذا سعيدٌ كرزٌ ، ورأيت سعيدًا كرزًا ومررت بسعيدٍ كرزٍ ، ويجوز أيضاً القطع إلى النصب بإضمار فعل ، وإلى الرفع بإضمار مبتدأ نحو مررت بسعيد كرزًا ، وكرزٌ أى أعنى كرزا ، وهو كرزٌ .

وابن الناظم اختار رأى الكوفيين ، وخالف والده فقال : « وما قاله الكوفيون فى ذلك لا يأباه القياس »[2] .

وماذهب إليه الكوفيون عندى هوالحق ولهذا جرى عليه ابن مالك فى شرح التسهيل فقال : « فالمفردان يشاركان فى الإتباع والقطع وينفردان بالإضافة كسعيد كرز ، ولم يذكر فيها سيبويه إلا الإضافة[3] .

٤ ـ اختلف النحاة فى جواز تقديم خبر ليس عليها ، فذهب الكوفيون والمبرد والزجاج وابن السراج وابن مالك إلى المنع[4] .

وذهب الزمخشرى تبعا لجمهور البصريين وأبو على الفارسى وابن برهان إلى الجواز فتقول : قائما ليس زيد[5] .

فابن مالك نهج منهج الكوفيين ولهذا قال :

وَقَدِّم إِنْ شِئْتَ عَلَى الفِعْلِ الخَبَرْ
مَا لَم يَكُنْ دَامَ وَفِى لَيْسَ نَظَرْ

---

(١) ألفية ابن مالك ٢٠ .

(٢) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٧٣ .

(٣) شرح التسهيل ١ / ١٩٣ .

(٤) انظر الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى ٩٢ مسألة رقم ١٨ .

(٥) انظر شرح اللمع لابن برهان ٥٨ ، ٥٩ ، وشرح المفصل ٧/ ١١٤ .

وَمَنْعَ تَقْدِيمِ عَلَيْهَا أَمْثَلُ
عِنْدِي وَقَوْمٌ الجَوازَ فَضَّلُوا[1]

وابن الناظم خالف والده فى هذه المسألة واختار الجواز فقال : « فلا يلزم من امتناع التقديم على هذه الأفعال امتناع تقديم خبر ليس عليها »[2]

وما ذهب إليه ابن مالك والكوفيون من عدم جواز تقديم خبر (ليس) عليها هو الراجح عندى ، وذلك بسبب ضعفها بعدم التصرف ، ولأن (عسى) لا يتقدم خبرها إجماعا لعدم تصرفها .

٥ – المصدر المؤكد – مثل قولك فهمت فهما – لا يجوز حذف عامله ، لأنه مسوق لتقرير عامله وتقويته ، والحذف مناف لذلك[3] .

وأما غير المؤكد فيحذف عامله للدلالة عليه مثل ما ضربت ، فتقول بلى ضرباً مولماً ، أو بلى ضربتين وهذا ما يراه ابن مالك فقال :

وَحَذْفُ عَامِلِ المُؤَكِّدِ امْتَنَعْ
وَفِى سِوَاهُ لِدَلِيلٍ مُتَّسَعْ[4]

والشارح « ابن الناظم » خالف رأى والده ، ورد عليه فقال : « فإنهم يحذفون عامل المؤكد حذفاً جائزا ، وإذا كان خبرا عن اسم عين فى غير تكرير ولا حصر نحو أنت سيرا ، وميرا ، وحذفا واجبا فى مواضع يأتى ذكرها نحو سقيا ، ورعيا ، وحمدا ، وشكرا ، لا كفرا .

فمنع مثل هذا : إما لسهو عن وروده ، وإما للبناء على أن المسوغ لحذف العامل منه نية التخصيص ، وهو دعوى على خلاف الأصل ، ولا يقتضيها فحوى الكلام »[5]

وابن عقيل رد على ابن الناظم فى هذه المسألة فقال : « وقول ابن المصنف إن قوله : وحذف عامل المؤكد امتنع

---

(١) متن الكافية الشافية فى علم العربية لابن مالك ١٧ .
(٢) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ١٣٦ .
(٣) انظر شرح ابن عقيل ٢/ ١٧٥ ، وحاشية الصبان ٢–١١٥ .
(٤) ألفية ابن مالك ٦٨ .
(٥) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٢٦٦ .

سهو فيه ، لأن قولك ضَرْباً زيدا مصدر مؤكد ، وعامله محذوف وجوبا ليس بصحيح »[1]

ويعجبني ما استأنس به العلامة الملوى[2] على شرح المكودى تعليقاً على ما تقدم ودفعا للاعتراض :

وابْنُ اللَّبُون إِذَا مَا لزَّ فى قَرنٍ
لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البزْلِ القَنَاعِيس[2]

والراجح عندى فى هذه المسألة ما ذهب إليه ابن مالك ، وأن الأمثلة التى ساقها ابن الناظم ليست من باب التوكيد فى شيء ، لأن المصدر فيها نائب مناب العامل ، دال على ما يدل عليه ، وهو عوض منه ، ويدل على ذلك عدم جواز الجمع بينهما لأنه لا يجمع بين العوض والمعوض .

٦ ــ سوى ، مذهب الخليل وسيبويه والفراء ومن تبعهم فيها ، أنها لا تكون إلا ظرفا ، فإذا قلت قام القول سوى زيد « فسوى » عندهم منصوبة على الظرفية[3] .

ومذهب الكوفيين ، وتبعهم ابن مالك أنها تأتى ظرفاً ، وتأتى اسما متأثرا بالعوامل من غير ضرورة ولا شذوذ ، وأنها كغير ، فتعامل بما تعامل به غير وإلى هذا أشار بقوله

وَلِسوىً سُوىً سَواءٍ اجْعَلا
عَلَى الأَصَحِّ ما لِغَيْرٍ جُعِلا[4]

واستدل الكوفيون بورود ذلك فى كلام العرب نثرا و نظما .

فمن وقوعها مرفوعة قول محمد بن عبد الله بن مسلم .

وَإِذَا تُبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرى
فَسِوَاكَ بَائِعُهَا وأَنْت المشْتَرى[5]

---

(١) شرح ابن عقيل ٢ / ١٧٥ ، ١٧٦ ويراجع الرد عن ابن الناظم فى المرجع السابق .

(٢) حاشية الملوى على شرح المكودى لألفية ابن مالك ٧٣ .

(٣) انظر توضيح المقاصد للمرادى ٢ / ١١٦ وشرح الأشمونى ٢ / ١٥٨ .

(٤) ألفية ابن مالك ٧٥ .

(٥) استشهد به السيوطى فى كتابه همع الهوامع ١ / ٢٠٢ ، والشنقيطى فى كتابه درر اللوامع ٣ / ٩٢ ، والأشمونى ٢ / ١٥٩ .

ومن استعمالها منصوبة على غير الظرفية قول الشاعر :

لَدَيْكَ كَفِيلٌ بِالْمُنَى لِمُؤَمِّلٍ
وإنَّ سِوَاكَ مَنْ يُؤَمِّلُهُ يَشْقَى (١)

من استعمالها مجرورة قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « دَعَوْتُ رَبِّى ألا يُسلِّط عَلَى أُمّتى عَدُوا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهَا » .

ومذهب الرمانى وأبى البقاء العكبرى أنها تستعمل ظرفا منصوبا على الظرفية وتستعمل غير ظرف ؛ ولكن استعمالها ظرفا أكثر من استعمالها غير ظرف (٢) وقد اختار ابن هشام هذا الرأى وقال : « وإلى مذهبها أذهب » (٣) وابن الناظم وافق أباه فى ذلك فقال : « فليس الأمر فى سوى كما قال سيبويه ، فلذلك جعل الشيخ (رحمه الله) خلافه هو الأصح » (٤) .

وما ذهب إليه الكوفيون وابن مالك هو الراجح عندى لكثرة الشواهد ، الواردة عن العرب التى تؤيد رأيهم . وتمنعنا من أن نتمحل لتأويلها ، أو أن ندعى أنها ضرورة من ضرورات الشعر .

٧ ـ صاحب الحال قد يكون مجرورا بحرف جر أصلى مثل : مررت بهند جالسة . وقد يكون مجرورا بحرف جر زائد كقولك : ما جاء من أحد راكبا .

ولا خلاف بين النحاة فى أن صاحب الحال إذا كان مجرورا بحرف جر زائد يجوز تقديم الحال عليه وتأخيره عنه كقولك : ما جاء من أحد راكبا وما جاء راكبا من أحد .

والخلاف منحصر بينهم فى تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر أصلى ، فذهب الفارسى ، وابن كيسان وابن برهان ، وتابعهم ابن مالك

(١) البيت لم يعرف قائله ، انظر شرح العينى ٣/ ١٢٥ ، وشرح الأشمونى ٢/ ١٥٩ .

(٢) انظر شرح الأشمونى ٢/ ١٦٠ .

(٣) انظر هامش شرح ابن عقيل ٢/ ٢٣١ .

(٤) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٣٠٥

إلى جواز ذلك لورود السماع[1] ، واستدلوا بقول الشاعر :

لَئِنْ كَانَ بَرْدُ المَاءِ هَيْمَانَ صَادِياً
إلَيَّ حَبِيباً ، إنَّها لَحَبِيبُ[2]

وقول الآخر :

مَشْغُوفَةً بِكَ قَدْ شُغِفْتُ وإنَّما
حُمَّ الفِراقُ فَمَا إلَيْكَ سَبِيلُ[3]

وأكثر النحاة لايجوزون تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر أصلى فلا يجوز عندهم مررت جالسة بهند . والشارح ابن الناظم وافق على رأى أبيه فقال : « وخالفهم الشيخ (رحمه الله) فى هذه المسألة ، وأجاز تقديم الحال على صاحبها للمجرور بحرف »[4] وذكر بدر الدين ما يؤيد مذهب والده .

وأرى : أن الرأى الذى يجوز تقدم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر أصلى هو الأصوب لكثرة ورود الشعر العربى فى ذلك .

٨ – اختلاف النحاة فى معنى الإضافة المحضة .

فذهب سيبويه والجمهور وتبعهم أبو على الفارسى والإمام عبد القاهر الجرجانى إلى أن الإضافة لا تعدو أن تكون بمعنى اللام أو من »[5] .

فيتعين تقدير « من » إن كان المضاف إليه جنسا للمضاف مثل هذا ثوب حرير وخاتم ذهب أى هـذا ثوب من حرير ، وخاتم من ذهب .

فإن لم يتعين تقدير « من » فالإضافة بمعنى اللام مثل هذا غلام محمد ، وهذه

---

(١) انظر شرح الأشمونى ٣/ ١٧٦ ، ١٧٣ ، وشرح ابن عقيل ٢/ ٢٦٤ .

(٢) البيت لكثير عزة انظر العينى ٣/ ١٥٦ ، وشرح الأشمونى ٢/ ١٧٧ .
والشاهد فى هيمان حيث وقع حالا عن الياء فى إلى وتقدمت عليه مع كونه مجرورا .

(٣) البيت لم يعرف قائله : انظر العينى ١٦٢/٣ ، وشرح الأشمونى ١٧٧/٢ والشاهد فى مشغوفة حيث وقع حالا من المجرور وهو الكاف فى بك .

(٤) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٣٢٣ .

(٥) انظر كتاب المقتصد فى شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجانى ٢ / ٨٧٠ ، ٨٧١ وانظر الأصول لابن السراج ٢/ ٥ ، وشرح ابن عقيل ٣/ ٤٣ ، ٤٤ .

دار عبد الله أى غلام لمحمد ، ودار لعبد الله[1] .

وذهب بعض النحاة إلى أن الإضافة تكون بمعنى اللام فقط ، وعللوا ذلك بأن كلا من الظرف والتبعيض يصح فيه اعتبار معنى اللام[2] .

ومن العلماء من ذهب إلى أن الإضافة كما تكون بمعنى « مِنْ » و « اللاَّم » تكون أيضاً بمعنى « فى » إن كان المضاف إليه ظرفاً واقعاً فيه المضاف واستدلوا على رأيهم بشواهد من القرآن الكريم والشعر العربى ،من ذلك : قوله تعالى « لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِم تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ[3] .

وقوله تعالى : «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ[4]

وقول حسان بن ثابت .

تُسَائِلُ عَنْ قِومٍ هِجَانٍ سَمَيدَعٍ
لَدَى الْبَأْسِ مِغْوارُ الصباحِ جَسُورِ[5]

وابن مالك وافق على ذلك .

يقول الشارح « ابن الناظم » : واختار الشيخ (رحمه الله) هذا المذهب فلذلك قال :

والثَّانىَ اجْرُرْ وَانْوِ «من»أَوْ «فى» إِذَا
لَمْ يَصْلح الاَّ ذَاكَ ، واللاَّم خُذَا[6]

وابن الناظم خالف والده فى هذا الرأى فقال :

« والإضافة بمعنى « فى » مختلف فيها والحمل على المتفق عليه أولى من الحمل على المختلف فيه »[7] .

وقال أيضاً : « إن دعوى كون الإضافـة بمعنى « فى » يستلزم دعوى كثرة الاشتراك فى معناها ، وهو على خلاف الأصل ، فيجب اجتنابها »[8]

وذكر ابن الناظم أدلة على ضعف ما رآه والده فى هذه المسألة .

---

(١) المراجع السابقة .

(٢) انظر حاشية الصبان ٢/ ٢٣٨ .

(٣) من الآية ٢٢٦ من سورة البقرة .

(٤) من الآية ٣٣ من سورة سبأ .

(٥) البيت من شواهد العينى ٣/٣٥٨ .

(٦) ألفية ابن مالك

(٧) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٣٨٣ .

(٨) المرجع السابق ٣٨٢ .

وما ذهب إليه سيبويه وجمهور النحاة من أن الإضافة المحضة تكون بمعنى «اللام» أو «من» هو الراجح عندى وذلك لقوة أدلتهم .

٩ ـ لا خلاف فى امتناع تقديم معمول فعل التعجب عليه ، لأن الفعل الجامد ضعيف فى ذاته ، فلا يتصرف فى معموله بتغيير موضعه ، لا بتقديمه عليه ، ولا بالفصل بينه وبينه ، فلا يجوز أن نقول : محمدا ما أَحْسَنَ ، ولا ما محمدا أَحْسَنَ ، ولا بمحمدٍ أَحْسِنْ.[1]

ولا خلاف أيضاً فى امتناع الفصل بين فعل التعجب وبين المتعجب منه ـ كما ذكرت ـ بغير الظرف والجار والمجرور ، كالحال والمنادى مثلا فلا يجوز أن تقول : ما أحسن ضاحكا محمدا ولا ما أحسن يا عبد الله عليا .

وأما الفصل بالظرف والجار والمجرور ففيه خلاف مشهور ؛ فذهب سيبويه والأخفش والمبرد والزمخشرى ومن وافقهم إلى منع الفصل[2] .

بين فعل التعجب ومعموله بالظرف والجار والمجرور ، فلا يقال : ما أحسن فى الدار محمدا ، ولا أَكْرِم اليوم بعلى ؛ واحتجوا بأن التعجب جرى مجرى الأمثال والأمثال لا تتغير .

ويرى أكثر النحاة جواز الفصل بين فعل التعجب ومعموله بالظرف والجار والمجرور ، وهو اختيار ابن مالك والشارح.

يقول ابن الناظم : « والصواب أن ذلك جائز وهو المشهور والمنصور[3] » وما ذهب إليه أكثر النحاة وابن مالك وابن الناظم هو الذى أميل إليه ، لورود الفصل فى النثر وفى الشعر العربى ، بكثرة ، ولأنهم يتوسعون فى الظرف والجار والمجرور .

وما ورد فيه الفصل قول الشاعر :

وَقَالَ نَبِىُّ الْمُسْلِمِينَ تَقَدَّمُوا
وَأَحْبِبْ إِلَيْنَا أَنْ تَكُونَ الْمُقَدَّمَا[4]

---

(١) انظر شرح الأشمونى ٣/ ٢٤ ، ٢٥ ، وابن عقيل ٣/ ١٥٦ ، ١٥٧ وشرح المفصل ٧/ ١٥٠ .

(٢) المراجع السابقة .

(٣) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٤٦٤ .

(٤) قاله الشاعر : العباس بن مرداس ، البيت من شواهد العينى ٣ / ٦٥٦ والتصريح ٢/٣٥٣ ، وهمع الهوامع ٢ / ٩٠ ، ٩١ ، ودرر اللوامع ٥ / ٢٣٤ . والشاهد قوله « إلينا » فقد فصل بين فعل التعجب وهو « أحبب وفاعله الذى انسبك من الحرف المصدرى ومعموله ، وذلك جائز فى الأصح على مذهب النحاة .

وقول الآخر :

خَلِيلَيَّ مَا أَحْرَى بِذِي اللُّبِّ أَنْ يُرَى
صَبُورا وَلكِنْ لاَ سَبِيل إِلَى الصَّبْر (١)

ومن النثر قول عمرو (٣) بن معد يكرب :

« مَاأَحْسَنَ فِي الهَيْجَاء لِقَاءَهَا وَأَكثر فِي اللَّزْبات عَطَاءَنَا ، وَأَثبَت فِي المَكْرُمَات بَقَاءَهَا » .

ولذا قال ابن مالك :

وَفِعْل هَذَا البَاب لَنْ يُقَدما
مَعْمُولَهُ وَوَصْلُهُ بِهِ الْزَمَا
وَفَصْلُهُ بِظَرْف اوْ بِحَرْف جَرّ
مُسْتَعْمَلٌ وَالْخُلْفُ فِي ذَاكَ اسْتَقَر (٢)

١٠ — منع ، سيبويه والسيرافي وابن جني ومن تبعهم الجمع بين الفاعل الظاهر والتمييز في باب نعم وبئس ، فلا يجوز أن تقول على رأيهم : نعم الرجل رجلا محمد . لأن الإبهام قد ارتفع بظهور الفاعل فلا حاجة إلى تمييز (٣) وأجاز ذلك المبرد وابن السراج ، وأبو علي الفارسي وابن مالك وابن الناظم (٤) يقول ابن مالك :

وَجَمْعُ تَمْيِيزٍ ، وَفَاعِلٍ ظَهَرْ
فِيهِ خِلاَفٌ عَنْهُمْ قَدِ اشْتَهَرْ (٥)

وما ذهب إليه ابن مالك من جواز الجمع بين الفاعل الظاهر ، والتمييز في نعم وبئس هو الذي أميل إليه لكثرة ورود ذلك نظما ونثرا

فمن النظم قول الشاعر

تَزَوَّدْ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا
فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ أَبِيكَ زَادا (٦)

---

(١) البيت لم يعرف قائله ، واستشهد به العيني ٣ / ٦٦٢ ، والهمع ٢ / ٩١ والدرر ٥ / ٢٤٢ ، وحاشية يس ٢ / ٩٠ ، والأشموني ٣ / ٢٤ والشاهد قوله : « بذي اللب » حيث فصل بين فعل التعجب وهو « أحرى » ومعموله وهو المصدر المنسبك من الحرف المصدري وذلك جائز في الأصح على مذهب النحاة .

(٢) ألفية ابن مالك ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٣) انظر الكتاب لسيبويه ١ / ٣٠١ ، والخصائص لابن جني ١ / ٣٩٥ واللمع لابن جني ٢٢٢ .

(٤) انظر المقتضب ٢ — ١٤٢ ، والأصول لابن السراج ١ — ١١٤ ، وشرح الألفية لابن الناظم ٤٧٠ ، ٤٧١ والمقتصد في شرح الإيضاح ١ / ٣٧٢ .

(٥) ألفية ابن مالك ١٠٤ .

(٦) البيت لجرير (من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز) وهو من شواهد المقرب لابن عصفور ١ / ٦٩ ، ومغني اللبيب ٤٦٣ ، وشرح شواهد المغني للبغدادي ١ / ٦٣ .

وقول الشاعر :

التَّغْلبيُّونَ بِئْسَ الفَحْلُ فَحْلُهُمُ
فَحْلاً وَأُمُّهُمُ زَلَّاءُ مِنْطِيقُ (١)

ومن النثر ما حكى من كلامهم : نعم القتيل قتيلا أصلح بين بكر وتغلب .

لهذا قال ابن الناظم : « وما ذهب إليه المبرد هو الأصح ، فإن التمييز كما يجئ لرفع الإبهام ، كذلك يجئ للتوكيد » (٢) .

١١ – مذهب الكوفيين – واختاره ابن مالك – جواز توكيد النكرة ، المحدودة لحصول الفائدة مثل : صمت شهرا كله ، ولا يجوز عندهم توكيد النكرة غير المحدودة مثل حين ، ووقت وزمان ، لأنه لا فائدة في توكيدها .

ومنع البصريون توكيد النكرة سواء كانت محدودة أو غير محدودة (٣) وابن الناظم وافق والده في ذلك . يقول : وقول الكوفيين أولى بالصواب لصحة السماع بذلك ، ولأن في توكيد النكرة المحدودة فائدة كالتي في توكيد المعرفة ، فإن من قال : صمت شهرا ، قد يريد جميع الشهر ، وقد يراد أكثره ، ففي قوله احتمال ، فإذا قال : « صمت شهرا كله » ارتفع الاحتمال وصار كلامه نصا على مقصوده فلو لم يسمع من العرب لكان جديرا بأن يجوز قياسا ، فكيف به واستعماله ثابت » (٤) .

والرأى عندى هو ما قاله الكوفيون لوجود السماع بذلك شعرا ومن ذلك قول عبد الله بن مسلم الهذلى :

لَكِنَّه شَاقَه أَنْ قِيلَ ذَا رَجَبٌ
يَالَيْتَ عِدَّةَ حَوْلٍ كُلِّه رَجَبُ (٥)

---

(١) البيت لجرير وهو من شواهد المقرب ١/ ٦٨ وشرح العينى ٤ / ٧ ، وهمع الهوامع ٢/ ٨٦ ودرر اللوامع ٥/ ٢٠٨ .

(٢) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٤٧١ .

(٣) انظر الإنصاف فى مسائل الخلاف ٢٣٩ مسألة ٦٣ .

(٤) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(٥) البيت من شواهد الإنصاف ٢٤٠ وابن يعيش ٣/ ٣٥ والأشمونى ٣/ ٧٧ .

وإلى هذا يشير ابن مالك بقوله :

وَإِنْ يُفِدْ تَوْكِيدُ مَنْكُورٍ قُبِل
وَعَنْ نُحَاةِ البَصْرَةِ المَنْعُ شَمِل (١)

١٢ – لا يؤكد المثنى – فيما سمع من العرب – إلا بالنفس ، أو بالعين ، أو بكلا فى التذكير ، أو بكلتا فى التأنيث .

ومذهب البصريين أنه لا يؤكد بغير ذلك .

ولا يثنى « أجمع » ولا « جمعاء » ، وهذا ما ذهب إليه ابن مالك (٢) وأجاز الكوفيون فى القياس أن يؤكد المثنى فى التذكير بأجمعين ، وفى التأنيث بجمعاوين تقول : جاء الجيشان أجمعان وجاءت القبيلتان جمعاوان ، استغناء بكلا وكلتا .

وأشار ابن خروف إلى أن ذلك لا مانع منه .

وابن الناظم خالف والده فى هذه المسألة ، واختار رأى الكوفيين فقال : « وعندى أن ثم ما يمنع منه . . . فلو قلت جاء الجيشان أجمعان لم يأبه القياس (٣) .

وما ذهب إليه البصريون هو الراجح عندى ، لأن ما قاله الكوفيون لم ينقل عن العرب ، وإلى هذا يشير ابن مالك بقوله

وَأَغْنِ « بِكِلْتَا » فِى مُثَنَّى « وَكِلا »
عَنْ وَزْنِ فَعْلاءَ وَوَزْنِ أَفْعَلا (٤)

١٣ – الحكم إن كان المعطوف عليه ضميرا مجرورا ، ذهب جمهور البصريين والزجاج والزمخشرى إلى وجوب إعادة الجار ، إن كان المعطوف عليه ضميرا مجرورا ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى :

« قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ » (٥)

---

(١) ألفية ابن مالك ١١٢ .
(٢) التسهيل لابن مالك ١٦٥ .
(٣) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٥٠٨ .
(٤) ألفية ابن مالك ١١٣ .
(٥) من الآية ٦٤ من سورة الأنعام .

وقوله تعالى : « وَعَلَيْهَا وَعَلَى الفُلْكِ تُحمَلُونَ »[1] وقوله تعالى : « فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا[2] »

وذهب يونس والفــراءُ والأخفش والكوفيون وتبعهم ابن مالك إلى جواز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجر[3] .

يقول الشارح « ابن الناظم » وهو اختيار الشيخ »[4] .

ويقول ابن مالك فى هذه المسألة

وَعَوْدُ خَافِضٍ لَدَى عَطْفٍ عَلَى
ضَمِيرِ خَفْضٍ لاَزِماً قَدْ جُعِلاَ
وَلَيْسَ عِنْدِى لازِماً إذ قَدْ أَتَى
فى النَّظْمِ والنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتا[5]

فابن مالك جوز العطف على الضمير بدون إعادة الجر لورود السماع نظما ونثرا .

من ذلك قوله تعالى : « وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ والأرْحَامِ »[6] بخفض الأرحام ، وهى قراءة ابن عباس . ومنه قول الشاعر

فَاليَومَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتُمُنَا
فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ والأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ[7]

ومذهب الجرمى والزبادى : أنه إذا أكد الضمير جاز العطف بدون إعادة الجار مثل قولك : مررت بك أنت وزيد[8] .

وابن الناظم خالف والده « ابن مالك » فى ذلك فقال : « والدليل على أن العطف المذكور – العطف على الضمير

---

(١) سورة المؤمنون آية ٢٣ .
(٢) من الآية ١١ من سورة فصلت .
(٣) انظر الإنصاف ٢٤٦ مسألة ٦٥ .
(٤) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٥٤٤ .
(٥) ألفية ابن مالك ١٢٠ .
(٦) من الآية ١من سورة النساء .
(٧) البيت لم يعرف قائله وهو من شواهد الكتاب ١/ ٣٩٢ ، والكامل ٣/ ٣٩ وشرح أبيات سيبويه للسيرا فى ٢/ ٢٠٧ ، والخزانة ٥/ ١٢٣ .
(٨) شرح الأشمونى ٣/١١٥ ، ١١٦

المخفوض بدون إعادة حرف الجر – لايجوز فى القياس من وجهين .

أحدهما : أن الضمير المجرور شبيه بالتنوين لمعاقبته له ، وكونه على حرف واحد ، فلا يجوز العطف عليه ، كما لم يجز العطف على التنوين .

الثانى : أن الضمير المتصل متصل كاسمه ، والجار والمجرور كشىء واحد فإذا اجتمع على الضمير الاتصالان أشبه العطف عليه العطف على بعض الكلمة ، فلم يجز ، ووجب إما تكرير الجار ، وإما النصب بإضمار فعل [1] وماذهب إليه ابن مالك – تبعاً للكوفيين من جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار – هو الراجح عندى لورود الشواهد التى تؤيد ذلك من القرآن الكريم والشعر العربى ، وقد تقدم ذكرها .

١٤ – لا يجوز حذف حرف النداء من اسم الجنس واسم الإشارة إلا فيما ندر من نحو قولهم : « أَطْرِقْ كَرَا » [2] و « أَفْتَدِ مَخْنُوق » [3] و « أَصْبِحْ لَيْل » [4] وقول الله سبحانه وتعالى : « ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ » [5] وهذا ماذهب إليه البصريون فيقصرون حذف حرف النداء فى ذلك على السماع .

وعند الكوفيين : أن حذف حرف النداء من اسم الجنس والمشار إليه قياس مطرد ومنه قول الشاعر

إِذَا هَمَلَتْ عَيْنِى لَهَا قَالَ صَاحِبِى
بِمِثْلِكَ هَـٰذَا لَوْعَةٌ وَغَرَامُ [6]

وابن مالك اختار مذهب الكوفيين ولهذا قال :

وَذَاكَ فِى اسْمِ الجِنْسِ والمُشَارلَهْ
قَلَّ وَمَنْ يَمْنَعْهُ فانْصُرْ عَاذِلَهْ [7]

---

(١) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٥٤٦ .
(٢) جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى ١/ ١٩٤ ، والمستقصى للزمخشرى ١ / ٢٢١ .
(٣) المستقصى للزمخشرى ١/ ٢٦٥ .
(٤) مجمع الأمثال للميدانى ١/ ٢٧٣ ، وجمهرة الأمثال ١/ ١٩٢ .
(٥) من الآية ٨٥ من سورة البقرة .
(٦) قاله ذو الرمة ، والبيت من شواهد العينى ٤ / ٢٣٥ ، التصريح ٢ / ١٦٥ وشرح الأشمونى ٣ / ١٣٦ والشاهد فى هذا حيث حذف منه حرف النداء .
(٧) ألفية ابن مالك ١٢٣ .

وقد صرح ابن مالك فى شرح الكافية بموافقته للكوفيين فى اسم الجنس فقال « وقولهم فى هذا أصح »[1] .

وابن الناظم خالف ابن مالك فى ذلك فقال : « وأما اسم الجنس ، واسم الإشارة فلا يحذف منهما حرف النداء . . . وذلك لأن حرف النداء فى اسم الجنس كالعوض من أداة التعريف ، فحقه ألا يحذف كما لم تحذف الأداة ، واسم الإشارة فى معنى اسم الجنس ، فجرى مجراه[2] .

وأرى أن الإنصاف فى هذه المسألة هو الراجح عندى ، فالحذف يكون قياسا فى اسم الجنس لكثرة وقوعه نظما ونثرا ، ويكون حذف حرف النداء سماعيا فى اسم الإشارة إذ لم يرد إلا فى الشعر .

١٥ ـ انفردت « لو » الشرطية من بين أخواتها بمباشرة (أن) كقوله تعالى :

« وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ »[3] .

واختلف فى موضع « أن » وصلتها بعد « لو » .

فذهب الكوفيون والمبرد والزجاج والزمخشرى إلى أنها فاعل لفعل محذوف والتقدير « ولو ثبت أنهم صبروا »[4]

ولهذا قال الزمخشرى فى كشافه « أنهم صبروا فى موضع رفع على الفاعلية لأن المعنى ولو ثبت صبرهم »[5]

ويرى سيبويه ووافقه ابن مالك أنها فى موضع رفع بالابتداء[6] .

وابن الناظم خالف رأى والده فقال : « و (لو) مثل (أن) فى أن شرطها لايكون إلا فعلا »[7]

---

(١) شرح الأشمونى ٣/١٣٧ .
(٢) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٥٦٦ .
(٣) من الآية ٥ من سورة الحجرات .
(٤) انظر المقتضب للمبرد ٣/٧٧ ، والكشاف للزمخشرى ٣/٥٥٩ .
(٥) الكشاف للزمخشرى ٣/٥٥٩ .
(٦) انظر شرح الأشمونى ٤/٤٠ .
(٧) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٧١١ .

والراجح عندى ماذهب إليه الكوفيون ومن تبعهم ، لأنه أقيس لاختصاص لو بالأفعال ولذلك قال ابن يعيش « ولاقتضاء (لو) الفعل إذا وقع بعدها (أنّ) المشددة لم يكن بد من فعل فى خبرها نحو قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا) [1] ونحو قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ) » [2][3]

واختلف النحاة أيضاً فى خبر (أنّ) الواقعة بعد (لو) ، فأوجب الزمخشرى أن يكون فعلا ، ولم يجز كونه اسما مشتقاً .

وخالفه ابن مالك واعترض عليه ورأى أن ما منعه الزمخشرى شائع ذائع فى كلام العرب ، كقوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّ مَـا فِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ » [4] فالشاهد فى الآية وقوع خبر أن بعد لو اسما جامدا وهو قوله « أقلام »

وكقول الشاعر :

وَلَوْ أَنهَا عُصْفُورَةٌ لَحَسِبْتُهَا
مُسَوَّمَةً تَدْعُو عُبَيْدًا وَأَزْنَمَا [5]

وقول الشاعر :

وَلَوْ أَنَّ حَيًّا فَائِتُ المَوْتِ فَاتَهُ
أَخُو الحَرْبِ فَوْقَ القَارِحِ العَدَوَانِ [6]

وقول الراجز :

لَوْ أَنَّ حَيًّا مُدْرِكُ الفَلَاحِ
أَدْرَكَهُ مُلَاعِبُ الرِّمَاحِ [7]

إلى هذا أشار ابن مالك بقوله

وَهْيَ فِى الاخْتِصَاصِ بِالفِعْلِ كَإِنْ
وَبَاشَرَتْ أَنَّ (كَلَوْ) أَنِّى فَطِنْ

---

(١) من الآية ١٠٣ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ٣١ من سورة الرعد .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ٩/ ١١ .

(٤) من الآية ٢٧ من سورة لقمان .

(٥) البيت للعوام بن شوذب أو لجرير ، وهو من شواهد المغنى ٢٧٠ .وشرح شواهد المغنى للبغدادى ٥ / ٩٧ والجنى الدانى ٢٨١ .

(٦) البيت لصخر بن عمرو السلمى ،وهو من شواهد العينى ٤ / ٤٥٦ ، ولسان العرب مادة (عدا) ، وشرح الأشمونى ٤/ ٤٢ .

(٧) قاله لبيد ،والبيت من شواهد المغنى ٢٧٠ ، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦٦٣ وشرح الأشمونى ٤/ ٤٢

وَلَيْسَ حَتْمًا كَوْن فِعْلٍ خَبَرَا
مِنْ بَعْدِ لَوْ أَنَّ وَمِما أُثِرَا
لَوْ أَنَّ حَيًّا مُدْرِكُ الفَلَاح
أَدْرَكَهُ مَلَاعِبُ الرِّمَاحِ (١)

وابن الناظم وافق أباه فى هذا الرأى وبهذه الأبيات السابقة رد ابن الناظم على الزمخشرى ومن تبعه فقال

« وزعم الزمخشرى : أن خبر (أن) بعد (لو) لايكون إلا فعلا وهو باطل » (٢) .

والراجح عندى ماذهب إليه ابن‌مالك ، لأن مازعمه الزمخشرى يتعارض مع الشواهد السابقة التى وقع فيها الاسم المشتق خبر (إن) الواقعة بعد (لو)

ولهذا قال ابن هشام فى المغنى : « وقد وجدت آية فى التنزيل وقع فيها الخبر اسما مشتقاً ، ولم يتنبه لها الزمخشرى ... وهى قوله تعالى : « يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِى الأَعْرَابِ » (٣)

وصفوة القول : أن الزمخشرى منع أن يكون الخبر اسما مشتقاً ، أما إن كان اسما جامداكما فى قوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّ مَافِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ » فجائز عنده لتعذر صوغ الفعل منه

هذه هى أهم التعقيبات التى تراءت لى بين العالمين الجليلين الناظم (ابن‌مالك) والشارح (ابن الناظم بدر الدين) .

وبعد :

فالله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

---

(١) متن الكافية لابن مالك ٩١ .

(٢) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٧١٢ .

(٣) مغنى اللبيب لابن هشام ١/ ٢٧٠ ، ٢٧١ ، وانظر الأشمونى ٤/ ٤١ والجنى الدانى للمرادى ٢٨٢

أهم مصادر ومراجع البحث

١ ـ الأصول فى النحو لابن السراج تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلى الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

٢ ـ الأعلام لخير الدين الزركلى ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .

٣ ـ ألفية ابن مالك فى النحو والصرف ، المطبعة النموذجية ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤

٤ ـ الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مطبعة السعادة ، الطبعة الثالثة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .

٥ ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى ، عيسى البابى الحلبى ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥ م

٦ ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد تحقيق محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربى بجمهورية مصر ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .

٧ ـ تفسير الكشاف للزمخشرى تحقيق ، محمد الصادق قمحاوى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

٨ ـ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادى ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن على سليمان ، الطبعة الثانية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، بدون تاريخ .

٩ ـ جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى تحقيق الأستاذين محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش مطبعة المؤسسة العربية الحديثة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .

١٠ ـ الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى .
تحقيق الأستاذين : فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، منشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

١١ ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، بدون تاريخ .

١٢ ـ حاشية يس العليمي على شرح التصريح ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ

١٣ ـ خزانة الأدب للبغدادي تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ م .

١٤ ـ الخصائص لابن جني تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى ببيروت ، الطبعة الثانية بدون تاريخ .

١٥ ـ الدرر اللوامع للشنقيطي تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم دار البحوث العلمية بالكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

١٦ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

١٧ ـ شرح أبيات سيبويه للسيرافي ، تحقيق الدكتور محمد على سلطاني ، مطبعة الحجاز بدمشق ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

١٨ ـ شرح أبيات المغني للبغدادي ، تحقيق الأستاذين عبد العزيز رباح ، وأحمد يوسف دقاق ، ط زيد بن ثابت بدمشق ، ط الأولى ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

١٩ ـ شرح الأشموني ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي . بدون تاريخ .

٢٠ ـ شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ، تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد ، دار الجيل ببيروت ، بدون تاريخ .

٢١ - شرح التسهيل لابن مالك تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ .

٢٢ - شرح شواهد الألفية للعيني ، مطبعة إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي بدون تاريخ .

٢٣ - شرح شواهد المغني للسيوطي ، لجنة التراث العربي ، بدون تاريخ .

٢٤ - شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك ، تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي ، الطبعة الأولى ، مطبعة الأمانة بالقاهرة ، بدون تاريخ .

٢٥ - شرح المفصل لابن يعيش ، مكتبة المتنبي بالقاهرة ، عالم الكتب ببيروت بدون تاريخ .

٢٦ - الكامل للمبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار نهضة مصر بدون تاريخ .

٢٧ - الكتاب لسيبويه ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، ١٣١٦ هـ .

٢٨ - لسان العرب لابن منظور ، مطبعة دار المعارف بدون تاريخ .

٢٩ - اللمع لابن جني ، تحقيق الدكتور حسين محمد شرف ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م .

٣٠ - متن الكافية الشافية في علم العربية لابن مالك ، مطبعة الهلال ، بالفجالة مصر ، بدون تاريخ .

٣١ - مجمع الأمثال للميداني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

٣٢ـ المستقصى فى أمثال العرب للزمخشرى ، دار الكتب العلمية ببيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

٣٣ـ مغنى اللبيب لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدنى بدون تاريخ .

٣٤ـ المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية للعينى على خزانة الأدب المطبعة الأميرية ببولاق ، بدون تاريخ .

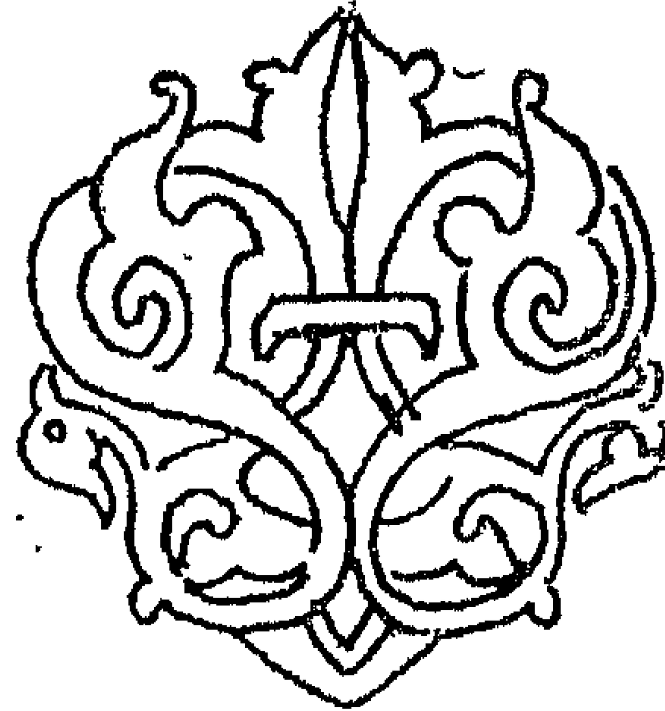
٣٥ـ المقتصد فى شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجانى . تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد بالعراق ١٩٨٢ م .

٣٦ـ المقتضب للمبرد تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ، مطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٩ هـ .

٣٧ـ المقرب لابن عصفور تحقيق الأستاذين أحمد الجوارى وعبد الله الجبورى ، مطبعة العانى ببغداد الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م

٣٨ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى ، دار المعرفة ببيروت بدون تاريخ .

ابراهيم محمد أحمد الاذكاوى
المدرس بكلية التربية بجامعة المنوفية



السجل الثقافى

للأستاذ محمد قنديل البقلى

إن الحياة العلمية والثقافية منذ أن استوت لها أسسها وأصبحت صحائف مدونة يلقى فيها الحاضر عن الماضى، ويتلقى فيها المستقبل عن الحاضر، كان لابد من تدوين منهجى يلم بها لكل زمن بسطاً وشرحاً وتفصيلا وتعريفاً ، إذ لابد لكل مشارك فى تلك الحياة العلمية والثقافية قراءة ، أو تأليفاً ، أو تخطيطاً ، من أن يكون على علم بما كان ، فيمضى من حيث ابتدأ من سبق ، ولينتفع بالرأى ، فيضيف إليه رأياً آخر .

فالحياة العلمية والثقافية إن لم تكن صفحات مبسوطة بين يدى كل جيل ، كرر الناس أنفسهم وثبتوا فى آمكنتهم وهم يحسبون أنهم ماضون ، وكرروا أنفسهم ، وهم يحسبون أنهم مبدعون .

وهذا مما لم يغب على من سلف ، كما لم يغب عمن يعاصرنا من شعوب غربية عرفت مالهذا النوع من التدوين الفهرسى من شأن فى حياتهم العلمية والثقافية فبوبوا كل صغيرة وكبيرة . ونسقوا هذا تنسيقاً مفصلا مبسوطاً كى يفيد منه كل مفيد .

وهذا الذى يجيد الغربيون صنعه اليوم من تبويب للعلوم وتنسيق للفنون وتصنيف للثقافات ، سبق به الشرق منذ أقدم العصور ، فلقد رأينا الخوارزمى محمد بن أحمد بن يوسف ، المتوفى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة للهجرة (٣٨٧ هـ) ، يصنف كتابه « مفاتيح العلوم » ، فيؤرخ فى كتابه هذا لكل علم ولكل فن ، ويصنف الكتب المؤلفة فى كل علم ، وفى كل فن ، تصنيفاً ممتعاً مفيداً ينفع به القارئ . وينتفع به المؤلف ، وينفع به المؤرخ الذى يريد أن يتكلم على تطور العلوم والثقافات .

وفى هذا العصر الذى عاش فيه الخوارزمى عاش مؤلف آخر كانت وفاته قبل وفاة الخوارزمى بنحو من عامين ، هو ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق ؛ وكتابه « الفهرست » أو « فهرس العلوم » من أغنى الكتب فى تصنيف العلوم والفنون والتاريخ لهذا التصنيف الذى يشبع رغبة القارئ فى تطور الحياة العلمية والأدبية والثقافية . ولم يجتزئ ابن النديم فى كتابه هذا ، أعنى « الفهرست » ، بالبيئة العربية وحدها ؛ بل عداها إلى البيئات المجاورة التى كانت لها مخالطة أو شبه مخالطة للبيئة العربية ، وكان ثمة بينها وبينها أخذ وعطاء ، وهى البيئات اليونانية والفارسية والهندية .

وتمضى السنون والقرون ، والمؤلفون فى الشرق لا ينقطعون عن هذا التأليف الفنى . وكم من مؤلفين فى هذا جُهلوا ولم يُعرفوا ، وكم منهم من عرف وجهلت كتبه أو ضاعت مع ما ضاع من التراث العربى الزاخر ، فما نظن أن الحقبة التى امتدت نحو قرين من الزمن ولم نظفر فيها بكتاب فى هذا الباب مرت هباء فارغة خالية من هذه التواليف الفنية .

وما نظن أن ظهور السكاكى أبى يعقوب يوسف بن أبى بكر ، المتوفى سنة ست وعشرين وستمائة (٦٢٦ هـ) كان ظهورًا بعد فراغ دام قرنين من الزمن ، بل إن هذين القرنين مضيا منذ أن انتهى هذان العالمان الجليلان ابن النديم والخوارزمى كان لابد أن يكون فيهما تواليف فى هذا الباب ، فما تعودنا عن الجهود العربية الشرقية أن تبدأ ثم تنقطع . وأن يطول انقطاعها إلى ما يقرب من قرنين لاسيما وأن هذين القرنين لم يخلوا من تواليف كثيرة فى شتى الميادين ، ولم يخلوا من حركات علمية وثقافية وشتى فروع المعرفة .

ولعل طاشكبرى زاده أحمد بن مصطفى المتوفى سنة اثنتين وستين وتسعمائة (٩٦٢ هـ) قد اقتفى أثر من سبقوه لاسيما السكاكى فى مفتاح العلوم كما استوعب جهود مؤلفين آخرين كانوا فيما بين أوائل القرن السابع الهجرى

أى على مدى قرون ثلاثة ، فبعيد أن تكون هذه القرون الثلاثة التى مضت منذ أن أنهى السكاكى تأليفه سنة ست وعشرين وستمائة (٦٢٦ هـ) إلى أن ابتدأ طاشكبرى زاده تأليفه مع أوائل القرن العاشر الهجرى

مضت هى الأخرى دون مدونات فى هذا الفن ، فلقد ضمن طاشكبرى زاده فى كتاب « مفتاح السعادة » الكثير من تواليف فى هذا الفن حفلت بها هذه القرون الثلاثة .

ومن بعد طاشكبرى زاده بقليل كان حـاجى خليفـة بكتابه الضخم الذى طالعنا به ، وهو كشف الظنون .

والقارئ لهذه الكتب الستة ، أعنى :

١ - الفهرست لابن النديم .

٢ - مفاتيح العلوم للخوارزمى .

٣ - مفتاح العلوم للسكاكى .

٤ - مفتاح السعادة لطاشكبرى زاده .

٥ - كشف الظنون لحاجى خليفة .

٦ - إيضاح المكنون لإسماعيل راغب .

يرى فنا سبق به الشرقيون الغرب .

فأنت حين تطالع كتباً من هذه الكتب الستة لاتراها جامدة عند ذكر المؤلف ، أو ذكر الكتاب كما نفعل نحن فى فهارسنا اليوم التى تطالعنا بها دور الكتب فى البلدان العربية المختلفة . بل نراها تؤرخ الحياة الثقافية فى كل فرع ، وتسلسل ذلك التاريخ ماضية فى تسلسلها عبر القرون ، معقبة على كل تأليف ذاكرة ماله وما عليه فى عبارات تدل على قراءة واستيعاب وتفهم لمحتويات كل كتاب ، واصلة ثقافة العصور بعضها ببعض منذ كانت إلى أن انتهى الأمر إلى عصرهم ، فذكر الكتاب وحده أصبح أمراً لايغنى فى الميادين الثقافية التى يراد لها أن تكون الفكرة عنها موصولة لتمضى سلسلة التفكير والتأليف فيها إبداع وفيها تجديد .

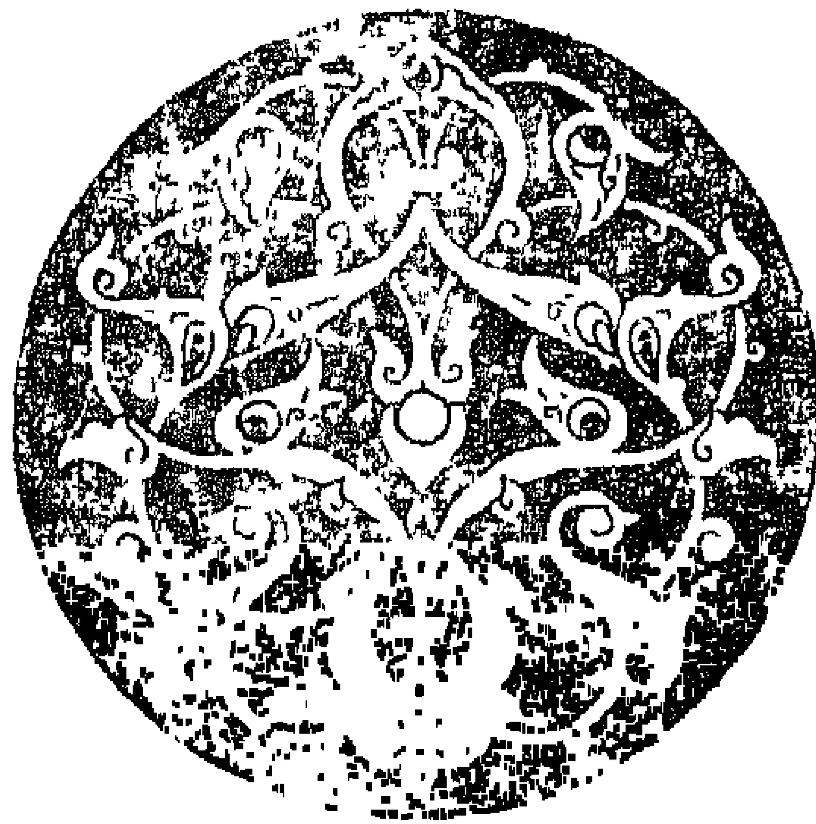
وأذكر أن شيئاً من هذا كان قد سبق التفكير فيه أيام أن كانت للثقافة فى وزارة التربية والتعليم إدارة تسمى : إدارة الثقافة . وكانت فيما فكرت فيه هذه الإدارة إنشاء شىء يسمى السجل الثقافى ، وأنشئ لذلك قسم اختص بهذا النوع من العمل ، وكان هذا العمل فى مبدأ أمره صورة مكررة مما تصنعه دور الكتب من إخراج فهارس ينتظم الكتب مرتبة على حروف الهجاء حينا ، ومرتبة على الفنون حينا آخر .

ثم تطورت هذه الفكرة إلى الأجود ، وإلى المضمون الحق الذى تعنيه كلمة « السجل الثقافى » ، فإذا الأمر يحتذى فيه ما احتذى فى هذه الكتب الستة ، من حصر شامل يكتب كل ما خرجت به المطابع فى العام ، ثم إلقاء نظرة على كتب كل فن يلقيها عالم متخصص بهذا الفن ، ويترجم ما قرّ فى نفسه من ذلك بعبارة تفصح عما كان للمؤلفين فى هذا الفن من إبداع وما كان لهم من جهود فى ذلك الميدان ، ذاكراً مالها وما عليها ، رابطاً هذا بما ألف فى هذه البابة من قبل .

بهذه النظرة ، وبتلك الكلمات المؤرخة للحركة العلمية والثقافية ، استحق هذا السجل الثقافى اسمه المعنون به بعد هذا التطور ، ولكن للأسف لم تبق هذه التجربة طويلا ، بل اختفت ، وكانت العلة فى اختفائها ، كما أظن ، هى صعوبة المهمة ، ولكن ما أيسرها إذا أعدت لها العدة ، وما هان على من سبقونا لا يصح أن يصعب علينا ، وحتى تكون الحركة العلمية والثقافية سلسلة موصولة تصل السنين بعضها ببعض ، وتصلنا بماضينا وتمهد لصلتنا بغدنا . وأرجو أن يعود هذا السجل الثقافى للظهور على هذا النمط الذى وضع نواته الأقدمون ، وحذا فيه حذوهم الغربيون .

وإنا لصدوره لمنتظرون .

محمد قنديل البقلى




شخصيات مجمعية

حسن حسني عبد الوهاب
في مجمع اللغة العربية بالقاهرة

للدكتور مهدى عــلام

سيدى الرئيس ،

سيداتى سادتى ،

باسم مجمع اللغة العربية بالقاهرة باسم رئيسه الدكتور إبراهيم مدكور ؛ وباسم جميع أعضائه ، أتشرف بتقديم التحية لذكرى الفقيد العظيم :

وبما أنه « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » فليس فى وسعى أن أقف أمامكم لأحدثكم عن هذا العملاق الذى ملأ الدنيا بعلمه وأدبه .

فأنا لا أستطيع أن أدعى أن أحدثكم عن الأسرة الكريمة التى نشأ فيها حسن حسنى عبد الوهاب ، وما كان لها من أثر فى نشأته ؛

ولا أستطيع أن أدعى أن أحدثكم عن المدارس والمعاهد التى تلقى فيها العلم ، طفلا وصبياً ويافعاً ، سواء فى تونس أو فى فرنسا ؛

ولا أستطيع أن أدعى أن أحدثكم عن الوظائف التى تقلدها وأقام كيانها : ووضع لها التقاليد والقوانين التى سارت عليها فى ولايته ومن بعدها .

ولا أستطيع أن أدعى أن أحدثكم عن مؤلفاته التى شملت الأدب ، والنقد ، والحضارة ، والسياسة ، والاقتصاد ، والدين ، وتاريخ العلماء والمدن والديار كما شملت تحقيق التراث ، واللغة ، والموسيقى ، والآثار ، والفنون .

لا أستطيع أن أفعل شيئاً من ذلك ، لأن الزمن المتاح لى لايسمح بمثل هذه الدراسة اللائقة بمقام حسن حسنى عبد الوهاب . ولأننى لا أنصفه إن أنا أشرت إلى هذه الأمجاد إشارات خاطفة .

ولعل هناك سبباً أهم من هذا وذاك : وهو أن غيرى من المتحدثين سيتولى هذه

النواحي خيرًا مما يمكنني أن أفعل .
ولهذا أرى أن الأليق بي أن أتكلم عن حسن حسني عبد الوهاب في حياته لمجمعية التي دامت من سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٦٨ ، أكثر من ثلث قرن من الوفاء للغة والأدب والعروبة ، والولاء العلمي للمجمع الذي اختاره من أول يوم إنشائه ، إذ كان أحد الأعضاء الخمسة الممثلين للبلاد العربية ، إلى جانب زملائهم المصريين والمستعربين من المستشرقين .

لقد سبق أن كتبت عن الفقيد العظيم مرتين ، مرة في كتابي « المجمعيون في ثلاثين عاماً » سنة ١٩٦٦ ، ومرة ثانية في كتابي « المجمعيون في خمسين عاماً » الصادر بمناسبة العيد الخمسيني للمجمع سنة ١٩٨٤ ، وما كان أيسر عليّ أن أرجع إلى إحدى الترجمتين اللتين كتبتهما عنه في هذين الكتابين . ولكن عندما شرفني المجمع أن أنوب عنه في الحديث إليكم ، أخذت نفسي بمقياس آخر : هو أن أعود إلى محاضر جلسات المجمع ، منذ نشأته حتى تاريخ وفاة الفقيد ، لأرصد كل ما كان له من مساهمات علمية في المجمع مجلسه ومؤتمره .

وليس من فتنة تزكية النفس ـ أستغفر الله ـ بل من قبيل الاعتراف بنعمة الله تعالى ، أنني تصفحت نحو عشرين ألف صفحة من سجلات المجمع ، لأستخرج منها التاريخ العلمي الصادق لمساهمة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في حياة مجمع القاهرة .

ففي الجلسة الأولى للدورة الثانية (وكان قد اعتذر عن غيابه في الدورة الأولى) ألقى الكلمة التالية :

« إني لأشعر باغتباط وارتياح كبيرين يترددان في أعماق قلبي ، لحضور جلسات الدورة الثانية لهذا المجمع الذي يعدّ بحق من أجل مفاخر العهد الحديث في تاريخ مصر المجيد . ومع ذلك أراني مضطرًا إلى إبداء اعتذاري إلى جانب من الخجل ، لتخلفي عن جلسات الدورة الأولى ، لأسباب لم أقو على تذليلها ، راجيًا الصفح وقبول المعذرة » .

« ويحق لي بعد ذلك أن أتقدم إلى حضراتكم بالإعراب عن تقديري العظيم لهذه الفرصة الثمينة التي أتيحت لتعاوننا الوثيق في العمل الثقافي بهذا المجمع الميمون

الذى هو من أحاسن مبتكرات حضرة ـ صاحب الجلالة ، ملك مصر المعظم ، أعزه الله وأدامه .

« وإنى لفخور بأن أحمل إلى حضراتكم تحية البلاد المغربية عموماً وإعجابها ، وتونس خصوصاً ، مظهراً بذلك حسن تقديرها وإكبارها للمجهود المضنى الذى تقدمونه للإحياء والمحافظة على اللغة والأدب وكذا تنمية تراثنا الغالى ، ووقايته من أعراض الجمود وأدواء الضمور وعلل الخمود .

« أسأل الله العلى القدير أن يكلل عملكم بالنجاح ، ويقرن سعيكم بالتوفيق » .

وفى الجلسة الثانية عشرة ، فى الدورة نفسها (سنة ١٩٣٥) ألقى الكلمة التالية :

« أرجو من حضرة صاحب المعالى الرئيس ، وحضرات المحترمين أعضاء المجمع أن يسمحوا لى بالكلام فى مسألة من الخطر بمكان : ذلك أنى رأيت أمس على هذا اللوح الأسود الذى أمامنا ، عبارة استرعت نظرى ، واستحوذت على فكرى : وهى أن المجمع من يوم اجتماعه فى هذا الدور حتى الآن (أى منذ خمسة عشر يوماً) أتم النظر فى تسعين كلمة . أقول : تسعين كلمة ، وأكررها ، حتى نعرف مدى ـ الشوط الذى قطعناه فى هذا الدور الثانى . أخذت أفكر فى عدد الألفاظ والمصطلحات التى سننجزها على هذا الحساب . إلى آخر الدورة ، فوجدت أننا سنتم النظر فى ٢٧٠ أو ٣٠٠ كلمة ، على فرض أن عدد جلساتنا سيبلغ خمساً وثلاثين جلسة . فهل هذه هى النتيجة التى تترقبها منا مصر والعالم العربى بأسره ؟ إنى أقترح أن تعدد اللجان التى تنظر فى المصطلحات والكلمات حتى يتيسر لنا إبراز مقدار كبير من الأعمال ، وأن تتخذ طريقة غير الطريقة التى سلكناها من قبل » .

ثم واصل كلامه قائلاً :

« المطلوب تقسيم العمل بيننا ، حتى يكون لكل منا عمل . فلتكن لجنة للجزازات ، ولجنة أخرى أو لجنتان للفحص عن الكلمات والمصطلحات ، ولجنة لبحث الأصول ، وهكذا لننجز فى هذا الدور أكبر ما يستطاع إنجازه » .

ومع أنه قيل فى الرد عليه : إن الخمسة عشر يوماً الماضية لم تكن خاصة بالبحث، فى الألفاظ ، بل كان يتخللها أعمال أُخرى فإن اقتراح حسن حسنى عبد الوهاب قد أخذ به ، وانقسم المجمع إلى عدة لجان عاش (رحمه الله تعالى) حتى رآها أكثر من العشرين لجنة .

وفى الجلسة الرابعة والثلاثين من الدورة نفسها (٦ أبريل سنة ١٩٣٥) تقدم بالاقتراح الآتى :

« لا شك فى أن رغبة هذا المجمع متجهة للمحافظة على اللغة العربية وجمع شتاتها وإصلاح شواردها ، وتهذيب مواردها ... إلى غير ذلك من الأعمال العائدة إلى رفع شأن هذه اللغة ، وإعدادها لمسابقة اللغات الحية فى مضمار التقدم والحضارة ، بعد أن مضت عليها أجيال وأجيال وهى فى خمود وجمود لا تشعر بما كان يجرى حولها من النهضات المختلفة فى العلوم والفنون والآداب والنظامات الاجتماعية إلى أن أمست — وهى من أقدم اللغات — فى أُخريات لغات التمدين بين الأُمم .

« ولكى تصل لغتنا الشريفة إلى المستوى اللائق بها بين اللغات الحيـة ، ينبغى للمجمع أن يعيد النظر فى أُصول هذه اللغة وقواعدها ، ومراعاة ما هو جار فى أُصول اللغات الأُخرى ، عسانا نهتدى بذلك إلى إدراك سر وقوفها طوال القرون الأَخيرة ، لكى نعمل على تلافيه ، ونعيد لها خصائصها من حيث قوة الامتصاص والاستنباط ، والتخريج والصقل ، بطريقة تكفل لنا طبع الكلمات المستحدثة فيها على غرار الفصيح القديم ، صيانة لها من اللوثة وتسرب الدخيل .

« وليس يكفى لتحقيق هذه الرغبة المتعلقة بتوحيد اللغة مجرد الاقتصار على إيجاد أسماء لمسميات كثيرة أو قليلة ظهرت فى نوم لغتنا . وفى اللغة نفسها علل عارضة تنخر عظام هـذه الوحدة ، وهى أشد ضراوة عليها من النقص ، وإحدى هذه العلل الطاغية اختلافنا فى التلفظ بالكلمات

« والسبب فى ذلك ، على ما يبدو لى ، إغفال لغويينا لضبط مخارج الحروف ، وتركها هدفاً لعوامل التأقلم (l'acclimatior) حتى اختلف النطق ، وفسدت اللهجات . ونحن نعلم أن اللهجات

قد تتحول ، مع الغفلة عنها وفعل الزمن إلى لغات ، كما حدث ذلك فى الأصل السامى المنقـــرض الذى تفرغت منــه الألسن وكذلك فى اللغة اللاتينية التى تشعبت منها الإيطالية ، والإفرنسية ، والإسبانية ، وما إليها . وهذا الخطر بعينه هو الذى يتهدد اليوم العربية بالانقراض أو على أقل تقدير بالتحول .

« ونحن نعتقد أن أهم وظيفة للمجمع تقوم على تلافيه ، عملًا بالقاعدة المعروفة (درءُ المفسدة مقدم ع جلب المنفعة) ، ودرؤها لا يقتضى جهدًا ولا كلفة ، سوى التفكير فى وضع قواعد ثابتة للفظ الحروف نطقًا وكتابة ، بلهجة فصحى مختارة ، يقررها المجمع .

« ولا خفاء أن اللغات الكبيرة الواسعة الانتشار لا يشاد بناؤها ولا يخلد إلَّا على أساس توحيد النطق ، وإصلاح النبرة . وهذا ما أغفله أئمة العربية من قبل ، ارتكانًا إلى مخــارج الحروف فى تلاوة الكتاب العزيز ، دون أن يدخلوها ضمن قواعد اللغة . فكان ذلك الإغفال سببًا مباشرًا فى حدوث اللهجات المختلفة باختلاف الأقاليم والقبائل العربية التى نزحت إليها .

« ونحن إذا لم نبادر إلى تلافى هــذا الخطر الشائع ، فقد لا يطول بنا العهد حتى تصبح هذه اللهجات لغات إقليمية مختلفة تقبر فيها عربيتنا — لا قدر الله وقد اجتمعنا لكى نسعى لها فى الإحياء والتجديد .

« وكان هذا الخطر نفسه يتهدد أيضًا من قبل اللغتين الألمانية والإنكليزية . فعمد علماء اللغتين إلى تلافيه ، بوضع قواعد صحيحة مضبوطة لتقويم ألسنة المتكلمين بها ، وتمرينها على التلفظ باللهجة الفصيحة التى تقررت للمدرستين الألمانية والإنجليزية فقد يوجد فى ألمانيا طريقة (Bühnena-ussprache) أى (نطق المسرح) كما يوجد فى إنجلترا طريقة (Broad-castingcompany) ، وهى التى عليها العمل والإلقاءُ فى المعاهد الدراسية وأندية الأدب ، ومراكز الدعاوة ، ومسارح التمثيل على مقاول الأساتيذ والخُطباء والشعراء والمشايخ وكذا توفق الشعبان الكبيران إ توحيد لسانيهما بطريقة إحكام التلفظ وإصلاح النبرة . وسهل على المستمعين فى عامــة الشعبين تقليدهم فى النطق نطقًا صحيحًا لا لوثة فيه ، وتفهم كل ا يلقى إليهم دون التباس .

« هـذا ما أردت أن أُفزع به إليكم يا حضرات الزملاء الأكرام ـ فيما أراه ضروريًّا للمحافظة على لغتنا ، وصيانة وحدتها من التفرق إلى اللهجات المختلفة التي سطت عليها ، وذلك بمثابة ما نسعى إليه من العمل إلى وحدة الاصطلاح على استعمال المفردات . ولا أغالي إذا صارحتكم بأن لهجاتنا قد تباعدت إلى حدٍّ ما ، فإن من يتكلم بلهجة إقليمية لا يكاد يفهم المتكلمين باللهجات الأُخرى . ولدينا على ذلك دلائل كثيرة قاطعة . ويكفي أن أُشير إلى واحد منها ، على سبيل المثال .

« فإن النطق بحرف الجيم يختلف اختلافًا بيِّنًا في اللهجات العامية المعروفة ، واختلافه يكاد يغير مفاهيم الكلمات التي يكون هذا الحرف من بنيتها ، فهو في مصر يلفظ (كَ كافا معقودة) ، وفي الحجاز ينطق (تش جيا معطشة) ، وفي تونس (جيا لينة) ، وفي الجزائر ومراكش (دج جيا مشبعة) ، وفي العراق يلفظ (القاف) جيا ، والكاف حرفا وسطًا بين التاء والسين ، وهلم جرًّا

« هذا مثال مصغر من التبلبل الواقع في اللغة العربية التي أستحضركم للسعي في تلافيه ، حفاظًا لكيان اللغة ، بتوحيد النطق بألفاظها ، وتمهيدًا لتلقينها لعامة أقوامنا ومتعلمينا ، بوسائط الإلقاء ، والإذاعة ، وهي أيسر من طريقة التدوين والكتابة ، خصوصًا بعد استعمال المذياع .

« لذلك أقترح على المجمع المحترم أن يقرر تأليف لجنة للبحث في إيجاد طريقة محكمة لضبط مخارج الحروف العربية طبق أُصولها ، والاستعانة على ذلك بالمؤلفات القيمة الموضوعة في علم التجويد والقراءات وكذلك البحث في النطق الحاصل في اللهجات الدارجة ، واختيار ما يراه منها صحيحًا وملائمًا للنطق الفصيح بالعربية »

وقد أثار هذا الاقتراح مناقشات واسعة وهامة ، اشترك فيها من الأعضاء الأساتذة : أحمد الإسكندري ، ومنصور فهمي ، وعلي الجارم ، ونلينو ، وجب ، وإبراهيم حمروش ، وأحمد العوامري ، وعبد القادر المغربي ، وحسين والي ، ومحمد الخضر حسين ، وفارس نمر . وتتلخص ردود الأُستاذ حسن حسني عبد الوهاب في قوله :

« الذي أقصده من اقتراحي هو توحيد مخارج الحروف ، فإني أسمع بعضها في مصر غير ما أسمعه في المغرب مثلًا »

« اختلاط البحث فيما يظهر ، واقتراحى خاص بمخارج الحروف ، ولا يتعرض للنبرات ، والنبرات شيء والمخارج شيء آخر . والنبرات هى التى لابد من الاختلاف فيها ،تبعًا لاختلاف البيئة ،أما المخارج فلا » .

ثم وافق المجلس على إحالة الاقتراح على لجنة اللهجات ، مع تقرير يقدمه صاحب الاقتراح ، وأن يضم إلى اللجنة الأساتذة : حسين والى ، وأحمد الإسكندرى وأحمد العوامرى ، وعلى الجارم .

وفى الدورة الخامسة (سنة ١٩٣٨) ألقى المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب كلمة فى جلسة الافتتاح قال فيها :

« من بواعث الشرف لى أن أتقدم إليكم ونحن نستهل خطواتنا إلى مرحلة جديدة من مراحلنا السديدة إن شاء الله ؛ ويزيد فى شرفى أن تكون كلمتى معبرة عمَّا تختلج به صدور إخوانى الشرقيين فى أُسرة المجمع من العواطف .

« وإنه ليسعدنى حقًّا أن تكون بواكيرها فى هذه اللحظة الطيبة هى الإعراب لكم عن تحيات مباركات ، يزجيها إلى المصريين إخوانٌ لهم يضربون فى كل صقع من أصقاع الشرق ، ثم يجتمعون ، على تباعد الديار ، فى هذه الدار .

« ولا يعزب عنكم أن كل شرقى فى أُسرة المجمع لا يبرح أهله ووطنه إلَّا وملء أوطابه تحيات مباركات يزوِّده بها العشيرة ، والوطن ليقدمها إلى كنانة الله فى أرضه ، حجة جديدة على إخاءٍ أكيدٍ ، وولاءٍ جم ، ووفاءٍ دائم .

« فأنا – على أنى أبعد إخوانى الشرقيين صقعًا ، وأقصاهم داراً – أُقدم ما فى كنانتى وكناناتهم من تحيات مواطنينا إلى مصر المحبوبة محبورًا ومغتبطًا ، ويلوح لى بعد ذلك أن إخوانى الشرقيين ، والمستعربين من أعضاء أُسرة المجمع ، يرون أن لا شىء أدخل للسرور على أنفسنا – ونحن مستقرون فى بلادنا – من تلك الدعوة التى نتلقاها من رئيسنا المحترم ، لنشد الرحال إلى مصر حتى ندخل فى دورٍ جديد من أدوار العمل وذلك أننا نحسُّ فى أكناف هذه الدار المباركة أن ضعفنا يصبح قوة ، وأن ركودنا يستحيل حركة دائمة لا هوادة لها . والواقع أن الذى يدفعنا إلى هذا الشعور ، ويمنحنا تلك القوة الفعالة ، إنما هو يقيننا بأننا نؤدى للغتنا الشريفة

ما نعتقد أنه واصل بها إلى الذروة التى انتهت إليهـا فى خير عهودها ازدهارًا ، وأعمرها بالإنتاج النافع المفيد . ثم يزيد على ذلك إيماننا بأن عملنا المشترك فى سبيل توضيح نفائس هذه اللغة ، وتزويدها بما تستطيع أن تتحلى به من حلى هـذا العصر ، إنما هو عمل مشترك أيضًا فى طريق البلوغ بالناطقين بالضاد إلى الشأو الذى تتلاقى آمالهم عنده ، وهو أن يكون إخاؤهم بالغًا من المتانة والقوة الغاية القصوى والمرمى البعيد .

« والحق أقول : إن فى هذا ما أقنع الجميع بأن رسالة المجمع اللغوى ظفرت فى المدة القليلة بحشود حاشدة من المؤمنين بها إيمانًا صادقًا . وستزداد هذه الحشود كلما أتممنا صفحة جديدة من صفحات هذه الرسالة ، حتى لا يبقى فى الشرق العربى من لا يؤمن بها .

« وإنه ليطيب لى ، وأنا فى مقام ذكر رسالة المجمع اللغوى والصفحات التى أتمها من سِفرها الضخم أن أفصح لحضراتكم بأننا لا نستطيع أن نذكر لمواطنينا هـذه الرسالة إلَّا معترفين لإخواننا المصريين الكفاة ، بأن جهودهم هى التى أنزلتها منازل الكمال ، وأتاحت لها أن تشهد الضوء بعيدة عن الشَّوب والحَوب .

« والحقيقة أن إخواننا المصريين فى أُسرة المجمع هم بمكانة الطليعة من المتصدين فى هذا العصر لمباحث اللغة العربية جميعًا ، لأنهم يجمعون الكفاية القادرة إلى الحيوية النادرة ، إلى مزيد إخلاص فى العمل ، ودأب عليه ، وحب له . وتلك هى أسلحة البناة الذين يريدون تشييد أُسس الصرح على أقوى الدعائم ...

« نسأل الله تعالى العلى القدير أن يمهد لنا أسباب التوفيق إلى ما نقصد إليه من إفادة واستفادة ، وأن يحقق آمالنا فى رخاء مصر ، وسعادة الشعوب العربية جميعًا » .

وفى الجلسة التاسعة عشرة ، من الدورة الخامسة ، تكلم الفقيد فى موضوع كتابة الألفاظ الأجنبية بحروف عربية ، فقال :

« لَمَّا عُرض علينا موضوع كتابة الألفاظ الأجنبية بحروف عربية ، قررنا كتابة الجيم اللينة جيمًا ذات ثلاث نقط ؛ وفى اجتماع اللجنة اليوم رأينا الرجوع عن

هذا القرار ، والاكتفاء بالجيم المعروفة ذات النقطة الواحدة ؛ فإن فى ذلك تسهيلًا وتوحيدًا للطريقة ، ولاسيما أن الجيم اللينة مما يأتى فى كلمات قليلة ، فليس ثمة ضرورة تحتم وضع حرفين متغايرين » .

وقد وافق الأعضاء على ذلك .

ثم واصل الأستاذ كلامه قائلًا :

« كذلك بحثنا فى اللجنة (تش CH) فاتفق الخبراء على أنها حرفان ولها نطقان ، ولكن الأستاذ نلينو يقول بأنها حرف واحد ، ولها نطق واحد ، وسواء أصح هذا أم ذلك ، فإن نطقها فى العربية حرفان . وقد كتبها المصريون كما ينطقونها ، فهم يكتبون تشرشل ، وتشمبرلن . ولهذا رأينا فى اللجنة أن يكتب هذا الحرف (CH) جيمًا بثلاث نقط إذا ورد فى الأسماء القديمة الفارسية ، أو التركية ، أو الهندية ؛ وأما إذا ورد فى الأعلام الحديثة فيكتب حرفين : تاء وشينا ، كما يكتبه المصريون ».

واشترك فى مناقشة الموضوع الأب أنستاس الكرملى ، والأستاذ نلينو ، والأستاذ على الجارم .

ثم قال الأستاذ حسن حسنى عبدالوهاب «الأفضل كتابتها حرفين : تاء وشينا ، لأننا لا نريد أن ندخل حروفًا جديدة ذات علامات ، بقدر ما يتسع له الإمكان . على أن لى اقتراحًا يوفق بين الرأيين المتنازعين وهى أن تكتب (CH) ونضع بجانبها جيمًا بثلاث نقط و (تشد) ؟ فمن أراد كالمصريين ، أن يكتبها حرفين كان له ذلك ، ومن أراد كتابتها حرفًا واحدًا كتبها جيمًا مثلثة النقط . وبذلك ينحسم الخلاف » .

وعادت المناقشة بين الأساتذة الإسكندرى ومنصور فهمى ، ونلينو ، وجب . وعاد الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب يقول :

« أقترح الموافقة على أن تكتب (CH) جيمًا ذات ثلاث نقط فى البلاد التى تستعمل هذا الحرف ، وأن تكتب تاء وشينًا فى أسماء البلاد الأوربية وبلاد اللغات الأخرى مثل اللغة الصينية واليابانية ، بشرط أن تكتب بحروف عربية منقولة عن أصوات الحروف اللاتينية التى اتفق عليها فى الطريقة المسماة (Romagi) لكتابة الأعلام اليابانية . وأما فيما يختص بالأعلام الصينية فيتبع فيها مايتم عليه الاتفاق فى رسم تلك الأعلام فى الجمارك ومصلحة البريد » .

وانتهى الأمر إلى القرار التالى :

« تكتب (CH) كما فى (Churchil) جيمًا ذات ثلاث نقط فى أسماء البلاد الإسلامية التى تستعمل هذا الحرف ، وتكتب فى الأسماء الأوربية وغيرها تاء وشينًا (تش) » .

وفى الجلسة الثامنة والعشرين ، فى الدورة الخامسة نفسها ، عندما عرض موضوع « الأعلام المبدوءة بأبو أو بنو أو ذو » قال الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب :

« إن العرب قد أقروا استعمال (أبو) مرفوعة فى كل حالات الإعراب . وإليكم دليلًا يؤيد هذا القول : هذا صاحب الكشاف (الزمخشرى) يقول ، عند تفسير سورة أبى لهب : (ولذلك تجرى الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية ، عطف بيان . فلمَّا أُريد تشهيره بدعوة السوء ، وأن تبقى سمة له ، ذكر الأشهر من علميه . ويؤيد ذلك قراءة من قرأ : يدا أبو لهب ؛ كما قيل على بن أبو طالب ، ومعاوية بن أبو سفيان ، لئلا يغير منه شىءٌ فيشكل على السامع) » .

وفى الجلسة التاسعة والعشرين من هذه الدورة ، دارت مناقشة حول كتابة أسماء البلاد ، فهل تكتب بالحروف العربية وحدها ، أم بالحروف اللاتينية معها . وسأل الأستاذ نلينو : هناك مثلًا مدينة ينطق باسمها (لِسْتَر) ولكن تكتب بالإنجليزية (Leicester) . فردَّ الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب :

« هبوا إنسانًا كتب فى البريد إلى أطنه مثلًا فهل يجد بُدًّا من كتابة الحروف اللاتينية لهذا العلم ؟ » .

سأل الدكتور منصور فهمى : « نريد أن نعرف وجه الخلاف الآن : أتريدون أن نضع قاعدة عامة : هى أن تكتب الأعلام بالعربية ، وإلى جانبها الأسماء اللاتينية ؟ »

فردَّ عليه الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب قائلًا :

« هذا هو المعروف فى بلاد البلقان والمستعمل فيها . والفرنسيون ينطقون (لوندره) لعاصمة إنجلترا ، ولكنهم يكتبونها فى كتبهم البريدية (London) »

فقال نلينو : « نحتفظ إذًا بالقرار الذى أصدرناه ، على أن نضيف إليه العبارة الآتية : (ويوضح الرسم بالحروف اللاتينية بين قوسين) .

وتتجلى حماسة الفقيد فى الجلسة الثانية والثلاثين من الدورة الخامسة ، حين يتبنى موضوع إصلاح الكتابة العربية . يقول :

« اللجنة التى ألفت أمس من حضرات أعضاء المجمع ستبحث أهم الموضوعات التى تتناولها أعمال المجمع ، وذلك لأن أهمية الكتابة العربية ، وكونها مسايرة للعلم ، تقتضى وجود وسائل لهذه المسايرة والكتابة هى ، كما تعلمون ، أهم وسائل نقل العلم من لغة إلى أخرى . واللجنة التى ألفت أمس ألفت لهذا الغرض ، فنريد الآن تحديد عملها ، ومعرفة وسائلها التى نسير فيها إلى الغاية ؟ بعد أن ألفناها » .

ويرد عليه الدكتور منصور فهمى بأنه يمكن اللجنة أن تستعين بمهندسين وخطاطين والأمر متروك للجنة ، ولا قيد عليها سوى المحافظة على سلامة اللغة العربية .

وعاد الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب يواصل الحديث :

« الأصل فى الكتابة العربية أنها كانت غير منقوطة الحروف . ثم أدخل النقط على حروفها فى القرن الأول من الهجرة . ورغبتى هى أن يكون المشروع ، مشروع إصلاح الكتابة العربية ، من ابتكار المجمع ومن مهامه . وعليه أن يشرف على وسيلة الإصلاح ، لأنها مهمته ، وأن تكون هذه المهمة هو ما نحدده عملًا للجنة بعد أن ألفت أمس » .

وبعد مناقشة اشترك فيها عدد من الأعضاء ، قال الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب :

« إن وضع النقط فى الحروف من المشكلات ، وأعنى أن الكاتب حين يكتب ينقط الحروف ، فينتقل بنقطها من مستوى إلى مستوى آخر ؛ وهذا مما يجعل الكتابة العربية صعبة » .

وفى الدورة العاشرة احتدم النقاش حول اقتراح أحد الأعضاء أن تحل الحروف اللاتينية محل الحروف العربية . وكان للمرحوم حسن حسنى عبد الوهاب القدح المعلى فى الرد على هذا الاقتراح . ففى

الجلسة الخامسة عشرة (١٩ فبراير سنة ١٩٤٤) قال :

« أظن أنه ليس هنا من بيننا من يعتقد أو يقول بقدسية الكتابة العربية . إنما الذى يعتقده ويقول به جمهور العرب ، ومن ينضاف إليهم من الكاتبين بالحروف المسماة بالعربية ؛ أن هذه الكتابة – مع حركاتها وأشكالها – أداة موفية بجميع الغرض المطلوب منها ، وهى التعبير عن مخارج الحروف الموجودة فى لغة الضاد ، ولا يخفى على أحد أن الكتابة العربية – استعملت ، لا فى لغتنا العربية فقط ، بل إن كثيراً من الأمم الإسلامية ، وغير الإسلامية ، استعملتها أيضًا ، وظلت عليها القرون الطويلة من الزمن ، فلا تزال الملايين – من مسلمين وغير مسلمين – يكتبون بحروفنا لغة غير عربية ولا سامية الأصل أيضًا ، وهم لا يقل عددهم عن ستين مليونًا . ولا يزال الفرس يكتبون بها أيضًا ، وهم راضون عنها ، ولم يقلدوا حتى الآن الأتراك فيما عملوا منذ قريب . ولا زال المتكلمون بالأردو ، فى بلاد الهند – وهم زهاء الثمانين مليونًا – يكتبون بالحروف العربية لغة خليطًا من لغات آرية وسامية .

« وها هو ذا التاريخ يثبت لنا أن مسلمى الأندلس أقاموا قرنين من الزمان ، على الأقل ، على كتابة اللغة الإسبانية بالحروف العربية . ومن غريب ما يلاحظ فى هذا الشأن أن أولئك الأندلسيين رسموا كلام الإسبان باللهجة القسطيلية . وفى إسبانيا لهجتان للإسبانية : القسطيلى والكتلانى . وقد رجع الإسبان الآن – فى البحث عن أصول لغتهم – إلى ما كتبه بالرسم العربى أولئك الأندلس . ويسمّى ما كتبوه عرفهم (الأعجمية) AL-jamia ، ويصححون أصولهم على ما كتبه العرب بحروفهم .

« فإذا كانت الكتابة العربية دلت وأفصحت عن أصوات لغات ولهجات أجنبية كثيرة ومتعددة الأصول ، فى مختلف العصور ، فكيف يتصور أنها غير كافية ، أوهى قاصرة ، عن أداء اللغة العربية وتشخيص أصواتها متى استعمل الشكل الموجود فيها ، وأداء ماهو مطلوب

منها تمام الأداء ؟ فإلى هذه الناحية العملية التطبيقية أردت أن أستلفت النظر فقط .

« يقول الأستاذ عبد العزيز فهمى : إن الكتابة العربية ليست بعربية ، وإنما هى وثنيـة ، لأن الذى أوجدها هم الأنباط – وهم وثنيون – وأقول : إن اللغة العربية أيضاً كانت وثنية حين كان يتكلم بها وثنيون من العرب قبل الإسلام . والحقيقة هى أن الكتابة العربية من وضع الساميين ، كما هو الشأن فى الكتابة اللاتينية التى نقلت برمتها عن الساميين ، وأخذت أشكالها عنهم ، كما يعلم الخاص والعام » .

وفى جلسة الافتتاح للدورة الثامنة عشرة ألقى الأستاذ حسن حسنى عبدالوهاب التحية الآتية :

« سيدى الرئيس المحبوب ، أيها الإخوان الأعزاء ، أحييكم أطيب التحيات المباركات أحملها إليكم من المغرب العربى الشقيق ، ذلك المغرب الذى يعترف لمصر بالجميل فى مناصرة حقوق العروبة ، وفى تأييد اللغة العربية . وما مجمعكم هذا إلا نفحة من فضل مصر العميم ، وخيرها العظيم . وهاهى ذى البشارات تتوارد من طرف المحيط بفتح أبواب المعاهد العلمية التى شاءت مصر أن تنشأ لربط الأواصل ، وجمع الشتات .

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن أن لاتلاقيا

فلتحى العروبة الجامعة ! ولتحى مصر الخالدة !

وبعد غيابه ثلاث دورات ، يعود فى الدورة الحادية والعشرين ، فى الجلسة الخامسة ، ليرى المجمع يدرس الألفاظ الحديثة التى يريد إدخالها فى (المعجم الوسيط) فيدلى بدلوه فى الدلاء :

« ألاحظ بصفة عامة أنه لا ضير على المجمع فى بحث الكلمات الاجتماعية ، وأن تكون قراراته بين ثلاثة : ألفاظ يرخص المجمع فى استعمالها مجرد ترخيص ؛ وألفاظ يرفضها المجمع ، وينهى عن استعمالها ؛ وألفاظ يضعها المجمع وضعاً ، ويتخذ فيها قرارات . وأحب أن أشير إلى أن كلمة (كَدْر) المرقومة ٣٠١ والتى شفعها المجلس بكلمة قدر الوظائف ، يقال لها فى المغرب الجهاز ، وألاحظ أيضاً أن كلمة البدعة التى ساقها الأستاذ محمود تيمور فى مقابل كلمة المودة لاتؤدى المعنى ، فيما أظن » .

وفى الجلسة الختامية لهذه الدورة - الحادية والعشرين - عرض الأستاذ ملاحظاته على ثلاثين كلمة من الكلمات التى اقترحها الأستاذ محمود تيمور ، فأقر المجلس إحالتها على لجنة ألفاظ الحضارة .

وهذه هى الكلمات ، وملاحظات الأستاذ عليها :

٧ - إطار (برواز) : ويسمى جهاز بالمغرب .

٣٤ - بنطلون : سروال ، مفرد سراويل ، وهو كذا بالمغرب .

٤٦ - مشرد : هو كذا ، وهو مأخوذ من وعاد الشرد .

٨٥ - خشاف : كلمة وردت كثيراً فى كتب الطب ، وهو كذا فى المغرب .

٩٢ - المدخل : هى السفيفة ، وكلمة مجاز لـ Couloir

٩٨ - الدارة : منية استعملت قديما بهذا المعنى للمنزل فى الضيعة .

١٠٢ - الدوار : مجمع بيوت الشعر لأن شكل وضع البيوت يكون مدوراً .

١٠٦ - الرزمة : أخذها الإفرنج من العربية rasma, rame .

١٣١ - السباك : plumber القصاديرى - القصادرى فى التونسى .

١٣٣ - سجاف : هو كذا أيضاً فى المغرب ، ويسمى الحاشية أى حاشية الثوب ، وهو شريط قماش لحماية أطراف الثياب ruban.

١٤٩ - السنون : ويسمى الذرور فى كتب الطب العربى .

١٧٥ - الشليك : (أى الفراولة) ويسمى بالمغرب توت الأرض ، وهو كذا فى كتب النبات

١٨٠ - الشيك : أخذه الإفرنج من الكلمة العربية صك وهذا أنسب Chique

١٨٩ ـ الصفيح : هو القصدير the plate

١٩٣ ـ الصهريج : محل خزن الماء ـ ويسمى المأجل والفسقية .

١٩٤ ـ صوان : (أوالدولاب) ويسمى فى المغرب « الخزانة » من خزن الأدباش .

٢٠٨ ـ طرابيزة : نضد ـ هى المائدة والصفرة والخوان :

٢٣٦ ـ المعاش : فى المغرب يستعمل له كلمة تقاعد . retraite

٢٦٣ ـ الفوطة : فوطة الوجه هى البشكير (راجع نمرة ٢٤ من هذا) .

٢٧٦ ـ المقصورة الأولى : هى بيت الحمام Salle de bain وحوض الحمام Baignoire

٢٩٤ ـ تقنع وتقنيع mascarade : وهى مأخوذة من العربية « مسخرة » .

٣٠٠ ـ مكتبة : هى خزانة الكتب ، حتى لاتلتبس بمحل بيع الكتب .

٣٢١ ـ اللبيخة : صوابة اللبخة ، كما فى كتب الطب Cataplasma

٣٢٤ ـ اللبن الزبادى : هو الرائب كما فى لغة الشام والمغرب

٣٢٦ ـ لطفة ونجفة : هى طرفة وعلوم وإعلاق Bibelot

٣٤٦ ـ الممسحة : هى المكنسة ما يستعمل لمسح الأرض ، كذا فى عموم المغرب .

٣٥٣ ـ الملة ج ملل : هى الملحفة .

٣٧٢ ـ المنسور : هى الكوة .

٣٧٣و٣٨٢ ـ هجين : الخلاسي (بزرميط) المولد من métis أم أهلية وأب أجنبى أو العكس

وقد شكر الرئيس الأستاذ على ما أبداه من ملاحظات على محاضرة الأستاذ محمود تيمور ، وقال : إن هذه الملاحظات ستعرض على لجنة ألفاظ الحضارة لمناقشتها .

وفى الدورة الثانية والعشرين ، أبدى الأستاذ فى الجلسة الثالثة ، ملاحظاته على بعض الألفاظ المقترحة ، فقال :

« استعملت فى المغرب كلمة الخفاف للفلين ، وفى رقم ٩٦ القاشانى عندنا هو الخزف المطلىّ ؛ وكلمة النقاش بمعنى الدهان ، وهو غيره ، فالنقاش صانع صور الجبس والدهان هو الرسام » .

وفى الجلسة الخامسة من الدورة الرابعة والعشرين ، أبدى الملاحظة الآتية على أسماء البلاد التى تبدأ بكلمة (أبو) فقال :
« فى نموذج الهمزة لاحظنا كثرة أسماء البلاد المبدوءة (بأبو) وهى أسماء مصرية ، على حين أن الأسماء المبدوءة بهذه الكنية لاعدد لها فى البلاد العربية . ونظرة فى معجم ياقوت تدلنا على ذلك ، ولا معنى لإيثار الأسماء المصرية بالذكر » .

وتناول المجلس هذا الموضوع بالنقاش ، فى ضوء أن المهم فى المعجم هو بيان تطور الكلمات باختلاف معانيها ، وأن الأفضل هو الإقلال من الأعلام الجغرافية والشخصية .

وهنا أعلن الأستـاذ حسن حسنى عبد الوهاب رأيه قائلا :

« أرى فيما يتعلق بالأعلام الجغرافية أن نقتصر على ما ورد له ذكر فى نصوص الأدب ، ومصادر التاريخ » .

وفى الجلسة المتممة للثلاثين (٢٧ فبراير ١٩٥٧) تكلم عن لجنة المصطلحات العسكرية ، قائلا :

« إن المصطلحات العسكرية لاتقل عن الألفين ، واللجنة لم تضع إلا قليلا منها . ولكننا نريد بتقديم هذا القليل لهيئة المجمع أن يقف زملاؤنا على الطريقة التى التى سلكتها اللجنة فى اختيار الألفاظ . ويعتبر هذا البحث كتمهيد لما يأتى ، حتى إذا وافقتم على وجوب استمرار اللجنة فى عملها — وهو عمل مهم يحتاج إلى وقت طويل — استمرت . ولو ظهر ما يستوجب التنقيح فإننا ننقحه » .

وفى الجلسة الخامسة ، فى الدورة المتممة للثلاثين (سنة ١٩٦٤) عرض الأستاذ

لتصوير بعض الأصوات غير العربية بحروف عربية ، فقال :

« جاء فى التقرير أن حرف (٧)يرمز له فى اللغة الغربية بحرف (فاء) فوقها ثلاث نقط . وأحب أن أشير إلى أن المغرب منذ أول الفتح اتخذ الطريقة القديمة فى الأبجدية ، وحافظ عليها حتى الآن ؛ فقد استعملوا (حرف الفاء) بنقطة واحدة أسفله ، و (حرف القاف) بنقطة واحدة فوقه . ولقد كان هذا متبعاً فى كل البلاد العربية ، كما أثبتت أوراق البردى فى مصر . وفى المغرب استعملوا فى التعريب (الفاء) بثلاث نقط من أسفل للدلالة على حرف (٧) ، و (الفاء) بثلاث نقط فوقها للدلالة على حرف الجاف . كما أنى أؤيد استعمال التاء المربوطة فى نهاية الأعلام التى هى مثل إفريقية وصقلية » .

وكان هذا آخر ما سجلته محاضر الجلسات للفقيد العظيم ، ولم تسجل عنه بعد ذلك إلا ما جاء فى الدورة الخامسة والثلاثين ، فى الجلسة الخامسة للمؤتمر ، وهى الجلسة التى عقدت فى ٣٠ من يناير سنة ١٩٦٩ لتأبين الفقيد العزيز العظيم .

وقد تكلم فى هذه الجلسة الأستاذ زكى المهندس ، نائب رئيس المجمع يومئذ ، والدكتور إبراهيم مدكور ، الأمين العام حينئذ (ورئيس المجمع الآن) ، ثم الأستاذ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور ، الذى تكلم باسم تونس فى حفل القاهرة ؛ كما أتشرف اليوم بالحديث باسم مصر فى حفل تونس .

سيدى الرئيس .

لقد أطلت عليكم ، ولكنى أردت أن أنقل إليكم ، وإلى التاريخ ، صورة صادقة لنشاط العلامة حسن حسنى عبد الوهاب ، فى خدمة اللغة العربية ، تحت قبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، على مدى ثلث القرن الذى ظل فيه عضواً حر الجنان ، طلق اللسان ، رائع البيان .

رحم الله من كان أحد الرواد الذين قام على أيديهم مجمع القاهرة الذى أتشرف اليوم بالحديث باسمه إليكم .

وأتشرف بتقديم صورة ضوئية لجميع محاضر الجلسات التى ذكر فيها اسم فقيدنا الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد مهدى علام

نائب الرئيس لمجمع اللغة العربية بالقاهرة

هؤلاء علموني

(١)

للدكتور عبد الحليم منتصر

من الخير أن أبدأ بذكر نفر كريم من كبار أساتذة الجيل ، كان من حظى أن أتعرف إليهم وأن أعايشهم وأناقشهم وأقرأ لهم ، وأتتلمذ عليهم لا فى علم من العلوم ، ولكن فى المعارف العامة ، والمثل العليا ، والخلق الفاضل والأدب الجم والقدوة الحسنة ، ممن سيتواتر ذكرهم فى هذا الحديث من أمثال لطفى السيد وحسين هيكل ، وطه حسين ، وعباس العقاد وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات . وعلى مشرفة ، ومصطفى نظيف ، ومحمد كامل حسين ، وأحمد زكى . إنهم العشرة الكرام أو العشرة الطيبة ، لابد أن أعترف بفضلهم :

١ – لطفى السيد :

لقد كان أستاذنا الأكبر ، المرحوم أحمد لطفى السيد ، مديرا لجامعة القاهرة أو الجامعة المصرية ، حين كنت طالباً بها فى أواخر العشرينيات ، وكان مثلا عالياً فى الأخلاق الفاضلة والشخصية العظيمة ، والحفاظ على كرامة العلم والعلماء وعلى استقلال الجامعة . قدم استقالته ، وترك الجامعة بمجرد أن نقل وزير المعارف آنئذ الأستاذ الدكتور طه حسين ، الأستاذ بكلية الآداب من الجامعة إلى الوزارة دون رغبته ، فذهبنا إلى زيارته فى منزله فى مصر الجديدة وكنت معيدًا بكلية العلوم ، فشكر لنا زيارتنا وقال : « المرة الجاية لا أحب أن أستقبل وحدى » . ولم يعد إلى الجامعة إلا بعد أن أعيد طه حسين إليها

وعندما أصدرت جمعية خريجى كلية العلوم مجلة رسالة العلم وكنت رئيس تحريرها ، ذهبت مع الدكتور جوهر وكان رئيساً للجمعية عندئذ لإهدائه العدد الأول ، شكر لنا اهتمامنا بتعريب

العلوم الحديثة ونشرها فى مجلة علمية عربية . وسأل الدكتور جوهر عما يعمل فى الغردقة ، وتطرق الحديث إلى الشعب المرجانية ، ونطقها الدكتور جوهر بالضم ، فقال له :تقول مُرجان كالعوام ؛ اسمه المرجان بالفتح. وكان يتفضل بتشريف المحاضرات العامة والمناظرات الى أشارك فيها وأنظمها فى مدرج الطبيعة بكلية العلوم بالعباسية وكان يعجب بإقبال الجمهور على حضور هذه الاجتماعات الأدبية فى كلية العلوم ، ويضيق المدرج الذى يتسع لألف من الحضور ممن يشاركون فى هذه الندوات والمحاضرات التى كان يشارك فيها عدد كبير من أساتذة الجيل ، حتى إننا كنا نضطر أحياناً لطبع تذاكر للدخول لأن المدرج لايتسع لكل الراغبين .

وقد نظمت وزارة المعارف سنة ١٩٣٨ ، مسابقة للتأليف العلمى ، حظى كتابى « حياة النبات » بالجائزة الأولى ، وأقامت الوزارة حفل تكريم للفائزين فى قاعة الاحتفالات بالجامعة ، وحضر الحفل مدير الجامعة لطفى السيد ، ووزير المعارف الدكتور محمد حسين هيكل ، وطُلب إلىّ أن ألقى كلمة تذاع مباشرة على الهواء ، فإذا بى أنقد الجامعة فى حضرة مديرها فقال لى عاتباً فى نهاية الحفل « كده فقلت له :إن هذه « حرية الرأى » التى علمتنا إياها معاليك ، فانفرجت أساريره ، وفى اليوم التالى أبلغت عميدنا الدكتور مشرفة بما فعلت فقال : « عملت طيب » .

ولكن أستاذنا لطفى السيد أرسل إليه بأنى نقدت الجامعة أمام غير الجامعيين ، أنا إذا كان هذا يرضيك فأنا راضٍ ، وإذا كان لايرضيك فأنا غير راضٍ وقد جعلتك حكماً ورضيت حكمك ،فأبلغنى الدكتور مشرفة بذلك ، فقلت له إنه أقر ما فعلت. فقال إنه لايغضب من ذلك ، وقد حصل معه شخصياً مثل ذلك ، فراح يعتذر إليه فقال له : « أنا يا نبسط لما باشوفكو كده » .

وفى الأربعينيات قرأت ذات يوم فى الجرائد أن مجمع اللغة العربية قد ألف لجنة للحضارة الحديثة ، ووجدت أن معظم أعضائها من أساتذة اللغة العربية فأرسلت إلى أستاذنا الكبير خطاباً أقول فيه :

« إن الحضارة الحديثة قامت على أكتاف العلم ، ولا يستطيع أن يعطى المدلول الحقيقى لكلمة فى العلم إلا شخص مارس استعمالها ، وكم أحب يارجال الأدب ، أن تعلموا أن رجال العلم لايقلون عنكم غيرة على اللغة . فأرسل إلى خطاباً ، يدعونى للحضور إلى مكتبه وكان آنئذ فى ميدان التحرير فذهبت إليه فى الموعد المحدد،قائلا السلام عليكم، فأجاب بقوله : وعليكم السلام جاى تنا كف فى إيه «تانى » فقلت أستغفر الله يا معالى الباشا ، فقال استغفر كيف تشاء نكن يغفر لك . ونظر إلى المرحوم الأستاذ أحمد أمين قائلا : « هل تعرف فلانا ؟ لقد حضرت له كم مجادلة وكم محاضرة فعجبنى واستخسرته فى كلية العلوم » ، ثم نظر إلىّ قائلا « :جوابك عجبنى وأنا غلطان وأنت معك حق » . فقلت له : معاليك أبو الجامعات وأدرى بهذه الأمور . فقال : دعك من هذه الديباجة ، وما ستقوله سينفذ ، وجلست أمامه نتحدث عن تأليف لجان متخصصة من أساتذة الجامعات فى الطب والهندسة والكيمياء والجيولوجيا والأحياء والزراعة وما إليها ، ويحضر كل لجنة عضو أكثر من أعضاء المجمع ليشرف على الصياغة اللغوية ، أما الشرح العلمى فهو من اختصاص خبراء مختصين ، وقد أخذ المجمع بهذا النظام منذئذ ، وكنت أحضر عدداً من هذه اللجان كخبير ، إلى أن انتخبت عضواً ، وكان من أثر هذا النظام أن أخرج المجمع منذئذ عشرات المعاجم بها عشرات الألوف من المصطلحات العلمية المعربة والمترجمة .

لقد حضر أستاذنا الكبير عددا من المحاضرات والمناظرات التى كنت أشارك فيها ، فسمعنى أدافع عن العلم ضد الأدب وعن العلم ضد المال وعن الأدب ضد العلم ، وكان تعليقه على دفاعى الأخير عن الأدب « لقد كان ألحن بحجته » . وفى إحدى جلسات المجمع أراد المرحوم الأستاذ توفيق دياب أن يرد المجمع على ما تناولته الصحف من السخرية بقصة الشاطر والمشطور وبينهما طازج التى قيل إن المجمع ابتدعها تعريباً للسندويتش ، وطال النقاش مدة طويلة فنظر إلىّ المرحوم لطفى السيد رئيس المجمع سائلا إياى ما رأيى ؟فقلت فى تلحين مهذب : نحن نعلو على هذا إن أعمالنا منشورة معروفة مسجلة ولا ينبغى أن نجر إلى هذه المهاترات ، لقد كان تعريبنا للسندوتش « شطيرة » .

وفى حفل أقامه أعضاء المجمع لمعاليه فى نادى محمد على بمناسبة بلوغه التسعين من عمره ، جلست إلى جواره ، وإلى جواره من الناحية الأخرى المرحوم الأستاذ زكى المهندس . وكل من يدخل القاعة يأتى للسلام عليه ، فيقف ثم يجلس ويتكرر ذلك بعدد الأعضاء الوافدين ، فيرهقه التعب ويتصبب منه العرق ويقول لقد أتعبتمونى بتكرار انتخابكم لى رئيساً ، فقال المرحوم زكى المهندس إن هذا يشرفنا وإنك تستحق كل التكريم ، فنظر إلىّ معاليه وقال : أظن الكلام داعاجبك ، فقلت : جدًا ونحن بخير مادمت بيننا ، ثم وصل المرحوم الدكتور طه حسين فقمت وأجلسته مكانى ولاحظ الدكتور طه حسين كثرة قيام وقعود الأستاذ لطفى السيد فقال له : ياباشا ، هذا من فعل الأعاجم . يريد أنه لاداعى أن يتعب نفسه بالقيام والقعود .

وكان معاليه مثلا يحتذى فى الحفاظ على مواعيد جلسات المجمع ، فتستطيع أن تضبط ساعتك عند وقت دخوله الجلسة متوكئاً على عصاه فإذا هى الحادية عشرة صباحاً تماماً ، وفى إحدى الجلسات ظللت أعرض المادة حتى الواحدة إلا عشر دقائق فقال بعض الأعضاء إن الزميل قد تعب . فقال متعجباً : تعب ؟ أنا لم أتعب : استمر ولم يرفع الجلسة إلا فى موعدها المقرر الواحدة بعد الظهر تماماً .

سألناه مرة أن يوجه إلينا حكمة أو مثلاً نحتذى به فقال : هل سأقول أعظم أو مثل مما جاء فى القرآن الكريم أو الحديث الشريف : « المهم القدوة » فإن تكن حسنة سيكون لها أثرها الحسن على البيئة ومن فيها .

لقد شغل رحمه الله عدة مناصب وزارية بعد إدارة المجمع والجامعة ، ولكنه استقال من وزارة صدقى باشا ، ولما سألناه عن أسباب ذلك وكان عدد من الوزراء قد استقال من الوزارة ، وكان الشعب لايريد التفاوض مع الإنجليز . فقال : إذا كان الشعب الذى نتفاوض باسمه لايريد أن يتفاوض فباسم من نتكلم ؟ وهكذا كان أستاذنا لطفى السيد مثالا يحتذى فى حرية الرأى وأدب الحديث والحفاظ على المواعيد ، والاعتزاز باستقلال الجامعة وكرامة العلم والعلماء ، رحمه الله رحمة واسعة .

عبد الحليم منتصر
عضو المجمع

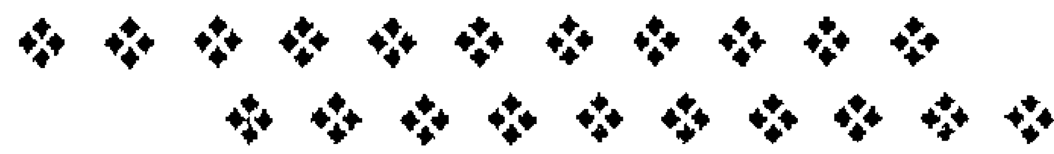
في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء الموافق ٢٣ من سبتمبر سنة ١٩٨٥ أقام المجمع حفل تأبين للمرحوم الدكتور عبد العزيز السيد عضو المجمع .

وفيما يلي ما ألقي من كلمات في الحفل :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتي : سادتي

نودع اليوم زميلا كريما ، له باع طويل في لجان المجمع المختلفة ، ينتج فيها إنتاجاً غزيراً ويضع بصماته الواضحة على كل فن وكل مجال ولم يتوقف نشاطه داخل جدران المجمع فحسب بل تعداه إلى مجالات أخرى عديدة يعددها علينا زميله وزميلنا الدكتور أحمد السعيد سليمان في كلمته التالية .



كلمة الدكتور أحمد السعيد سليمان

فى تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور عبد العزيز السيد

سيدى الرئيس

أيها السادة

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى
أرى الأرض تبقى والأخلاءُ تذهبُ
أخلاى لو غيرُ الحمام أصابكم
عَتبتُ ولكن ما على الموت معتب

كان الله لمجمعنا المرزأ ، ونسأ فى أعماركم أيها السادة الأعضاء ، وهيأ لكم أسبابَ الإنجاز المتروِّى لمعجماتكم وأحياكم أطيب حياة حتى تروها كلها مطبوعة متداولة .

لقد رأيتُ المنيّة أبشع اخترامًا ، وأشد خبطًا فى مجمعنا منها فى مجامع القوم فى أوربا ، وكأن مقسِّم الحظوظ سبحانه وتعالى قد أرخى لهم حبال العيش وجنبهم مخاطر قحط العلماء ، فلا يكاد يموت عضو الأكاديمية هناك حتى يخلفه خيرٌ منه ، فلا العددُ ينقص ولا الخطى تقصر ولا المشروعاتُ تتواضع بل يأتى الخلف بما لم يستطعه السلف لأن الخلف هناك أكمل أداةً وأوسع استيعاباً ، وأحكم منهجاً .

ونحن ، يموت ميتُّنا فلا يخلفه من يدانيه إلا بشق النفس وطول التحرى والمدارسة .

والمنيّة ، على هذا القحط ، رصد ، تتلقط المجمعين مثنى وثلاث .

كأنهُم لم يعرف الموتُ غيرهم
فثكلٌ إلى ثكلٍ وقبر إلى قبر

فى أقلّ من ثمانية أشهر هوى أربعة من نجوم المجمع : الشاعر محمد عبد الغنى حسن ، وعالم الاقتصاد الدكتور حسين خلاف ، وعالم الرياضة والتربية الدكتور عبد العزيز السيد ، وفضيلة العالم المفكر الشيخ أحمد حسن الباقورى .

وُلد ثالثُ هؤلاء النجوم الأربعة ، المغفور له الدكتور عبد العزيز السيّد سنة ١٩٠٧ فى قرية طه شبرا بمحافظة المنوفية ، جده أزهرى ووالده درعمى وخاله مفتش على مدرسى اللغة العربية ، فلا جرم أن أُشربَ فى قلبه هذه اللغة وأحب شعرها فما زال يقرأ ويحفظ حتى حصلت له الملكة فقال شعراً من شعر الشباب ، رأى حين تقدمت به السنّ ألا ينشره ، ولكنه كان ينشده لخلصائه فيلذونه ويطربون له .

تلقى رحمه الله تعليمه الابتدائى ، بمدرسة العقادين وأتمّ تعليمه الثانوى بمدرسة الزقازيق سنة ١٩٢٤ ، ثم التحق بمدرســة المعلمين العليا متخصصا فى الرياضيات وتخرج فيها سنة ١٩٢٨

وقد كان متميّزا منذ صدر شبابه فعُيِّن غبّ التخرج مدرسا للرياضة فى مدرسة شبرا الثانوية ، وكانت وزارة المعارف فى ذلك الزمان تعجم عيدان المتخرجين فى مدارسها العليا فتطرح بغير الصلاب منهم بعيداً عن القاهرة أو تهوى بهم إلى التعليم الابتدائى فلا يرقون إلى التعليم الثانوى إلا بعد بضع سنين.

وما لبث الأُستاذ عبد العزيز السيد أن بذّ زملاءه من مدرسى الرياضة وفاقهم حتى لم تعد المدارس الثانوية تسعه أو تليق به وَرُئى أن ينتفع بعلمه الرياضى وبفنه التربوى فى الكلية الحربية فَنُقل وهو بعدُ فى ميعة الشباب رئيساً لقسم الرياضة بالكلية الحربية

ثم اختبر لحسن بلائه فى التدريس بالكلية الحربية عضوا فى بعثة إلى أمريكا فحصل سنة ١٩٤٨ على درجة الدكتوراة فى فلسفات التربية المختلفة وأثرها فى مناهج الرياضة وتدريسها ، فلما عاد موفقا اقتعد كرسى الأُستاذية بالمعهد

العالى للتربية ، ثم نُقل مديرا عاما للتعليم الابتدائى بوزارة التربية والتعليم

ثم مضى مُصعدا فى المناصب العليا محرزا ثقة الدولة ، تكلفه جسام الأمور فينهض بها بكفاية ، وحسن تأت ، ولباقة اتصال ، ومن ذلك أنها كلفته إنشاء فرع لجامعة القاهرة بالسودان فأنشأه وربطه ربطا وثيقاً بجامعة القاهرة وولى أمره أربع سنين من ١٩٥٥ إلى ١٩٥٩ ، وما زال هذا الفرع يؤدى خدماته العلمية الجليلة فى جنوب الوادى ،

فلما وُسِّد بعد ذلك رياسة جامعة الإسكندرية كُلِّف أن ينشىء جامعة بيروت العربية فأنشأها وربطها ربطاً وثيقاً بجامعة الإسكندرية ، وكانت هذه الجامعة البيروتية قبل فجائع لبنان كعبةً يؤمها الطلاب المسلمون بخاصة من لبنان والأُردن وسوريا وفلسطين .

ورأت الدولة أنه رحمه الله قد أحسن التفريع للجامعات المصرية خارج الحدود فوابتة وزارة التعليم العالى فكان بمثابة المنشىء لهذه الوزارة إذ كان أوّل وزير لها وهو الذى قعد لها القواعد وحدَّد العلاقات وفرَّق الاختصاصات فى المسئولين ، ورأس بحكم منصبه المجلس الأعلى للجامعات ، ويشهد الجامعيون أنه أحسن السيرة فيهم وبذل وسعه لإصلاح ماكان بينهم من فساد ذات البين وكان الصراع على الكراسىّ فى أواخر عشر الخمسين وأوائل عشر الستين قد شغل كثيرا منهم عن قراءة العلم وتحريره وعن حُسن محاضرة الطلاب . وكثر اختصامهم إلى مجلس الدولة فأنشا لهم وظيفة أستاذ بلا كرسىّ فكان الأُستاذ المساعد يرضى بلقب الأُستاذ ويتبلغ بعلاوة الترقية حتى يخلو له كرسىّ أو تنشىء له الجامعة كرسيا .

وهو رحمه الله برىء ممن حسموا الأمر بعد ذلك فألغوا الكراسى إلغاءً .

وكان رحمه الله عضوا مراسلاً للمجمع فلمّا ولى وزارة التعليم العالى صار بحكم منصبه الرئيسى الأعلى للمجمع فافتتح مؤتمرات دورات ثلاث من دوراته : الدورة التاسعة والعشرين والدورة

الثلاثين ، والدورة الحادية والثلاثين ، وتكشف خطبه هذه الثلاث عن إيمانه بالمجمع ورسالته . وعن غيرته على اللغة العربية . قال فى افتتاح الدورة التاسعة والعشرين فى السابع من يناير سنة ١٩٦٣ « ولعل مجمعكم الموقر لم يكن ضرورة حتمية فى وقت مضى كما هو الآن ، فى هذه الفترة من حياة أمتنا العربية المتطلعة إلى تعزيز لغتها وجعلها لغة حضارة من علم وصناعة وفن كما هى لسان دين وحكمة وأدب وثقافة على وجه عام . ثم وصف المجمع بأنه جامعة دولية فقال : « وأنتم بأعضائكم العاملين العرب وبأعضائكم المراسلين فى أرجاء الشرق والغرب وبمن معكم من الخبراء المختصين الذين تستعينونهم فيما بين أيديكم من أعمال ، تؤلفون جامعة دولية ، فى رحابها تتلاقى الخبرات والتجارب لخدمة لغتنا العربية وإمدادها بأسباب الحياة والنماء . .

وقد سخر رحمه الله من الألسنة الحداد التى اندفعت تنحت أثلة المجمع فى أوائل أيامه ، فقال فى افتتاح الدورة الثلاثين « لقد أصبح واضحا أن النظرة إلى المجمع اليوم تختلف عنها بالأمس القريب فلم يسلم المجمع فى السنوات الأولى لقيامه من تشكك فى قيمته وجدواه ، وذهبت بالجمهور الظنون إلى أن مهمته هى تغيير لغة الكلام وفرض الألفاظ الممنوعة على الألسنة والأقلام ؛ ولعلكم ما زلتم تذكرون تلك الكلمات الطريفة التى اختلقها المتظرفون ونسبوها إلى المجمع تنادرا ودعابة أو تهكما وسخرية . أما الآن فقد اتجهت الأنظار إلى المجمع فى جد وتقدير ، فهو معقد آمال البيئات العلمية والأدبية والثقافية على مؤازرتها على أن تكون العربية المتجددة لغة المعرفة على اختلاف المستويات

وبلغ من إيمانه بسلطان المجمع أن دعاه إلى مراقبة ما يعرّب وما يستحدث من الألفاظ ، قال رحمه الله : « يجب أن تكون هناك رقابة مجمعية بصيرة لا تنفك تتابع التصفية والتمحيص لكى توالىَ هذه التنمية الموصولة . بما يصونها من البلبلة والاضطراب ولم يفته رحمه الله أن يخص المعجم الكبير بفقرة فى كلمته التى افتتح بها المؤتمر الثلاثين. فقال : لقد أردت بكلمتى

هذه أيها السادة أن أعرب لكم عن التقدير العميق لما تضطلعون به من هذه المهمة الجسيمة؛ مهمة تأليف المعجم الكبير، وعن الثقة بأنكم عاملون على تحقيقها ما وسعكم أن تعملوا فهى أمل الأمة العربية جمعاء.

أيها السادة :

لقد صحبتُ الفقيد الكريم فى لجنة مصطلحات الحاسب الإليكترونى فعرفته عن كثب عالما يتوخى دماثة اللفظ وسلامة العبارة، ويحمل بعنف على ما قد يُقترح من لفظ وعر أو عبارة عوصاء؛ لأن غايته إفهام التعريف بأيسر لفظ وأوجزه وأوضحه. وكان رحمه الله حريصاً على توسيع الخطى، وإنجاز أكبر قدر من الاصطلاحات فى أقصر وقت، كل أولئك فى تثبت، ويقين رياضى وبراءة تامة مما يفسد مجالس العلم أحيانا من اللجاجة والمماملة والمماحكة.

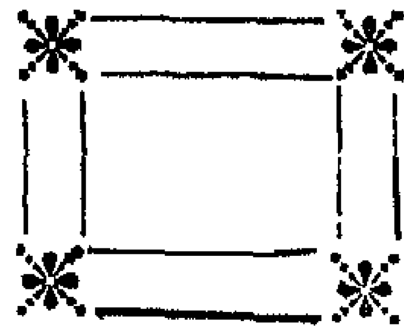
فلما كانت الجلسة الأخيرة فى يونيه الماضى وقف رحمه الله فجاءةً حديث الإليكترون ونحّى مصطلحات الحاسب وأنشدنا قصيدة شوقى فى رثاء مصطفى كامل، لم يخرم بيتا ولا أخل بوزن ولكن أنشدنا القصيدة إنشاد دارس محترف لعلوم اللغة، وكأنما كان يعلم رحمه الله أنها جلسة الوداع. فما إن فرغ من نشيده حتى أسند رأسه إلى يمناه وكرر عبارة «إن الحياة دقائق وثوان» فكانت آخر ما قال فى المجمع. أو آخر ما سمعتُ منه فى جلسته الأخيرة.

أيها السادة :

كل العباد إلى معاد، وكل كون إلى فساد، ولكل جنب مصرع، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد السعيد سليمان
عضو المجمع



كلمة الأسرة
في تأبين الدكتور عبد العزيز السيد

السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية . السادة الأعضاء . سادتي .

أتقدم إليكم جميعاً بخالص شكرى وتقديرى وعرفانى لحضوركم اليوم لتأبين شقيقى المرحوم الدكتور عبد العزيز السيد عضو المجمع كما أتقدم أيضاً بمزيد الشكر للسادة الذين تفضلوا بإلقاء كلمات التأبين وأرجو لكم جميعاً موفور الصحة والسعادة والتوفيق .

لقد كان شقيقى المرحوم الدكتور عبد العزيز السيد مشغوفاً باللغة العربية ومولعاً بها وبآدابها أشد الولع بالرغم من أن تخصصه أصلا هو الرياضيات والتربية ، ولا غرو فى ذلك ، فنحن من عائلة تمت إلى اللغة العربية بأسباب قوية ، وقد كانت عائلتنا فى ريف مصر تعنى أشد العناية بإرسال أبنائها إلى القاهرة للالتحاق بالأزهر الشريف لطلب العلم ولما أنشئت مدرسة دار العلوم فى عهد الخديوى إسماعيل اتجهت العائلة إلى المدرسة الجديدة وأخذت ترسل أبناءها إليها تباعاً لينهلوا من ينابيعها وقد تخرج فيها والدى وأبناء عمومتى وخالى رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة .

وقد كان شقيقى رحمه الله كذلك من أشد المحبين لمجمع الخالدين مجمع اللغة العربية ، ومن أشد المتحمسين له والمؤمنين برسالته وكان يحرص أشد الحرص على حضور اجتماعاته وجلساته ، ولا سيما بعد أن قلّت أعباؤه وارتباطاته بعد أن ترك وزارة التربية والتعليم والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

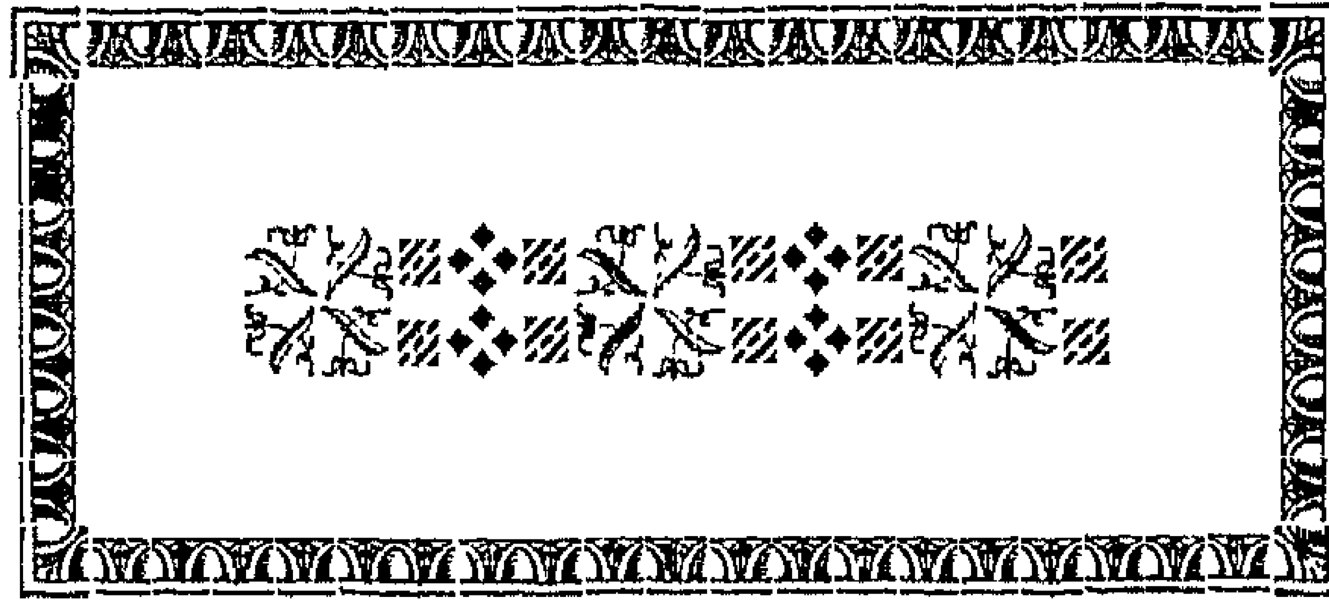
لقد كان شقيقى رحمه الله فريداً فى ذكائه ورجولته ، ولم يكن لى أخاً فحسب وإنما كان أخاً وصديقاً ومعلما

وقد تعلمت منه الكثير . وقد كان رزئي فيه ومصابي منه أليماً ، وكيف لا وقد فقدت فيه أعز أخ وأكرم صديق .

أيها السادة :

أعود مرة أخرى فأشكركم من كل قلبي لتكرمكم بإقامة هذا الحفل وأدعو لكم مرة أخرى بالصحة والسعادة والتوفيق ، كما أرجو المولى عز وجل أن يتغمد شقيقي برحمته وأن يسكنه فسيح جناته لما قدمه لعائلته وأهله وبلده

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

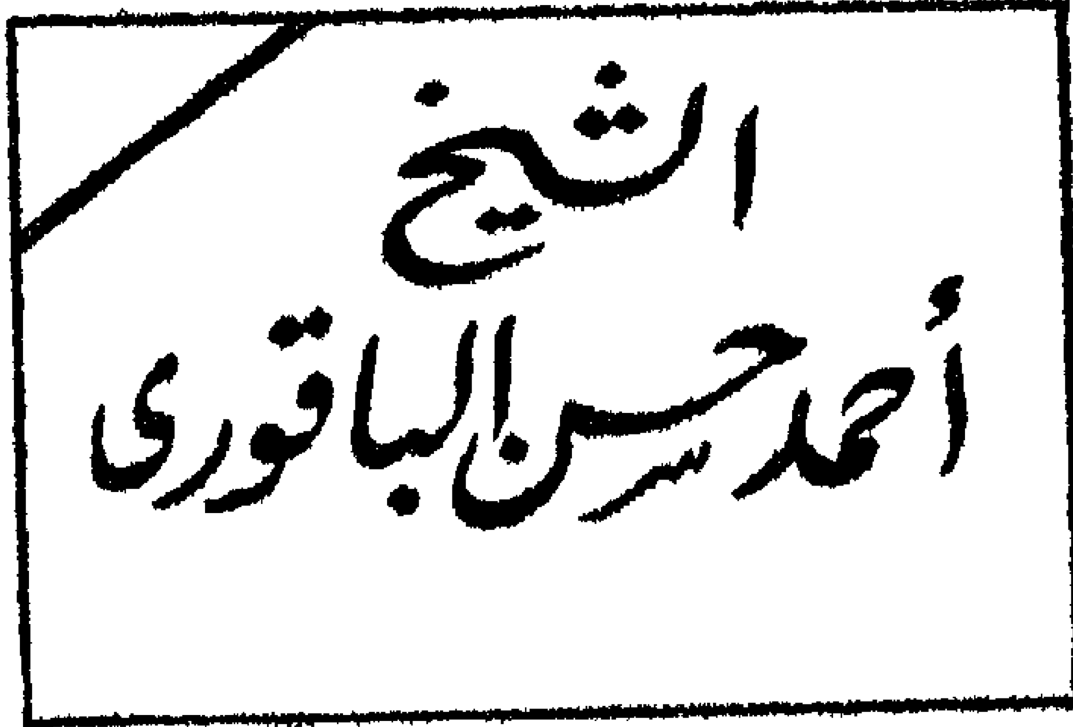


في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ١٦ من صفر سنة١٤٠٦هـ (الموافق ٣٠ من أكتوبر سنة ١٩٨٥ م) أقام المجمع حفل تأبين المرحوم صاحب الفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى عضو المجمع.

وفيما يلى ما ألقى من كلمات فى الحفل :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

فى تأبين المرحوم



بسم الله الرحمن الرحيم

سيداتى سادتى ..

رحم الله الباقورى ، فى صفاء نفسه ورقة قلبه وسلاسة طبعه ودماثة خلقه. عرفته منذ ثلاثين عاماً أو يزيد فعرفت فيه الأخ الكريم ، والصديق الحميم . لم يتجن قط على زميل ، ولم يتخلف عن واجب نحو صاحب ، أو مشترك معه فى عمل ، ولم تغيره أحداث الدنيا ومناصبها فى معاملته للأصدقاء والزملاء وكان حبل المودة عنده أقوى الحبال وأوثقها .

وتحضرنى الآن كلمته التى استقبل بها صديقاً وزميلا له فى هذا المجمع هو المرحوم أحمد عبده الشرباصى ، وهذه وهذه الكلمة آية من آيات الوفاء الذى عرفه كل من عرف الباقورى .

وعرفته أيضاً ثائرًا ومناضلا ، وكم لاقى من آمال وآلام فى نضاله . قامت ثورة ١٩١٩ م ثورتنا الأولى فى هذا القرن وسنه لم يتجاوز الثانية عشرة ولكنه فيما يبدو ـ أحس بها وتتبعها ، وما إن انتقل من

أسيوط إلى القاهرة حتى دخل فى معمعة الشباب وطلاب الأزهر وكان له نشاط وكان له جهاد وكان له عمل وعمل واضح فى الحركات الطلابية فى العقد الرابع من هذا القرن . وما إن تكونت جماعة الإخوان المسلمين حتى أصبح عضواً من أعضائها وعاملا من العاملين فيها ، بقى فيها إلى أن قامت ثورة ١٩٥٢ م فسارع إليها . كل ذلك لأنه كان يريد أن يؤدى رسالته نحو أمته ونحو دينه ، ونحو وطنه . واستطاع أن ينخرط فى سلك تلك الثورة الثانية وأن يؤدى رسالته نحوها ؛ داعياً خطيباً رحالة متنقلا ، وأن يضطلع بقدر من أعبائها وقدر متصل ، ولعله لاقى فى هذا مالاقى . وكان من نتائج هذا النضال أن أصابه ماأصابه بعد عشر سنوات تقريباً من عمل مستمر فى ذلك العهد الجديد وكانت الصدمة شديدة على كل من عرفه وأحبه . وقد زرته أول يوم بعد حدوث هذه الصدمة ولكنى لم أستطيع أن أراه بعينى ، وإنما رأيت صهره المرحوم

الأستاذ عبد اللطيف دراز وتحادثنا فى الأمر ، ورجونا جميعاً أن يسترد شيخنا وصديقنا صحته وعافيته . ولكن الصدمة كانت أكبر من أن تمر بسرعة فكانت مقدمة لمعاناة عاشها الباقورى ودامت نحو عشرين عاماً أو يزيد ، وقد عرفت الباقورى خلال هذه المعاناة فى صورة أخرى هى صورة الرائد والمصلح والمجدد ، وأحاديثه الإذاعية وجلساته الصباحية أو المسائية وصلته الوثيقة بجمعية الشبان المسلمين ، كل ذلك كان يعكس هذا المعنى ويدور فى هذا المضمار . مضمار حاول الباقورى أن يبرهن من خلاله أنه كان يعيش فى عصره ، ومن أجل ذلك كان يحس بإحساس هذا العصر ، ويواجهه مؤمناً بأن تعاليم الإسلام لا تتعارض مع نهوض أو تقدم ، مادام هذا النهوض والتقدم يحترم القيم الإنسانية والقيم الإسلامية وينزل عندها . وكم كان يرحب بالجديد مادام هذا الجديد لايتعارض مع الدين فى شىء .

كلمة الدكتور محمد الطيب النجار

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله سبحانه وتعالى - ونصلى ونسلم على أنبيائه ورسله ، وعلى خاتمهم سيدنا محمد بن عبد الله . . سبحانك اللهم لا معقب لحكمك ولا راد لقضائك .

فى كل حين دمعة إثر ذاهب
وفى كل يوم لوعة بعد صاحب

أودع صحبى واحداً بعد واحد
فأفقد قلبى جانباً بعد جانب

حضرات السادة والسيدات :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

إن الأيام تمر وتتتابع وتدور رحى الزمن بالناس ، فيغير الله الأحوال بين يأس ورجاء ، وعبوس وصفاء ، وشروق وغروب ، وحياة وموت ، وإقبال وإدبار ، والله يقلب الليل والنهار . نعم يقلب الله الليل والنهار .. فتلكم سنة الله فى خلقه وذلكم تقدير العزيز الحكيم ، وصدق الله العظيم .

« كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة . فمن زحزح عن النار ، وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

« عش ماشئت فإنك ميت ، واحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ماشئت فإنك مجزى به » .

ولله قول الشاعر الحكيم :

حكم المنية فى البرية جـــار
ما هذه الدنيا بدار قرار

بينا يرى الإنسان فيها مخبراً
فإذا به خبر من الأخبار

طُبعت على كدر فكيف تريدها
صفواً من الأقذار والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نار

أجل ، إن الموت حق لاريب فيه ، ومامنه من بُدٌّ رضى الناس أم سخطوا ،

أعلنوا الحرب عليه أم سالموا . ولكن العاقل المؤمن هو الذى لا يجزع حينما يتخطف الموت أخلاءه ، والعاقل المؤمن هو من يحمـل فى يده سـلاح الصبر ؛ كى يغالب به الأحداث ويقتحم الأخطار ويمضى فى طريقه الشاقة إلى غايته الحاقة فى رضا واطمئنان وصبر وإيمان . والناس فى هذه الحياة رجلان : رجل يفهم من الحياة عيشاً رغداً ، ومتاعاً شهياً وسنين متطاولة فحسب ، فهو يعبر الحياة سابحاً فى ظلام الأنانية ، محاطاً بغلاف الأثرة الكثيف ، دائراً حول نفسه ، لا ياوى على شىء إلا على منافعه ومآربه ومثل هذا الصنف من الناس لا خير فى وجوده ، فهو يعيش على هامش الحياة ، كما تعيش الهوام والحشرات ، ويأكل ويتمتع ويرتع كما ترتع البهائم العجماوات ، حتى إذا جاء أجله فارق الحياة فلم تحفل به الحياة ، ولم تأسس لفراقه ، وكتب التاريخ صفحته لوثة فى جبين المجتمع ودمامة فى وجه الإنسانية . هذا صنف من الناس .

ورجل آخر يفهم من الحياة أن يكون حياً فى أذهان الناس بأعماله وكريم أفعاله متوغلا فى أعماق الزمن بعبير ذكره وطيب أثره ، فهذا الصنف من الناس لايموت أبداً بل يظل فى الحياة خالداً بأثره ، باقياً بمجده وخطره ولله قول شوقى رحمه الله :

من سره ألا يموت فبالعلا
خلد الرجال وبالفعال النابه

ما مات من حاز الثرى آثاره
واستولت الدنيا على آدابه

أيها السادة والسيدات :

لقد كان فقيدنا الكريم من هذا الصنف العظيم الذى يفهم من الحياة أن يكون حياً فى أذهان الناس بجليل أعماله وكريم أفعاله .

ولقد قضى حياته – بحمد الله – مجاهداً مكافحاً منذ نعومة أظفاره إلى أن اختاره الله لجواره ، ولقد عرفته طالباً بالمرحلة العالية ، فى الأزهر الشريف وكنت حينئذ طالباً بالمعاهد الأزهرية الثانوية ، وكان يرأس محركة الإصلاح التى قام بها الأزهر ، كان يرأس الثورة الإصلاحية التى قام بها طلاب الأزهر ، وكنا نستمع إلى بياناته العظيمة الجايلة ، التى كانت تتألق فى نفوسنا كما تتألق النجوم الهادية

وكنا نسير وراءه ، ونمضى إلى غايتنا حتى كتب الله لنا الفوز والنجاح بقيادته وزعامته. ومازالت ترن فى أذنى خطابته التى ألقاها فى استقبال الإمام الأكبر المغفـور له الشيخ محمد مصطفى المراغى مازالت ألفاظها ترن فى أذنى ، وهى التى طوعت لكبير من الأدباء أن يقول له : « إن مستقبلا عظيماً ينتظر هذا الشاب العظيم » ، ولقد زاملته حينما كان وكيلا لمعهد القاهرة الدينى ، وكنت حينئذ مدرساً فيه ، وأشهد — والله على ما أقول شهيد — أننا كنا نجلس معه فلا نسمع أى لغو من الكلام ، وإنما كان يدير الحديث دائما فى العلم والأدب ، وكان يتنقل بنا فى روضات العلم والأدب من فنن إلى فنن ، ومن ثمرة إلى ثمرات . وهكذا لا يصدر عنه الوارد عليه إلا وقد امتلأت نفسه بالإعجاب والإعزاز والإكبار .

ولقد رأيته بعد ذلك حينما وقعت له المحنة الأليمة ، فامتدت إليه يد ظالمة ، وحبسته فى بيته زمناً طويلا ، وكان الناس حينئذ يتخوفون أن يذهبوا إلى بيته زائرين وللحقيقة والتاريخ — أحب أن أقول إننى ؛ كنت واحدًا من أولئك الذين كانوا يذهبون إليه ، ووالله ؛ لقد كانت هذه المحنة خيرًا كبيرًا له ؛ حيث قضاها عاكفاً فى محراب العلم والادب ، وتزود منها بالعلم النافع الغزير . وهكذا ظللت — بحمد الله — أرافقه مرافقة الأخ الصديق حتى انطفأت تلك الشعلة الوهاجة ولقيت الروح الطاهرة ربها راضية مرضية لتدخل فى عبادة ، ولتدخل جنته .

أيها السادة والسيدات .

قد يكون من الخير أن أقرأ عليكم بعضاً مما تعيه الذاكرة من تاريخ فقيدنا العظيم :

لقد ولد فى باقور سنة ألف وتسعمئة وسبع ، وكان والده من المتصوفة الذين يعرفون الله حق المعرفة ، فنشأ فى بيت يعرف الله ويخشاه وحفظ القرآن الكريم فى كتّاب القرية ، ثم التحق بمعهد أسيوط الدينى ونال منه الشهادة الثانوية الأزهرية وبعد ذلك التحق بالقسم العالى ونال شهادة العالمية النظامية سنة ألف و ثمانمائة

واثنين وثلاثين ، ثم التحق بقسم التخصص فى البلاغة والأدب ، فنال شهادته سنة ألف وتسعمئة وست وثلاثين ، وبدأ حياته مدرساً بالأزهر ، ثم تدرج فى وظائف التدريس ، فأصبح مدرساً فى كلية اللغة العربية ثم وكيلا لمعهد القاهرة الدينى ، ثم شيخاً لمعهد المنيا ، وهكذا ظل يتنقل بين المعاهد الأزهرية شيخاً لها حتى جاءت الثورة فعين وزيرًا للأوقاف . ثم عين بعد ذلك رئيساً لجامعة الأزهر ، وفى خلال هذه المدة اختير عضوًا فى مجمع البحوث الإسلامية ، كما اختير عضوًا فى مجمع اللغة العربية ثم رئيساً لجمعيات الشبان المسلمين ، ورئيساً لمعهد الدراسات الإسلامية وعضوا فى مجلس الشورى .

تلكم خلاصة يسيرة وومضة خاطفة من تاريخ حياته وكان له خلال ذلك مؤلفات علمية قيمة أحب أن أقرأ بعضها عليكم كما سجلها مجمع الخالدين . وهذه الوثيقة التى سجلها المجمع له إن دلت على شىء فإنما ، تدل الدلالة كلها على مدى ما أفاد به العلم ، وما نفع الله به من علم غزير يرجى خيره إن شاء الله .

أهم مؤلفاته :

١ ـ أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية .
وفى هذا الكتاب تحدث عن إعجاز القرآن وجلاله وجماله وكيف أنه الأساس لنهضة اللغة العربية .

٢ ـ عروبة ودين .

٣ ـ خواطر وأحاديث .

٤ ـ فى عالم الصيد .

٥ ـ مع القرآن الكريم .

٦ ـ مع الشريعة .

٧ ـ مع القرآن حول جزء تبارك .

٨ ـ تحت راية القرآن .

٩ ـ صفوة السيرة المحمدية .

١٠ ـ من دلائل النبوة .

١١ ـ قطوف من أدب النبوة .

والأستاذ الباقورى عليه رحمه الله حاصل على وشاح النيل من الطبقة الأولى سنة ألف وتسعمائة وخمس وخمسين .

ـ وكسوة التشريفة من الملك عبد العزيز آل سعود عام ألف وتسعمئة وخمسة وأربعين .

– وكسوة التشريفة والسيف الذهبى من الملك عبد العزيز آل سعود عام ألف وتسعمئة وثلاثة وخمسين .

– ووسام النهضة من الدرجة الأُولى من الملك حسين ملك المملكة الأُردنية الهاشمية عام ألف وتسعمئة وثلاثة وخمسين .

– ووسام من خليفة تطوان فى العام نفسه (١٩٥٣) .

– ووسام ووشاح الخلافة الشريفة من الملك محمد الخامس ملك المغرب فى العام نفسه .

– ووسام أُمية من الجمهورية السورية عام ألف وتسعمئة وسبعة وخمسين .

هذه ومضة خاطفة لآثاره ومآثره .

أيها السادة والسيدات :

إن المقياس الحقيقى الذى تقاس به الأعمال ، وتوزن فى ضوئه الآجال والأعمار ليس هو الزمن المديد وإنما هو العمل الصالح الحميد ، الذى يفيد الإنسانية جمعاء ويبقى به ذكر الإنسان ؛

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له » .

وإن العظمة فى هذه الحياة ليست بالأمر الهين الميسور لكل إنسان . إنما تتطلب العظمة والخلود فى هذه الحياة أن يتزود الإنسان لها بالعقل الراشد والتفكير السديد والعلم والخلق والعمل الدائم الذى لاينقطع أثره على امتداد الحياة ولقد كان فقيدنا – رحمه الله عليه – تتمثل فيه هذه المعانى فوصل – بحمد الله – والباقورى لم يبن خلوده ولامجده من الأوهام ، ولم يبن خلوده ولا مجده من أحجار ملقاة فى الرغام إنما بنى مجده من النجوم ، ومضى إلى غايته بالعمل الدائب صعداً فوق أشلاء المتاعب والمصاعب

ألا رحم الله أخانا وزميلنا وشيخنا الأُستاذ الباقورى وألهمنا الصبر على فقده ، وجزاه عن العلم والخلق والدين خير ما يُجزى به رجل أخلص لله وجاهد فى سبيل الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في رثاء الفقيد

قصيدة للدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش

عضو المجمع

دَعَاهُ اللهُ للحُسْنَى ... وَيَوْمَ العِيدِ لَبَّاهُ

كَأَنَّ الروح قُرْبَان ... إِلَى الرَّحمٰنِ أَهْدَاه

«حَدِيثُ الرُّوح» منياه ... ومَا أَحَد سَيَنْسَاه

وَرِضْوانٌ يُحَيِّيه ... بِيُمْنَاهُ ويُسْرَاه

لأَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ ... وَإِيمَانٍ بِمَوْلَاه

فَبُشْرَاه بِأُولَاه ... وبُشْرَاه بِأُخْرَاه

قُلُوب النَّاس مأْوَاه ... وبِالْفِرْدَوْسِ مَثْوَاه

وَأَهْل الذِّكْر قَدْ جَاءُوا ... إِلَى إِحْيَاءِ ذِكْرَاه

فَإِنَّ الدِّين وَالفُصْحَى ... لَفَتْوَاه وَتَقْوَاه

كَلَام العُرْب من فِيهِ ... كَمِسْكٍ مِن ثَنَايَاه

كَأَنَّ العُرْب قدْ أَبْقَوْا ... رَوَائِعَهُم لِيُمْنَاه

شَبَابٌ مُسْلِمٌ فَازُوا ... بِقِسْطٍ مِن عَطَايَاه

كِتَابِيُّونَ فِى حُزْنٍ ... لِعَطْفٍ فى سَجَايَاه

إِمَامٌ لَيْسَ تُغْرِيهِ ... كُنُوزُ الْمَال وَالجَاه

صرُوف الدَّهْرِ أَعْيَاهَا ... سَبِيل اللهِ مَرْمَاه

إِذَا ماحَلَّ فى جَمْعٍ ... فَأَهْلُ الشِّرْك تَخْشَاه

وإِنْ غُمَّت عَلَى قَوْمٍ ... فَإِنَّ الحَقَّ فَتْوَاه

وَدَرْس الدِّين أَلْقَـاهُ عَلَى عِـلْمٍ بِفَحْـوَاه
وشَـرْح النَّحْو أَدَّاهُ بِمَبْنَـاهُ ومَعْنَـاه
إِذَا ما ارْتَاد يَنْبُـوعًا لِعِـلْمٍ صَـارَ مَجْرَاه
تَخَلَّتْ عَنْـهُ دُنْيَـاه ودَارُ الخُـلْدِ مَأْوَاه
سَـلَامُ اللهِ أُهْـدِيه لِعَبْـد جَـاءَ مَوْلَاه
وذِكْرُ اللهِ فى فِيـهِ خِتَـامٌ كَانَ يَهْـوَاه
وكُل الخَـيْرِ أَبْقَـاه لِيَـوْمٍ فِيـهِ يَلْقَـاه
سَـأَلْتُ اللهَ نُعْمَـاه وحُسْـنَاهُ وَرُحْمَـاه
لِشَيْخٍ عَـالِمٍ عَلَمٌ يَقِين الحَـقّ وافَاه

ابراهيم الدمرداش
عضــو المجمع

❋ ❋ ❋

تهيبت أن أرثى

قصيدة للدكتور سعد ظلام

نُروَّع بالآلام .. لكن نُغَالِب ... ونُسحَر بالأحلام .. والعُمر لاحِبُ
نُغَنّى .. وكأسُ الموتِ فوقَ شفاهنا ... ونسمرُ .. والعُمر المقدَّرُ نَاضِبُ
وتَطْلُبنَا الآجَالُ فى كُل لَحْظَة ... ومَا أسرعَ المطْلُوبَ .. وَالموتُ طَالِبُ
ودِاعًا .. «أبَا يُمنَى» .. لَقَد كُنتَ باقة ... من الحُبِّ .. والحبُّ لِلودِّ جَالِبُ
وماضَنَّ هَـذَا الوَرْدُ يَوْمًا بِعِطْرِه ... تَهَادَى شَذَاه لصِّـه وَالحَبَايبُ
وكنتَ طِرَازًا فى الرِّجَالِ مُحَنَّكًا ... يَعِزُّ بِهِ خصمٌ ويَسْنَى أقَارِبُ
وكنتَ وَزيرًا .. جَاهُه فى شهَابِه ... ولِلنَّاسِ فى هَـذَا الشهَابِ مَطَالِب
فَلَا غَابَ مَأْمُولٌ .. وَلَا خَابَ آمِلٌ ... وَلَا جَاهُكَ المعطَاءُ فى الخَلْقِ شَاحِبُ
وَلَا خَابَ فِيكَ العزمُ ، أو ضنَّ وردُهُ ... وَلَا تُغرُكَ الأسنى طوتْه السَّحائِبُ
وكَمْ لَكَ فى «الشُّبَّانِ» روحُ مُجَاهِد ... عَلَى مِئْذنَاتِ النُّور .. روحُ مُجَاوِبُ
زرعتَ بِهَـا الروَّادَ فى كُل محفَلٍ ... وكنتَ إمَامًا .. ثقَّفَتْهُ التَّجَـارِبُ
عَلَى جَنَبَـاتِ الأرضِ كعبةُ مُحرِمٍ ... ومصحفُ قَارٍ .. فى حِرَاءَ وَرَاهِبُ
وعُمرٌ من الأقْدَاسِ .. أنتَ قَطَعْتَهُ ... بمحْرَابِ هَذَا الدِّين فينَانُ .. وَاهِبُ
وكَمْ لكَ مِن رَأْيٍ .. وفتْوَى .. ودَعْوَة ... وفِكْرٍ خَصِيبٍ .. بالعراقَةِ صَـائِبُ
خُطَاكَ عَلَى الكَونِ الرَّحِيبِ مهَـابَةٌ ... وسِفْرٌ وضيء السفرِ رَيَّان كَاتِبُ
جِهَـادٌ .. فأمَّا الجِسمُ فِيهِ فَوَاصِبٌ ... نَحِيلٌ .. بَرَاهُ السُّقْمُ والرُّوحُ لَاهِبُ
وفى الأزْهَر المعْمُور جيشٌ مِن الفِدَى ... تَدَفَّق .. والآيَاتُ فِيهِ عَصَـائِبُ

وأنتَ فَتاهُ الحُرُّ .. فَدابَ صَباحِه   تَنُور .. وكَم ثارَ الأُبَاةُ الذَّوائِبُ

سكبْتَ شَبَابًا رفَّ كالفَجرِ فِيهِمُ   فهبَّ شَبَابٌ لِلفِدَا .. وأشَايِبُ

تَجَاوبْتَ فى الأَحْدَاثِ .. تَحدُو نهارَهَا   فَلِلَّهِ ذَاكَ الصَّارِخُ المُتَجَاوِبُ

أَعِرْنى زَمَانًا كُنتَ فِيهِ كِفَاحَه   بثَورتِه العُظْمَى تَمُورُ المَوَاكِبُ

فَلِلدِّينِ والأوْطَانِ كَانَ نِضَاله   ولِلّهِ والإِصْلَاح كانَ المُحَارِبُ

وثَبْتَ شُجَاعًا .. لا تَهَابُ معَاطِبًا   وأَيْنَ من العَزْمِ القَوىِّ المَعَاطِبُ

كأَنَّكَ غَازٍ — حَيْثُ كَان — مُظَفَّرٌ   طَلَائِعه فى العَالمِينَ المَوَاهِبُ

تَجيشُ قُلُوبٌ .. أو تُرَاعُ مَنَابِرٌ   ويَجهشُ مِحْرَابٌ وتَصْحُو كَتَائِبُ

نَهَيَّبْتُ أَنْ أَرْثى .. فَإِنَّكَ مَاثِلٌ   بِأَخْلَادِنَا .. تَشْدُو بِهَا .. وتُجَاوِبُ

وَلَا فَرقَ .. إِلَّا أَنَّهَا أُطُر النَّوَى   تحول رُؤَى الأَشباح لَو شَاءَ طَالِبُ

سِوَى أَنَّ ما نَحْيَاهُ بَعْدَك نَمائِمٌ   وكل الَّذِى عِشْنَاه بَعْدَكَ شَاحِبُ

فكُلُّ أَمَاسِيكَ الحَوَالِى أَقَارِبٌ   وكلّ لَيَالِيك الخَوَالِى حَبَايِبُ

وكُلُّ مَرَائِيك الغَوَالِى مَوَاثِلٌ   وكل أَمَانِيك الحِسَانِ سَوَاكِبُ

كأنَّكَ باسمِ اللهِ فى كل محفل   تشعّ كَمَا شَعَّتْ عَلَيْنَا الكَوَاكِبُ

أَلَا كلّ حَفْلٍ دون بَدْرِكَ أَبترٌ   وكلّ مَكَانٍ دون نُورِكَ غَارِبُ

كأنَّكَ فِينَا لا تَزَالُ كعَهدِنَا   تَقُول فنُصغِى .. أو تَرَى فَنُجَاوِبُ

وقد كُنتَ تَلْقَانى بقَلْبٍ مُرَحِّبٍ   كأنَّكَ تلقَى بِى الَّذِى هُوَ غَائِبُ

وكنتُ إذَا ما غبتُ أَلمحُ نَاظِرًا   تُسجِى بأَهْدَاب كأنَّكَ عَاتِبُ

ومَالِى .. أَتيتُ اليَوْمَ أَحتَضِن الأَسَى   يُحَالِفنى يَأْسٌ غَبِىٌّ مُغَاضِبُ

تَغَيَّر طَعْمُ العُمْرِ حَتَّى رَفَضْتُه   وأَرَّقَنِى سهمٌ من الحزنِ نَاشِبُ

تشيبُ دُمُوعِى فى الوَدَاعِ وهَوْله   وتُرهق أَعْصَابِى .. وتعوى المتَاعِبُ

وتهتز فى عينى الرؤى وانهزامها ... وتحتج أيامى .. وتهوى الكواكب
عزاء شيوخ الضاد قد خر بيننا ... كسائى هذا العصر.. والعصر ناضب
عليم بفقه الضاد والرأى .. حجة ... وأروغ شاد بالفصاحة .. صائب
يقعد للفصحى بما قد يقوله ... وتؤخذ عنه فى البيان المطالب
وشائج من «عدنان» كنت عليها ... و«أكثمها» الأذكى.. عدتك المعايب
نهلت من التنزيل سر بيانه ... فلو تقرأ الآيات كانت تجاوب
فلألاء فيما قد قرأت نضارة ... على نضوة فيها .. ونور مغالب
وللضاد سحر رائع وحلاوة ... وصوت رخيم الجرس فنان ذائب
تمر حروف الضاد بين شفاهكم ... كما رتل القرآن «كعب» و«حاطب»
وأنت خطيب أبلج الصوت مصقع ... ككلامك فى الألباب حلو وذاهب
لأنك صناج الحروف وصادق ... وأنك صناع البيان .. وثاقب
رأيت بك الإنسان عانقت روحه ... وإنك للنبل المضوأ صاحب
فقبلت فيك النبل حين رحمته ... وحين أشعت من سناه الكواكب
تقاتل فيه ضعفه .. وتعزه ... وتحيى به الروح الذى هو غارب
وأنت ككل الناس إنسان عصرنا ... وفى الخلق ضعف فى الأناسين ناشب
رماك ضعاف الناس لم تك مثلهم ... ترفعت شمسا قد رماها الأكالب
نظرت إلى هذا الصغار فعفته ... وقلت : صغار مفترون أكاذب
وما مقصد الباغين إلا إساءة ... وما حجة الباغين إلا المثالب
ألا أيها الركب المودع .. والرؤى ... ثكالى .. وأحلام الرجال عوازب
صبغت أديم الأرض من لون حزننا ... فكل مكان بالمناحة خاضب

تَمَهَّلْ قَلِيلًا أَيُّهَا الركبَ .. إِنَّهُ أَمَانِيُّ شَعْب .. لا يَزَالُ يُغَالِبُ
ومهبط أحْلَام ودِينٍ مُجَاهِدٍ تُرَاوِغه فى ذِى الحَيَاةِ الثَّعَالِبُ
وبندٌ عَظِيم الخَفق كانَ مُضَوَّأً وحضنًا لآمَالٍ طَوتْهَا المصَاعِبُ
سَلَامًا عَلَى بَدْرٍ فَقَدْنَا بِفَقْدِه لِوَاء .. وتَارِيخًا .. وجَيْشًا يُحَارِبُ
بَكَى فى الودَاع الحُبُّ والحَقُّ والنَّدَى وعِلْمٌ .. وفِقْهٌ .. والسَّنَا والمنَاقبُ
فَفِى كُلِّ صَقع يا صِحَابُ نَوَائِبُ وفى كُلِّ أُفق يا رِفَاقُ نَوَاعِبُ
تَأَيَّم فِكْرٌ .. بَعْدَهُ وبَرَاعَةٌ ورُوِّعت الآرَاء .. واستَاءَ وَاجِبُ
وعُطِّل مِحْرَابٌ .. وبَهْوٌ .. ومنبرٌ وأظْلم صُبحٌ بالمنِيَّةِ كَاذِبُ
سَنبْكِيكَ مَا عِشْنَا ونَبْكِى حُظُوظَنَا إِذَا عَزَّنَا غيمٌ وَلَاحتْ عَنَاكِبُ
وزُيفتِ الأَنْبَاءُ واعتلَّ صِدْقُهَا وشَابَ نَقِيَّ الدِّينِ بالزَّيْفِ شَائِبُ
ودَاعًا .. أبَا يُمنَى ..رَضِينَا بحُكْمِه وفى قَلْبِنَا دَاجٍ من الحزنِ لَاهِب
رَضِينَا وفى الأَحشَاءِ مِنَّا عَقَارِبُ وما تَرَكَت سُودُ اللَّيَالِى الغَوَاضِبُ
رَضِينَا .. لأَنَّ الموْتَ حَتمٌ مُقَدَّرٌ ونَحْنُ بهذَا الدَّهْرِ عَبْدٌ مكاتَبُ
نروِّع بالآلام .. لكن نغَالِبُ ونُسحَر بالأَحْلَام والعُمر لَاحِبُ
نُغنى وكأس الموْت فَوْقَ شِفَاهنَا ونسمُر والعُمْر المُقَدَّرُ نَاضِبُ
ونَهرَبُ من كَأْسِ المنُون وشُربهَا وكُلّ الَّذِى فى الكَوْن للكَأس شَارِبُ
وتَطْلُبُنَا الاجَال فى كُلِّ لَحْظَةٍ وما أَسْرَع المطْلُوبَ .. والموْتُ طَالِبُ

* * *

سعد عبد المقصود ظلام
عميد كلية اللغة العربية
بجامعة الأزهر — القاهرة

كلمة الأسرة

للسيدة يمنى الباقورى

نحمدك اللهم حمد المؤمنين الآمنين حمدا يستدفع عن أهل الإيمان أهاويل البلواء ويستبقى أفاويق النعماء .

ونصلى ونسلم على سيد ولد آدم سيدنا محمد بن عبد الله إمام المتقين وخاتم الأنبياء والمرسلين .

جال بخاطرى وأنا فى الطريق إلى مجلسكم الموقر أول ماكتب أحمد حسن الباقورى من شعر راثيا فيه المرحوم الأستاذ أمين الرافعى حيث قال :

عزيز على من كان بالأمس ما دحًا
أمينا معافى أن يرى اليوم راثيا
ولكن متى كان العزيز على الورى
عزيزا على الدهر الذى ظل قاسيا

وجدت فى هذين البيتين التعبير الواضح عن بعض ما يعتلج به صدرى من مشاعر كثيرة ـ فلا شك فى أنه عزيز على نفس أن أقف مثل هذا الموقف ، وفى ذات المكان الذى طالما أحبه أبى أحمد حسن الباقورى

لقد كان الباقورى عالم لغة من الطراز الأول ، فهم العربية حق الفهم ووقف على أسرارها ، وحفظ كتابها الأول منذ نعومة أظفاره وظل يحفظه حتى فارق الحياة ، وكان يعتبر حفظه له الفضل الأكبر من الله عليه .

وكان عالما بتفسير القرآن الكريم ودارسا جيدا للفقه الإسلامى وكان أيضاً راوية حديث يحفظ أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ويحفظ كثيرا من أسانيدها وله علم كبير بتاريخ الرجال فيها وكان يحفظ من مأثور أقوال العرب شعْرا ونثْرا ـ شيئا كثيراً يجيد استدعاءه من الذاكرة فى مناسبته كأنه يقرأ من كتاب مفتوح .

وكان داعية إلى ربه منذ كان يافعا داعية لا يشق له غبار وكان الباقورى

عالم تاريخ وكان أكثر علما بتاريخ الإسلام فى القديم والحديث .

كان الباقورى يحمل فى عقله وقلبه مواهب متعددة ، تظنه حين يعرض لواحدة منها أنه لا يملك سواها لشدة تفوقه فيها . لكنك لا تلبث أن تعرف أنه متفوق فى مواهب أخرى كثيرة .

ولعل حضراتكم تعرفون الكثير عن أحمد حسن الباقورى أكثر ما أعرفه ولكنى اليوم عندما أتحدث عنه راثية إنما أنا فى الواقع أرثى كيانى الداخلى والخارجى . فقد كان الباقورى الأستاذ والقدوة والصديق والأخ والأهل والحبيب ، وقبل هذا وبعده كان الأبَ الحنون العطوف . .

كان الباقورى يتأسى فى حياته ومعاملاته بأخلاق سيد البشر سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فقد كان محبًّا له يتخيله فى كل تصرفاته ويقتدى به فى كل أعماله فلم يعرف فى حياته غطرسة ولا كبرياء بل كان البيت يكسوه الهدوء ويظلله الوئام ، كل واحد فيه يحرص على مرضاة الآخرين وهو على غير تعمد أو اصطناع قدوة الجميع فى هدوئه وأدبه وأخلاقه . لم يبد الباقورى تبرماً ولاضيقاً عندما اختار الله أولاده الذكور فى طفولتهم ولاشك أنه كإنسان كان يتمنى ذلك ولا بأس عليه فى هذا التمنى وقد تمناه رسول الله من قبل كان البيت معموراً .

بالعطف والحنان يجلس هو معهم صديقا ومعلما وناصحا ، وكثير ما كان يطلب من واحدة منا أن تقرأ له ، لا لأنه سئم القراءة ومل الاطلاع ولكنه ليدربنا على قراءة الكتب الإسلامية ، فهو درس منه لنا على غير شعور منا - فلم تكن مجرد قراءة وسماع ، بل كان يشرح ما يقرأ ويوجه أنظار القارئة والمستمعة إلى مايحوى الحديث من عمق العظة ، وجمال التعبير ، وصحة المنطق ، وقواعد اللغة .

وأذكر أنه فى سنواته الخمس الشهيرة والتى يحلو للبعض أن يسميها بسنوات المحنة ، وإن كنت أعتقد أنها سنوات منحة . . . منحة الله للباقورى ، فقد بعد عن حلبة السياسة فى فترة اتخذت فيها قرارات كان يصعب على الباقورى الموافقة عليها . أذكر أننى كنت آنذاك فى حوالى العاشرة وأراد أبى أن يوجه نظرى إلى حفظ القرآن ، فكان يطلب منى أن أُسْمِعَهُ بعض آياته خوفا من أن يكون نسيها ويكررها على مسمعى

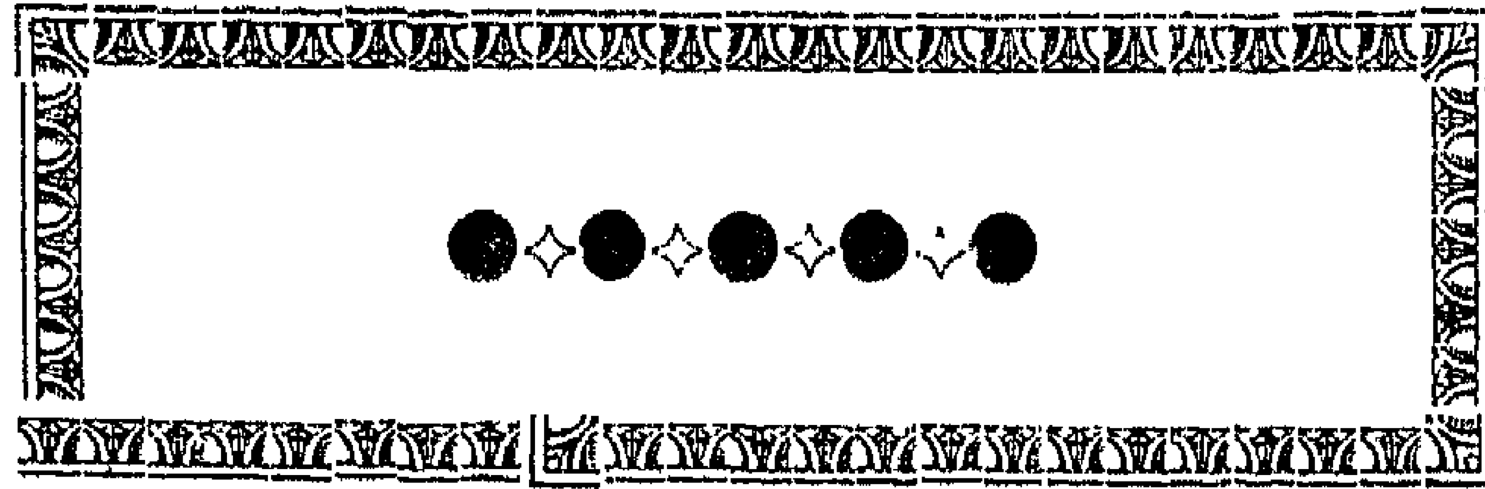
أكثر من مرة حتى عرفت فيما بعد – وبعد أن كدت أحفظ أكثر كتاب الله – غرض أبى . فهو لم يلجأ فى يوم من الأيام إلى الأمر ، فكان دائماً عطوفاً بغيرلين قويا بغير تجبر .

ولهذا كان كل فرد من أفراد الأسرة يشعر نحوه أنه صديق وأخ ووالد ولا تتوافر دائما فى الأخ والصديق هذه الثقة ، وكل هذا الإخلاص . وبهذه الطريقة استطاع أن يُذهب من نفوسنا الرهبة ولكنها لم تذهب الهيبة والاحترام

ويحضرنى الآن قول أبى الغالى قبل انتقاله إلى بارئه محدثاً أمى :

لا تجزعى لا تجزعى وإذا سألت فاسألى الله ، ولن يتخلى الله عنك لأننى لم أتخل عنه . وكانت هذه هى وصيته الأخيرة وكأنه أراد أن نطمئن جميعا إلى الدنيا لأن الله معنا – وإنى إذ أشكركم سدنة الفصحى على حسن استماعكم وسعة صدوركم لأرجو أن تغفروا لى تطاولى فى الحديث إليكم ، ولكن عذرى أننى عندما أتحدث إلى حضراتكم فإنما أتحدث إلى أب كريم أو عم عزيز أو أخ غال .

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته



كلمة ختامية للدكتور ابراهيم مدكور

رئيس المجمع

أيها السيدات والسادة :

إننا اليوم ونحن نودع الباقورى فإنما نودع علماً من أعلام اللغة والبيان ، ونودع رجلا من رجال الدين دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، نسأل الله العلى القدير أن يسبغ عليه ظلال رحمته ، وأن يوسع له فى جنته بقدر ما أسدى لوطنه ولأمته .

وفى الختام لايسعنى سوى أن أتقدم إليكم جميعاً بالشكر العميق على تفضلكم بالحضور واستماعكم إلى ما ألقى فى هذا الحفل من أحاديث وكلمات .

وسلام عليكم من الله ورحمة وبركات .



كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتى سادتى

ودعنا شيخاً جليلا وعالماً فذا فى علوم التاريخ واللغة ، وهب نفسه للعلم منذ الصغر ووقف حياته على بحوثه وأفكاره التى لم تتوقف على إنتاجه الشخصى فحسب ، بل كان له دورٌ فعال فى مجلس المجمع ومؤتمره ولجانه ولقد فقد المجمع بفقد الزميل الأستاذ محمد عبد الله عنان فارساً لا يشق له غبار فى شتى فنون العلم والمعرفة .

ويتفضل الآن الزميل الدكتور حسين مؤنس بالقاء كلمة المجمع فى تأبينه .



كلمة الدكتور حسين مؤنس

في تأبين المرحوم الأستاذ

محمد عبد الله عنان

سيدى رئيس المجمع .

سيداتى وسادتى :

عندما أمثل أمامكم لأرثى صديقى وزميل الدرس والفكر محمد عبد الله عنان أشعر أننى أرثى نفسى فى نفس الوقت ، لأن الصلة بينى وبينه كانت صلة زمالة واشتراك فى العمل ومشاركة فى الاهتمامات والهموم . وفى العادة عندما يموت واحد من أصحابنا الأعزة نشعر أن جزءاً منا قد مات ، لأن المرء بأترابه وبأصحابه وأبناء جيله الذين عاش وعمل وسعد معهم ومن خلالهم .

فى حالة مثل هذه لا أظن أنكم منتظرون منى المعلومات التقليدية عن المولد والدراسة ومراحل الحياة والعمل فهذه وفاها حقها الأستاذ على النجدى ناصف عندما استقبله باسم المجمع عند دخوله إياه ، ولكنكم تنتظرون منى أن أحدثكم عن حياتى مع محمد عبد الله عنان أديباً وصحفياً ومؤرخاً وكيف كان يعمل فى تلك الميادين الثلاثة التى أنفق فيها عمره وجهده ، وتلك أيضاً هى الميادين التى أنفق فيها جهدى وعمرى .

وصلتى بالأستاذ عنان ترجع إلى الثلاثينات من هذا القرن عن طريق مجلة السياسة الأسبوعية أولا ولجنة التأليف والترجمة والنشر ثانياً ، وفى كلا الميدانين كان هو الأستاذ المستقر فى مكانه وعمله ، وكنت أنا وأمثالى فى عداد الحائمين حول الحمى باحثين عن ثغرة ننفذ منها إلى العالم الذى كنا نحلم بالدخول فيه . ففى

السياسة الأسبوعية كنا ننتظره حتى يقبل وبيده مقاله الأسبوعي فى السياسة الدولية وكان ثانى فرسانها بعد محمود عزمى فى تلك الأيام . وكان محمد عبد الله عنان أيامها شاباً فى بداية الثلاثينيات من عمره : صغير الحجم خفيف الروح سريع الحركة ، يقبل فيجدنا فى انتظاره للفرجة عليه لا للحديث معه . وأين كنا وأين كان !

كان هو من الواصلين أصحاب الإمضاءات فى عالم الصحافة ، وقد حاول واحد منا يوماً أن يسأله فى شىء مما كتب عن رجل من رجال السياسة الأوروبية يسمى شتريزمان ولا أنسى ملامح الاستغراب التى بدت على وجه عنان عندما سمع زميلنا يتكلم فى السياسة الخارجية . وهى عند عنان مجال الأساتذة الكبار دون غيرهم ، فقد كانت تلك سنوات ما قبل الحرب العالمية ، وموسولينى قد استقر وغزا الحبشة وأخذ يتطلع إلى اليمن ؛ أما أرتيريا فكانت فى يده . وكانت تلك كذلك أيام هتلر الصاعد وخطاباته النارية تثير الرعب فى القلوب وعنان كان يعرف الألمانية . فهو يكتب عن علم ، وكان يقرأ التايمز والطان والفيجارو ، ولهذا فهو بحر ، وكيف يجرؤ هذا الشاب على أن يخوض فى بحر عنان؟

فكان رده على الشاب جافاً مقتضباً ، ثم استدعاه رئيس التحرير الدكتور هيكل فأسرع إليه ، وكان عنان من رجال محمد حسين هيكل المقربين إليه ، وكنا نحن الشباب لا نحب هيكل ولا صاحبه محمد محمود باشا . فقد كانت تلك أيام وزارة محمد محمود واليد الحديدية وتأديب الشعب المتمرد . وكان جيلنا لا يهتم بالسياسة الدولية . لأن بلدنا مصر كان من ضحاياها . وأصحاب تلك السياسة إذ ذاك كانوا جماعة من قطاع الطرق . وإذا كان هتلر نمراً مخيفاً يهدد ويتوعد فإن رجال حزب المحافظين البريطانيين كانوا ثعالب وذئابا يمثلهم فى بلادنا لورد سخيف صبيانى التصرفات يسمى لويد جورج ويمثلها فى بريطانيا أمثال تشيرشل وإيدن وإيرنست بيفان ومن على شاكلتهم . ولكن محمد عبدالله عنان كان كاتباً صاحب أسلوب وعنده علم كثير وجدية فى الكتابة . ومن ثم فقد كنا نقرأه إعجاباً به لا بما يكتب .

ولكن صلتى بعبدالله عنان فى لجنة التأليف الترجمة والنشر كانت أوثق وأكبر . فهنا كنت ألقى عناناً المؤرخ والأديب ،

ولم يكن قد دخل ميدان الأندلسيات دخوله الشامل بعد، وإنما أنا كنت معجباً جداً بكتابيه عن الجمعيات السرية وعن مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام . وهذا الأخير كان فعلا من الكتب الجيدة التى تأثرت بها كثيراً .

* * *

وتمضى السنوات وأذهب إلى أوروبا وأعود منها متخصصاً فى التاريخ الأندلسى ، والتقى بمحمد عبدالله عنان فى لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فأجده قد فرغ أو كاد من ترجمة كتاب يوسف أشباخ عن الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين وكنت أعرف الكتاب وهو عندى فى لغته الألمانية ، وكنت أراه كتاباً مجيداً وعسيرا على القراءة ، فأعجبت بعنان وعلا مقامه فى نفسى ، وبدأت الصلة الوثيقة بينى وبينه . وبدأ عنان يوغل فى دراساته الأندلسية ليكتب تاريخ الأندلس الذى يخلد ذكره ويضعه فى مكانه الحق فى تاريخنا الفكرى والعلمى . وكنت قد زرت أسبانيا وبدأ اتصالى المباشر بالمستشرقين فيها سنة ١٩٤٠ ، ثم زرتها فى صيف ١٩٥٠ لأدرس إمكانيات إنشاء معهد للدراسات الأندلسية فى مدريد ، وعدت إلى مصر بزاد وافر من الكتب والمراجع الأسبانية ، ولقيت الأستاذ عنان وحدثته بتجربتى وما عندى . فأجد الرجل الذى كان يقارب الستين من عمره يدرس الأسبانية ويقرأ كتبها دون صعوبة ، فيزداد إعجابى بهذا الرجل القوى العزيمة الذى تخلى عن كل اهتماماته الصحفية والأدبية ليهب نفسه لتاريخ الأندلس . وكان كتابه عن ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى قد طار صيته وطبع ثانية وثالثة ، وكان الدكتور طه حسين قد تولى وزارة التعليم فحدثته عما كان الأستاذ محمد شفيق غربال قد عهد إلىّ فيه من كتابة مذكرة فى موضوع معهد مدريد . وطه حسين ـ بروح المبادرة التى كانت فيه والفروسة التى امتاز بها فى العمل ـ قد أنفذ قرار إنشاء المعهد وعهد فى الإنشاء إلى أخى وأستاذى د . سليمان حزين ، وحسنا فعل فإن د . حزين بالموهبة الإدارية وملكة التنظيم والروح العلمية التى هى بعض أدواته عرف كيف ينشىء المعهد على أساس علمى متين ، وأذهب إلى أسبانيا فى صيف ١٩٥١ لكى أزور مكتبة الاسكوريال

ومكتبة دير شانت مانقش (سيمانكاس) قرب بلد وليد فى شمال أسبانيا ، وهناك ألتى د . عبد العزيز الأهوانى رحمة الله عليه وكان عضواً فى هيئة المعهد ، ونتفق معاً على أن نتلاقى فى الأسكوريال وننزل فى فندق ميراندا هناك ، وننزل إلى قاعة الطعام فنجد هناك عبد الله عنان : تجشم الرحلة إلى الأندلس ليتقن الأسبانية ويطلع على الأصول . ونشترك فى العمل فى مكتبة دير الأسكوريال . وأقول لعنان : إننى ذاهب من هنا إلى سيمانكاس لأطلع على الوثائق العربية فى ديرها فيصر على أن يصحبنى إلى هناك . وكنا فى أوائل سيبتمبر وقد أهلت بوادر الخريف . وسيمانكاس كما يعرف أصحابنا وزملاؤنا فى الأندلسيات — وخاصة الدكتور محمود على مكى أخى وزميلى فى الأندلسيات — بلد صغير جدا ليس فيه إلا الدير تقريبا وفى هذا الدير الجليل فى تلك البلدة الصغيرة الباردة الروح والجو إلى الغرب من بلد وليد. أخذنا فى العمل ، وتصادف أن أهلّ الخريف مبكرًا ذلك العام . وهطلت الأمطار الغزار وهبت رياح عاتية ، ولم يكن أحد منا قد تأهب لذلك كله بمعطف . ويذهب الأستاذ عنان ويشترى غطاء رأس من الطراز الأسبانى المعروف فى أوربا باسم البيريه وفى أسبانيا باسم البوينا . ومن ذلك اليوم لم أره إلا بهذه البوينا التى أصبحت علماً عليه . حقاً لقد سبقه إليها توفيق الحكيم ولكن بيريه الحكيم كان من النوع الأنيق الواسع الحافة الذى يسميه الفنانون الفرنسيون La pampluche .

وفى تلك المناسبة رأيت من إصرار عنان على الدرس والبحث مازادنى به إعجاباً وله حباً . فقد كان نومنا فى نزل صغير تديره سيدة طيبة القلب تسمى سنيورا رافاييلا . وكانت قاعدة المطالعة فى الدير كلها من الحجر ولايدفئة شيء ومجموعات الوثائق تصلنا فى عُلَبِها وعنان وأنا فتصفح وتقرأ ونقيد تحت إشراف رهبان من الفرانشسكان لايصرفون النظر عنا أبدًا ، والفرنشسكان على مانعرف أسود فى ميادين حرب المسلمين . فكأنهم كانوا ينشددون فى مراقبتنا خوفاً على الوثائق منا . فكنا نتعمد تخطى الوقت المحدد لنستسير حفيظتهم ، ثم نعود بعد غروب الشمس ونحن ترتعد من البرد . ويحين موعد العشاء متأخرًا . وندخل فى العاشرة قاعة تشبه قاعة الطعام فى السجون . والسيده رافييلا تضع أمام كل منا طبقاً

متواضعاً حزينا يسمى البيمنتا فريتاكون أويفو plimictnta fritaconfiuevo

(فلفلا روميا مقليا بالزيت مع بيضة)

ورغيف خبز جافى القشرة لو ضربت به الحائط لارتد إليك ، وتعقب ذلك إماموزة أو تفاحة . ثم ننهض ونحن أجوع مما جاسنا ثم يدعونا رئيس الديارين للعشاء ذات يوم ليستطلع حقيقة أمرنا فى الغالب .. ونجلس مع الرهبان فى قاعة مجلدة بالخشب مدفأة بنار الخشب ، ويدورون علينا بحساء ساخن جميل ثم طبق مفعم بالمكرونة وقطعة طيبة من اللحم . والختام سبت فاكهة لامجرد موزة أو تفاحة يتيمة . وفى أثناء ذلك يتناول الرهبان أكواب النبيذ وعلائم الصحة والعافية على وجوههم ويقول عنان لكبير الديارين : أهذا أيها السادة طعامكم فى الغداء والعشاء؟ ويقول الرجل فى أدب جم : نحن نعرف أننا ظلمناكم بهذا الطعام المتواضع ، ولكن هذا هو كل ما تسمح بتقديمه نظم هذا الدير القاسية . وفى أثناء عودتنا إلى النزل ، وكل منا منكمش فى نفسه واضع يديه فى جيوبه من شدة البرد يقول الأستاذ عنان :إذا كان هذا طعام الديارين المخشوشنين فماذا يكون طعامنا إذن ؟

وبعد انتظام العمل فى معهدنا فى مدريد واستقراره ابتداء فى سنة ١٩٦٠ أصبحت زيارة الأستاذ عنان لأسبانيا موسماً سنوياً نحتفل به ابتداء من شهر مايو ، كان يتحمل نفقات رحلته كل عام وإقامته على مدى شهرين وقد تستطيل إلى ثلاثة . وكان له فى دار المعهد القديمة ركن معروف وخاص به ، وعندما انتقلنا إلى الدار الجديدة للمعهد خصصنا له مكتبا جميلا عند مدخل المكتبة الأوروبية . وهذا العلامة الصديق الكريم يأتى كل صباح فى التاسعة بانتظام . ويظل يعمل فى مكتبه حتى الثانية بعد الظهر . ثم يذهب يتغدى ويعود فى الرابعة ليعمل إلى السابعة ، وقد نتغدى معاً ، ولكنه كان يفضل أن يكون الاجتماع على طعام العشاء ، لأن الناس فى أسبانيا إذ ذاك كانوا يستأخرون فى العشاء إلى العاشرة . فينفسح المجال للحديث فى شئون التاريخ والحضارة الأندلسية ، وكان هو إذ ذاك يؤلف تاريخه العام للأندلس ، وهو كتاب عظيم حقاً استكمل فيه على مدى سبع مجلدات شاملة لإعادة النظر فى كتابه عن ديوان التحقيق والمحاكمات

الكبرى ، ومع أن محمد عبد الله عنان لم يدرس التاريخ فى الجامعة إلا أنه دل فى كل كتاباته على ملكة تاريخية أصيلة فهو يقرأ كل المادة المتجمعة له بالعربية أو الأسبانية أو الإنجليزية أو الألمانية — وكان يجيدها جميعاً ، فإذا أحس أن المادة قد اكتملت له ليكتب فصلا من الفصول جلس يكتبه . وهو يكتب دائماً على ورق صغير ، ولا تكون كتابته إلا بقلم الكوبيا وكنا نتعجب لأن أقلام الكوبيا اختفت من الدنيا كلها وأبقيت عند عنان ، وكان يكتب بخط صغير دقيق ولكنه جميل القواعد كأنه سلاسل الذهب . وقلم الكوبيا الواحد كان لابد أن يكفى لكتابة مجلد كامل . وكان يستمر فى الكتابة به حتى إذا انبرى وعسر الإمساك به أخرج ماسورة معدنية دقيقة خاصة لأقلامه تلك ولَبّس القلم الصغير فيه ومضى يكتب . ونادرًا ما كان يشطب أو يكشط أو يغير شيئاً مما كتب ، لأنه لم يكن يكتب إلا إذا اكتملت العدة ، وهو تقليدى جدًا فى كل ما يعمل ، فطبعة نفح الطيب القديمة التى خرجت من مطبعة بولاق هى الوحيدة التى يرجع إليها دون نظر إلى طبعة لايدن التى كنا نستعملها جميعاً . وهو لايستعمل الطبعة الجديدة من كتاب الاستقصا فى أخبار دول المغرب للسلاوى ولكنه لايرضى إلا بالطبعة القديمة وكذلك الحال مع مقدمة ابن خلدون وتاريخه . وكتبه تخرج إلى الناس فى ثوب واحد : الغلاف الأزرق والورق الجيد ، ولا أعرف له كتابا بغير هـذا اللون والهيئة . وناشره مكتبة الخانجى ولا يرضى بغيرها بديلا .

وكان لمحمد عبد الله عنان موقف ثابت من جماعة المستشرقين من أمثال ليفى بروفنسال وغرسية غومس ، ولكنه كان يحب ميجل آسين بلاثيوس ورامون منندث بيدل وأنخل جونثالث بالنثيا . والسر فى موقفه من بروفنسال وغرسية غومس أنه كان يحس عندهما تعصباً واستعلاء . وبالفعل لم يكن هناك اتصال علمى بين ليفى بروفنسال وعبد الله عنان أما غرسيه غومس فقد كان له من الإسلام والحضارة الإسلامية موقف غير حميد ، مع أن كل ما وصل إليه كان بفضل اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، فقد تبناه آسين بلاثيوس وأدخله المجمع الملكى الأسبانى ليحل مكان خليان ريبرا ، وكان ريبرا إنساناً عظيماً وعقلا وهاجاً . كان يجيد العربية قراءة ولايحسن تقويم

جملة واحدة فى الحديث أو الكتابة ، ولكن ذهنه الصافى كان يفتح له مغاليق المخطوطات ويهديه إلى اكتشاف حقائق بشىء يشبه الإلهام كما نراه فى كلامه على الموسيقى الأندلسية والأصول الإسلامية للعدالة والتشريع والقانون فى مملكة أرغون ولمحاته العجيبة عن ديوان ابن قزمان . وأما غرسيه غومس فأكثر ما يميزه إحساس دقيق بالشعر العربى ومعانيه وملكة أدبية فى الكتابة جعلاته من أدباء أسبانيا أصحاب الأساليب الجميلة فى أيامنا هذه . وكان قد زار مصر شاباً ولقى شيخ العروبة أحمد زكى باشا وخف على قلبه فجعله من الجماعة التى يلقاها كل يوم فى داره فى الجيزة . والرجل تعلم فى مصر وأفاد منها كثيراً ، ولكنه عاد إلى بلده دون أن يتمرن المران الكافى على الكلام بالعربية . وأصبحت تلك مشكلته الكبرى فى علاقاته بنا وبالأجيال الشابة إذ ذاك من المستشرقين الأسبان . لأننا بعد أن أصبح لنا فى الدراسات الأندلسية معهد ومجلة منتظمة ونصيب واضح وصوت مسموع ، ساعدنا فى إنشاء طراز جديد من المستشرقين الأسبان : طراز يتعلم فى جامعاتنا ويختلط بنا ويشبابنا ويتتلمذ علينا كما يتتلمذ على أساتذته الأسبان ، ويعود إلى أسبانيا وهو يتحدث العربية كما يتحدثها أترابه من الدارسين العرب ويرتبط بروابط الصداقة والصحبة مع شبابنا الدارسين ، ويتجه فى دراسته إلى الأدب العربى المعاصر وإلى العرب المعاصرين ومشاكلهم دون الاقتصار على دراسة الماضى وحده . وهذا الشباب الأسبانى الجديد يرتبط بنا أكثر مما يرتبط بغرسيه غومس وجيله ، ومعهد الدراسات الإسلامية فى مدريد يصبح أحب إلى قلبه وأقرب إلى مزاجه من مدرسة الأبحاث العربية La Escuela de Estudios Arabes التى تعرف كذلك بمعهد ميجيل آسين nolitulo notitetts niguel asin

وهنا تشتد أزمة غرسيه غومس وجيله ومدرسته . فهو يحس أن مركزه كسيد الدراسات الأندلسية دون منازع قد تزعزع ، والمسئولية فى ذلك – كما رأى هو – تقع على عاتق معهد الدراسات الإسلامية ومن ينتمى إليه . وكان الرجل يستعد لمغادرة أسبانيا ليعمل سفيراً لبلاده فى العراق فيما أظن ولكنه يظل متربعاً على عرش

الدراسات الأندلسية وممسكا بخيوط السيادة ويتشبث بالسيطرة الكاملة على مجلة الأندلس Al Andalus التى تنشر الأبحاث التى يكتبها الباحثون الأسبان من المدرسة القديمة -مدرسة النظر إلى العرب والمسلمين وحضاراتهم على أنهم شعب دارس مضت أيامه ، وحضارتهم انتهت بلا رجعة . وكانت مجلة الأندلس مجلة جليلة جدًا ولكن دراساتها متحفيه ، وحتى إذا كتب غرسية غومس فيها بحثاً عن طه حسين مثلا فهو لايرى فيه إلا حارساً من حراس الماضى .

وكنا نحن غسوس غرسية غومس قدر جهدنا لأننا ذهبنا إلى مدريد لننشىء علاقات لا لكى نقطع علاقات ، ولكن محمد عبد الله عنان غير ملتزم بمثل هذه الاعتبارات ، وهو باحث عربى مصرى مسلم ، ومن زاويته تلك ينظر إلى الأشياء ويكتب التاريخ ، وهو يرى أن كل تراث الأندلس الإسلامى ملكه . وليس من حق غرسية غومس - بصفته أميناً على المخطوطات العربية فى مكتبة أكاديمية التاريخ فى مدريد - أن يحتفظ لنفسه بمخطوطات عربية ، ويقول إنه يريد أن ينشرها وهو لن ينشرها قط ، ويحتاج عنان لواحد منها وهو جزء قيم من تاريخ ابن حيان يدور على سنوات طويلة من حكم الحكم المستنصر ، ولاغنى لعنان عن هذا المخطوط لأنه يصل فى تاريخه إلى عصر الناصر لدين الله والحكم المستنصر ابنه . ولكن غرسية غومس يرفض الإذن له فى الاطلاع على المخطوط . وأذهب معه إلى مدرسة الأبحاث لمناقشة غومس ، وأنا أتحدث فى رفق محاولا إقناع الأسبانى العنيد ولكن عنان يرى أن هذا الرجل مخطئ متعصب وأنه مخطىء كل الخطأ فى موقفه هذا ، ومن حق عنان وأى باحث آخر أن يطلع على ذلك المخطوط ، ويقف غرسية غومس غاضبا ويقول لعنان : إن هذه المخطوطات ليست ملكاً لك وأنت مخطىء إذا أنت وقفت منى هذا الموقف ، وأنا لن أتنازل عن حقى العلمى وسأحيل الأمر إلى مشكلة سياسية ! . . وقد بالفرنسية ، ويقف غرسية غومس وقد استبد به الغضب . والأسبان فيهم مثل تلك الحالات : الغرور والعنف وحدة اللسان . وتصدر عنه كلمات لاتليق ، ويبادله عنان حدة بحدة وأخيراً يقول غومس بصوت يرتجف من الغضب : أنت أيها السيد تأتى إلى بلدنا اتهيننا . وأنا

الآن لن أسمح لك باستعمال أى مخطوط من أملاك أكاديميتنا ، وإذا كنت أنت عنيدًا كالصخرة فأنا عنيد كالبغلة

Si Ud es terco como una roca soy yo cabezudo cms una mula

ويسمع عنان لفظ «البغلة» ويحسب أن الرجل أهانه . ويصك الرجل بكلمة لا أذكرها ولكنها كانت بالفعل فى غاية العنف . وننصرف وعنان لايكاد يملك نفسه غضباً وحمية . ونذهب معاً إلى مطعم لنتناول العشاء ولكنه لايأكل لأنه كان مشغولا بفكرة اتخاذ إجراءات رسمية حيال غومس .

ومثل هذا الموقف . يكشف لنا عن الكثير من خصال عنان ، فهو رجل جاد صارم ، وهو صلب عنيدلايتنازل عما يرى أنه حقه ، وهو محام يؤمن بالقضاء والمحاكمات ، وككل محام يتحول كل خلاف عنده إلى قضية هو محاميها الذى لا يهدأ له بال حتى يكسبها .

* * *

وأظن أن هذا الحادث كان له أثر بعيد فى نفس عنان . لقد ظل يتردد على أسبانيا ليدرس ولكن اهتمامه يتجه إلى المغرب .

لقد استمر يأتى إلينا فى مدريد كل عام ، وكان يشاركنا مشاركة فعالة فى دورات الأبحاث الأندلسية التى كنا ننظمها فى أسبانيا كل عام : كان معنا فى دورات غرناطة وقرطبة وبلنسية ، ولا أنسى مرحه ودعاباته ونحن فى بلنسية فى خريف عام ١٩٦٤ م . كان مرحًا سعيدًا ضحوكًا . وزادت سعادته عندما علم أن شابًا عراقيًا تمكن من اختلاس صورة من مخطوطة ابن حيان عن الحكم المستنصر وحققها ونشرها . وقد أثار ذلك كل كوامن الغيظ عند غومس ، وغضبه علينا جميعًا بما فى ذلك الدكتور مكى الذى كان إلى ذلك الحين يحبه ويعجب به ، فهو أستاذه وأعد دراسته للدكتوراه تحت إشرافه ، ومكى كان يعينه على ما يلقى من مشاكل النصوص العربية ويكتم معاونته عن الناس بما عرف عنه من الخلق الكريم ، ولكنه الآن عدو فى نظر غومس فهو المسئول عن تسريب المخطوط إلى الشاب العراقى .

لقد تغيرت الأحوال الآن بيننا وبين غومس . فقد عرف مع الزمن أننا لسنا أعداءه ، وأنه ليس سادن التراث الأندلسى

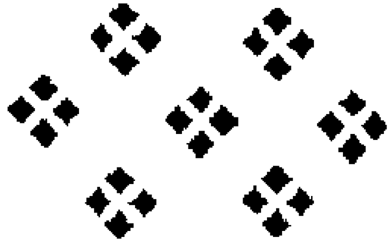
وأن أهل العلم أسرة واحدة ، وقد اجتهدت في ذلك ، وفي آخرة كنا في مدريد ، دعانا للعشاء عنده وذهبت مع أخي الدكتور مكي حيث استقبلنا حفيًّا ، وأهدانا ثلاث نسخ من كتاب بديع صغير ألفه عن ابن قزمان : واحدة لي وواحدة لمكي والثالثة لعنان . واتصلت به واتفقنا على اللقاء في مكتبة الخانجي وحدثته بما كان وقدمت له النسخة. فأخذها ووضعها في حقيبته وقال : لا تحدثني عن هذه البغلة !

* * *

رحم الله محمد عبد الله عنان ، فقد كان شخصية فريدة في بابها . كان عاملًا صبورًا دؤوبًا لا يكل ، وكان رحالة لا يكل عن الرحلة ، وكان رجلًا صلبًا ذا عزيمة ، ترك المحاماة إلى التاريخ وأبدع فيه وخلف لنا تراثًا مجيدًا في التاريخ الأندلسي وكتبا أخرى كثيرة في التاريخ الإسلامي ولكنه ظل في قرارة نفسه محاميًا يتناول تاريخ الإسلام ومشاكله فتتحول في يده إلى قضايا هو محاميها . وهو محامي العروبة والإسلام .

لقد عمل في المغرب بعد ذلك سنوات طويلة وخلف هناك أثرًا باقيًا حتى لقد قال جلالة الملك الحسن : إنه ن أعاظم من عمل في المغرب من المصريين . وأتم خلال تلك الحقبة تحقيقه ونشره لكتاب الإحاطة في تاريخ غرناطة للسان الدين ابن الخطيب ، ودخل هذا المجمع الكريم يحمل زادًا من العلم هو مفخرة لنا جميعًا . وبعد الرابعة والثمانين كف عن الذهاب إلى المغرب ولكنه أعاد طبع كل كتبه القديمة وهي اليوم ذخرًا لمكتبتنا التاريخية وكلها ذات غلافات زرقاء وورق جيد يختاره هو بنفسه ،ويطبعها كلها تحت إشرافه ويعهد في توزيعها إلى مكتبة الخانجي . لا يبدل ولا يغير . وعنان هو دائمًا عنان .

حسين مؤنس
عضو المجمع



كلمة الأسرة ألقاها الدكتور محمود على مكى

السيد الرئيس

السادة أعضاء المجمع

سيداتى وسادتى

أود أن أعبر أولًا عن عميق شكرى لأسرة فقيدنا الراحل العظيم الأستاذ محمد عبد الله عنان على ما تفضلت به علىَّ حينما اقترحت أن أتولى الرد على كلمتى التأبين اللتين استمعتم إليهما من السيد الرئيس ومن الأستاذ الدكتور حسين مؤنس. لقد كانت هذه اللفتة الكريمة من جانب الأسرة تشريفًا لى حينما عدتنى فى صورة من الصور فردًا منها، وإننى حقًّا لأعد نفسى ابنًا روحيًّا لأستاذنا العظيم محمد عبد الله عنان ومريدًا من مريديه.

ومن ثم فإنى أقدم باسم أسرة الراحل العظيم خالص الشكر للمجمع الموقر على إقامة هذا الحفل لتأبين فقيدنا وفقيد العلم والفكر. وأخص بالذكر أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم بيومى مدكور رئيس المجمع الذى أذكر أنه كان أول المعزين فى وفاته وكانت كلمته تعبيرًا عن مشاعر جميع أعضاء المجمع وأسرته نحو زميل فقدناه وهو لا يزال موفور النشاط جم العطاء. ولا يفوتنى أيضًا أن أسجل خالص التقدير للكلمة التى ألقاها باسم المجمع الأستاذ الدكتور حسين مؤنس، ولا غرو فقد كان مؤرخنا وكاتبنا الجليل صديقًا وفيًّا للفقيد، ورفيقًا ملازمًا له فى رحلة الكفاح فى سبيل تحرر الفكر وأصالة الثقافة، وقد جمعتهما لسنوات طويلة صحبة حميمة وعمل مشترك فى ميدان واحد من ميادين الدراسة التاريخية، أبلى فيها كل منهما أحسن البلاء.

لقد كان محمد عبد الله عنان علمًا من تلك الأعلام الشامخة التى أرست فى مصر وفى الوطن العربى منذ مستهل هذا القرن أسس النهضة الفكرية الكبيرة التى آتت

أُكلها بعد ذلك، متمثلة فى الأجيال المتوالية التى قرأت له وتعلمت منه وترسمت خطاه

ولد فقيدنا الكبير والقرن الماضى موشك على نهايته، وتخرج من كلية الحقوق وهو فى العشرين من عمره، واشتغل بالمحاماة، غير أن الأدب والكتابة استهوياه منذ مطلع شبابه، فاشتغل بالصحافة، وسرعان ما لمع اسمه بصفته واحدًا من أعلام الكتابة وكان ينشر مقالاته فى عديد من الصحف على رأسها «السياسة الأسبوعية» إذ عهد إليه بتحرير باب السياسة الدولية والشئون العربية، فتألق اسمه إلى جوار أعلام الكتاب فى هذه الصحيفة من أمثال محمد حسين هيكل، وطه حسين، ومحمود عزمى وغيرهم. وأعانته إجادته الفائقة للغات الأجنبية الإنجليزية والفرنسية والألمانية على العمل فى ميدان الترجمة، فنقل إلى العربية كثيرًا من الآثار الأدبية الأوربية. ثم استهوته منذ تلك السنوات الكتابة فى التاريخ، وأغرته ثقافته القانونية الواسعة بأن يختار لدراساته التاريخية المبكرة تلك القضايا الكبرى فى التاريخ الإنسانى عربيا كان أو أوربيًّا. فأفرد كتبًا فى تاريخ المؤامرات السياسية وتاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، وديوان التحقيق، والمحاكمات الكبرى والمذاهب الاجتماعية الحديثة. كما أن حسه التاريخى الدقيق هداه إلى الاهتمام بتتبع المواقف الحاسمة التى كانت يتوقف عليها مصاير الدول. ومن هنا كان كتابه الذى ترجم إلى الإنجليزية «مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام».

وكانت عناية المثقفين خلال الثلاثينيات موجهة إلى تأصيل الروح القومية وتأكيد الاتجاه المصرى. وكان ذلك أمرًا طبيعيا إذ كانت هذه هى سنوات الكفاح من أجل الاستقلال. غير أن محمد عبد الله عنان استن لنفسه طريق العلم ليخدم به القضية القومية، لا عن طريق الاستشارة السياسية المباشرة، بل عن طريق البحث العلمى الخالص. وهكذا بدأ اتجاهه نحو التاريخ المصرى ينفض عنه الغبار، فألف فى هذا الميدان عدة دراسات تعد من أجل ما كتب فى التاريخ المصرى الإسلامى وأكثرها طرافة منها «مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية»، و «مؤرخو مصر الإسلامية»

و « الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية » ، و « تاريخ الجامع الأزهر » .

ومما يستحق التنويه أن الفقيد حينما نشر كتابه هذا عن الأزهر الشريف فى سنة ١٩٤٢ كان أول من دعا إلى الاحتفال بالذكرى الألفية لإنشاء الجامع الأزهر ، فقد وافق التاريخ الهجرى لهذه السنة وهو ١٣٦١ هـ ذكرى مرور ألف عام على تمام بناء هذا المركز العلمى العظيم ، غير أن دعوته لم تجد آنذاك آذانًا صاغية بسبب ظروف الحرب العالمية . ثم كرر هذه الدعوة فى سنة ١٩٤٦ وكانت توافق سنة ١٣٦٥ هـ . وهو التاريخ الألفى لبدء الحياة الدراسية الجامعية فى الأزهر فى صفر سنة ١٣٦٥ ، غير أن الحكومة لم تتحرك لتلبية هذه الدعوة التى كانت نابعة من غيرة محمد عبد الله عنان على تخليد هذه الصفحة المشرقة من تاريخ مصر والإسلام . وأخيرًا أثمرت دعوته حينما احتفلت مصر بالذكرى الألفية الميلادية لمدينة القاهرة ولبدء إنشاء الأزهر فى سنة ١٩٦٩ ، فكان ذلك الاحتفال الكبير الذى كان له صدى عالمى .

على أن محمد عبد الله عنان يغير مسار دراساته التاريخية منذ سنة ١٩٤٣ ، من ضيق الاتجاه المحلى المصرى إلى سعة الاتجاه العربى الإسلامى ، ولكنه وهو المؤرخ المؤمن بالتخصص يختار من هذا الاتجاه الإسلامى ميدانًا محددًا هو الدراسات الأندلسية ، وسرعان ما يتحول إلى واحد من روادها العظام . وقد كان تاريخ الأندلس دائمًا يستهوى الناس منذ أوائل هذا القرن ، غير أن كل ما كان يكتب فى هذا الميدان كان منطلقًا من اندفاعات عاطفية بعيدة عن دقة العلم ومنهجيته . أما محمد عبد الله عنان فقد عرف كيف يستكمل أدوات المؤرخ الجاد من معرفة دقيقة بالمصادر مطبوعة ومخطوطة ، عربية وأوربية ، ثم رأى أن المنهج لا يستقيم إلَّا إذا عرف مواقع الأحداث على الطبيعة ، فكانت رحلاته المتكررة إلى إسبانيا التى بلغت سبع عشرة رحلة منذ سنة ١٩٤٣ حينما أصدر المجلدين الأولين من موسوعته الكبرى فى التاريخ الأندلسى ، وخلال هذه الرحلات تعلم اللغة الإسبانية وأجادها قراءة وترجمة ورجوعًا إلى شتى المصادر والأبحاث . وبهذا أتم تلك الموسوعة الأندلسية الضخمة

التى شملت تاريخ الأندلس كله من الفتح حتى نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين هذا فضلًا عمَّا أنجزه من دراسات أُخرى فى الميدان ذاته ، مثل دراسته عن ابن خلدون وتراثه الفكرى ولسان الدين ابن الخطيب ، وما حققه من مصادر أندلسية ، مثل « الإحاطة فى أخبار غرناطة » ، و « ريحانة الكتاب » . وأضيف إلى ذلك كتابه عن « الآثار الأندلسية الباقية فى إسبانيا » ، وهو ثمرة رحلاته العديدة إلى هذه البلاد .

كان محمد عبد الله عنان رجلًا متجردًا للعلم يخدمه فى تبتل المتصوف ، وما أكثر ما كان يتجشم من المشاق فى تلك الرحلات من أجل الاطلاع على مخطوط نادر أو معاينة قلعة داثرة ، غير عابئ بكلف الأسفار ، ولا آلٍ جهدًا ولا مالًا فى سبيل خدمة العلم الذى وهب له نفسه . على أننا نحمد الله على أنه جزاه عن ذلك خير الجزاء ، فقد لقى فقيدنا الراحل من تكريم الدولة ، والعلماء ورجال الثقافة فى حياته ما هو أهل له ، إذ منحته الدولة جائزتها التقديرية فى سنة ١٩٧٦ ، ثم كان أعظم تكريم له هو انتخابه فى السنة نفسها عضوًا فى مجمعكم الموقر . وقد شارك منذ هذا التاريخ فى أعمال المجمع مواصلا جهوده فى خدمة التاريخ الأندلسى والمغربى حتى اختاره الله لجواره .

على أن ذلك العكوف على العلم لم يصرفه أبدًا عن واجبة حيال أسرته وأصحابه وتلاميذه . فقد كان نعم الزوج لرفيقة حياته وشريكة كفاحه . ونعم الأب لبنيه وأهل بيته ، ونعم الصديق لأصفيائه وخلصائه ، ونعم الأستاذ والموجه لتلاميذه والناهلين من فيض علمه .

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ، وألهمنا وألهمكم الصبر على المصاب فيه .

سيدى الرئيس .. سيداتى وسادتى

من جديد أوجه إليكم جزيل الشكر باسم أسرة الفقيد على هذا الحفل وعلى عزائكم الجميل فى مصابنا . وأوجه التحية إلى الأستاذ الدكتور حسين مؤنس على كلمته الرقيقة النابعة من صادق الود . وأبتهل إلى الله ألَّا يريكم مكروهًا وأن يجنبكم كل سوء .

محمود على مكى
عضو المجمع

في الساعة الخامسة من مساء الأربعاء ٢٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ (الموافق ٢٥ من فبراير سنة ١٩٨٧ م) اقام المجمع حفل تأبين للمرحوم الأستاذ على الفقيه حسن عضو المجمع .

وفيما يلى ما ألقى من كلمات فى الحفل :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

أيها السادة :

نودع اليوم شيخاً من شيوخ ليبيا وواحدا من رجال الرعيل الأول الذين دافعوا وناضلوا فى سبيل استقلال البلاد . وراع المجمعيين مع هذا الماضى القديم صمته وهدوؤه ، ورب صمتٍ أبلغ من كلام كثير . والصمت حكمٌ وقليلٌ فاعله ، وإلى جانب هذا الصمت امتاز فقيدنا رحمه الله بهدوء أخاذ وطمأنينة نفس محببة . ولم يخل هدوؤه وصمته دون أن يغذى المجمع بغذاء فيه ما فيه من عمق ودقة . وسيتولى الأستاذ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة كلمة المجمع فى هذا الفقيد الكريم ،والكلمة لسيادته .

(*) تم تأبين المغفور له الأستاذ على الفقيه حسن فى الجلسة الرابعة لمؤتمر المجمع فى دورته الثالثة والخمسين (مساء الأربعاء ٢٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ ، الموافق ٢٥ من فبراير ١٩٨٧م)

في وداع علي الفقيه حسن

للدكتور محمـد الحبيب ابن الخوجة

الحمد لله الأول الآخر الباقى الدائم بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . كتب على خلقه الفناء وأخبر أنه يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وصلى الله على محمد عبده رسوله ، أكمل خلقه وأخشاهم له وأقربهم منه ، أمر بالصبر ونهى عن الجزع ، وتلطف بالمؤمنين يبصّرهم ويواسيهم بقوله : تعزوا عن موتاكم بى ، وأيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بى عند المصيبة التى تصيبه بغيرى . وإن فى الله لعزاء من كل مصيبة وعوضاً عن كل مُرزِئة ، ودركا من كل فائت ، وخلفا من كل هالك

والصبر أجمل والدنيا مفجعة

من ذا الذى لم يجرع مرة حزنا

سيدى الرئيس حضرات الأساتذة ،سيداتى ، سادتى :ذهب فى الخالدين زميلنا المنعم الشيخ الوقور الحليم على الفقيه حسن ، العربى الليبى الطرابلسى عن ثمان وثمانين حجة قضى أغلبها فى مجالات العمل السياسى الوطنى داخل بلده طرابلس ، وفى العناية بالأدب العربى تعريفا وتأريخا ونقدا ، وفى الاهتمام بالفكر الإسلامى تخليدا وإذاعة ونشرا .

وقد انتسب المقدس المبرور الراحل الكريم إلى مجمعكم الموقر فترة لا تقل عن ربع قرن ، حيث صدر القرار الجمهورى السابع والخمسين سنة ١٩٦١ بتعيينه عضواً جملة أحد عشر علما من أعلام الفكر العربى والإسلامى .فقدنا من بينهم الشيخين الكبيرين والعالمين الكريمين محمدا البشير الإبراهيمى ومحمدا الفاضل ابن عاشور ، اللذين سبقاه إن شاء الله إلى دار الخلد فى جنات النعيم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وقد كان الفقيه ينتمى إلى أسرة عريقة فى المجد والعلم ينحدر طرفاها من

محتِدين كريمين وبيتين شريفين هما بيت الفقيه حسن ، وبيت الشيخ القرقني. ولم من أفراد عائلته والده القاضي العدل الشيخ محمد بن أحمد بن حسن ابن أحمد الفقيه حسن ، وعمه الماجد الفاضل الشيخ حسن بن أحمد الفقيه حسن ، وأخوه الشاعر المبدع رئيس الكتلة ومدير الأوقاف أحمد الفقيه حسن .

وكانت طرابلس مَنبتَه وهواه ، بها معاهد طفولته ، ومرابع شبابه ، ومستقر عزه ومجده . عاش بها مع أخيه أحمد الذى يكبره بثلاث سنين أحلى أيام الطفولة ، وأسعد أيام الشباب فلا غرو أن جاء ، على لسان شقيقه ولَهُه بها وترنُّمه :

بلد لبست به كساء شبيبتى
وظفرت فيه من الصبا بمرادى
فهواؤُه صنو الهوى ، ومياهه
ضرب ، وتربته الخصيبة جادى
والعيش حلو ، والحياة شهية
مع أسرتى فيه وأهل ودادى
واهـا لأيام صفت فى جوه
كالصحو بعد العارض المنقاد

فيها وفى ظل رعاية أبويه وصحبة أخيه تعلم على الفقيه حسن العربية والتركية وشدا قليلا من الفرنسية . وكانت اللغتان الأوليان فى حكم الأساسية فى الولايات العربية القديمة العثمانية ، واللغة الفرنسية لسانا تحفظه علية القوم والطبقة الراقية من ذوى المكانة والنفوذ يتميّزون به . وبطرابلس أيضاً كان إقباله على دراسة الفقه الإسلامى على كبار شيوخ العلم فى عهده .

ولما بلغ السادسة عشرة من عمره ذهب إلى الإسكندرية مع أخيه أحمد فأتقن بها علوم العربية وأسرارها ، ودرس الأدب وتمرس بفنونه وواصل دراسة الفرنسية ابتغاء إجادتها . وكان من الأساتذة الذين تعرف عليهم بثغر الإسكندرية وأفاد من دروسهم الأُستاذ فيليب عطاء الله .

وحين عاد إلى مسقط رأسه فى سنة ١٩١٩ ، بعد خمسة أعوام قضاها فى الدراسة والطلب ، أقبل على تعلم اللغة

الإيطالية وحذق آدابها ، وكأنه بهذه الألسن المختلفة العربية والتركيـة والفرنسية والإيطالية ، وبهذه العلوم المتنوعة اللغوية والأدبية والفقهية يعد نفسه لمعركة يعتمد فيها البيان لسانا ، والحق سلاحا ، من أجل أن ينازل الطليان ؛خصوم بلاده وأعداءه المغتصبين له والمستعمرين ،فيدافع عن وطنه وقومه فى كل الأصقاع وبكل لسان ومع جميع الأجناس ، ويسعى لتحقيق وحدة ، الأقاليم الثلاثة : طرابلس وبرقة وفزان فى نطاق بلده الكبير ليبيـا ، ويعمل لاسترداد العزة والكرامة واسترجاع الحرية السليبة ونيل الاستقلال .

وقد اضطلع بهذا الدور فعلا وعلى أكمل الوجوه ودعا إلى الوحدة ، وكان مع أخيه أحمد بطرابلس الغرب يواجه أحزابا سياسية مختلفة ذواتَ نزعات متباينة وتيارات متعددة ،بعضها كالاتحاد فهواه مع مصر يريد انضمام البلاد إليها ويرفض إمارة السنوسى ، وبعضها وهو نادى عمـر المختار كان لا يعنيـه غير العمل من أجل وحدة البلاد وخروج الطليان منها وتحريرها ، وحزب الجبهة الوطنية المكون من زعماء العشائر والمتميز بالنزعة المحلية والذى يعمل على استقلال برقة والالتفاف حول السنوسى .

ولما أعياهما الصراع ولم يستطيعا التعاون طويلا مع الزعامات التقليدية انفصل أخوه أحمد الفقيه عن تلك المجموعة وكون الكتلة الوطنية الحرة فى مايو ١٩٤٦ .وكان شعاره وحدةَ ليبيا وقيامَ نظام جمهورى .

وعندما تكونت لجنة التحقيق الرباعية بواسطة الدول التى عقدت الصلح مع إيطاليا ، وزارت هذه ليبيا بين شهرى مارس ومايو ١٩٤٨ كانت الحريات غير متوفرة بطرابلس . فاحتجزت السلطات البريطانية راحلنَا على الفقيه حسن ، حتى تحول بينه وبين الإدلاء برأيه أمام اللجنة . وبعد استقلال ليبيا١٩٤٩ وقيام اللجنة الدولية المكلفة بوضع نظام لتشكيل الجمعية الوطنية حاولت هذه استمالة صاحبنا مغرية له بإسناد رئاسة الجمعية الوطنية إليه إن هو وافق على أن يكون أعضاء هذه الجمعية معينين

لا منتخبين ، فأصر رحمه الله على موقفه من وجوب إجراء الانتخابات العامة بصفة شاملة على أساس تعداد السكان فى كل من الأقاليم الثلاثة ورفض فى إباء العرض المقدم إليه من اللجنة وأقصى عن كل نشاط سياسى بحل حزب الكتلة الوطنية الذى انتهت إليه رئاسته .

وبجانب هذه الروح الوطنية والجهادية التى قامت عليها الدلائل الثابتة وكان أساسها ذلك التكوين الدينى والعلمى ، والمنهج التربوى الرشيد الذى نشأ عليه فقيدنا فى طرابلس والإسكندرية ، نلمح لديه شعورا عميقاً بالإسلام والعروبة و بدون شك من أثر البيئة العربية المسلمة التى ترعرع فيها وحاطته بكل عناية فشب على تقديرها والاعتزاز بها وورث منها معانى وخصالا جعلته طوال حياته يدعو إليها ، ويبثها فى الناشئة وفيمن حوله من الناس رغم هذا الزمن العصيب المتطور الذى طغت فيه المادة بخيرها وشرها على كل شىء ، وضعفت فيه الهمم ، وذهب الوازع الدينى ، وانحلت الأخلاق ، وديست القيم ، وظهر التفسخ فى أكثر الأوساط حتى أصبح لسان حال مترجمنا وهو يحمل وقر هذه التغيرات المفجعات يردد قول الشاعر :

أتى الزمان بنوه فى شبيبته
فسرهم وأتيناه على هرم

غير أن هذا الوقع المرير لم يُشع فى نفسه يأسا بقدر ما ملأها كمدا ، وظل الحزن الدفين على ما أصاب بنى جلدته يدفعه إلى مضاعفة الجهد لتغيير ما بمجتمعه وبالمجتمع ، الإسلامى من انقطاع عن الأصالة وصدوف عن التراث . وجهل بالتاريخ ، واندماج غير حذر ولا محدود فى مقومات الحياة المعاصرة التى تكاد تعصف بكل شىء من أصول حضارتنا ومميزات مجتمعاتنا وتزرع بيننا ألوانا من الحقد والكراهية والغرور وحب الذات ، فلا تلبث أن تظهر آثارها السيئة الماحقة فى تقسيمنا وتضليلنا ، وبث الفرقة بين أبناء الأمة الواحدة ، وتمزيقنا حتى لا نقدر بعد ذلك على رأب الصدع وجمع الشتات وتوحيد الكلمة .

وبهذا الحافز الإيماني العقدى كان يتحرك على الفقيه حسن فى طرابلس وخارج طرابلس وكان يعجبه أن يتحدث عن سلطان المسلمين وهيمنتهم الفكرية ، والحضارية فى البحر الأبيض المتوسط . ومن أجل ذلك خص قرطبة بالتعريف بما بلغته من شأو وأدركته من منزلة ، وأشاد بالمنصور بن أبى عامر وعلمه وذكائه وحذقه وحسن سياسته ،وصوره لنا أفضل تصوير بما رواه لنا عنه من أبيات يقول فيها :

رميت بنفسى هول كل عظيمة
وخاطرت والحر الكريم يخاطر
وما صاحبى إلا جنان مشجع
وأسمر خطى وأبيض باتر
فسدت بنفسى أهل كل سيادة
وفاخرت حتى لم أجد من أفاخر
وما شدت بنيانا ولكن زيادة
على ما بنى عبد المليك وعامر
رفعنا العوالى بالعوالى مثلها
وأورثناها فى القديم معافر

كما نوه بصقلية التى فتحها القاضى القيروان القائد أسد بن الفرات صاحب الأسدية وراوى المسائل عن الإمام مالك ابن أنس رضى الله عنه . ووصفها بقوله : وكفى بأنها ابنة الأندلس فى سعة العمارة وكثرة الخصب والرفاهة وتحدث عن النهضة العلمية بها إبان الحكم العربى فذكر من قادة الفكر من العلماء والأدباء بها . الإمام المازرى الفقيه الكبير ، وابن القطاع اللغوى الشهير . والشريف محمد الإدريسى الجغرافى الرائد ، وعبدالجبار بن حمديس الشاعر المفلق ، ومحمد بن ظفر الصقلى النحوى اللغوى الأديب .

ولربما كان أكثر احتفاء واحتفالا بأعلام من رجال الثقافة العربية والإسلامية من لغويين وفقهاء نبتوا بليبيا ، وكتبوا ودبجوا من الآثار العلمية ، والمصنفات ما عم به النفع وعد من الأصول والمراجع بين عامة العرب والمسلمين وحتى غيرهم . وذلك كجمال الدين محمد بن المكرم بن منظور الأفريقى المصرى صاحب لسان العرب الذى حسبه أو أراده راحلنا طرابلسياً .

والشيخ محمد بن محمد عبد الرحمن الخطاب الطرابلسى صاحب مواهب الجليل على شرح مختصر أبى الضياء خليل فى الفقه المالكى .

وقد قوى هذه النزعة المحلية فيه فى التنقيب والتعريف برجالات طرابلس الغرب عبر مختلف العصور جهلُ الناشئة ببلاده كل شىء عن التراث الحضارى وتاريخ الفكر بليبيا : وتراجم رجالها . وإرادةُ الائتساء بأعلام من المؤرخين القدامى الذين عنوا بهذا الجانب التراثى العظيم أمثال أبى الحسن على بن مخلوف الطرابلسى ، من رجال القرن السادس ومحمد خليل بن غلبون واضع كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس ومن كان بها من الأخيار من رجال القرن الثانى عشر . وقد تبع هذين المؤرخين المتقدمين جماعة من العلماء والأدباء تسابقوا فى تدوين السجلات والكتب فى فنى التاريخ والتراجم نعد منهم :

أحمد بك بن حسين النائب الأوسى الأنصارى الذى صنف كتابين فى هذا الغرض : أولهما المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب يقع فى جزءين ، وثانيهما نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان

وكريم الدين البرمونى صاحب روضة الأزهار .

ومحمد بن مسعود مؤلف تاريخ ليبيا العام فى جزءين .

ومصطفى بعيو صاحب المجمل فى تاريخ ليبيا .

والفقيه اللغوى الأديب مفتى طرابلس الشيخ الطاهر أحمد الزاوى صاحب كتاب ولاة طرابلس من بداية الفتح إلى نهاية العهد التركى ، وكتاب أعلام ليبيا .

وقد انضم إلى هؤلاء جميعاً راحلنا الكريم بوضع كتاب أعيان ليبيا الذى ترجم فيه – متعمقا أو مستدركا – لكل ذى شأن ممن عرف من الأدباء والشعراء والساسة والعسكريين والمناضلين وأعيان البلد . وهو بهذا التأليف قد ضم سفرا جديدا لتلك المحاولات المتنوعة

الجيدة فى التعريف بالحركة الفكرية الحديثة فى بلاده .

وقد يتصل بهذا النوع من التأليف البحث القيم الذى تقدم به فقيدنا العزيز إلى المجمع فى دورته الثامنة والعشرين متحدثا عن الموسوعات والمعاجم اللغوية حديثا جامعا مفصلا فقد تعرض بالتعريف والتنويه بكل ما ظهر فى هذين المجالين فى اللغة العربية ، ثم قارن هذه الجهود بما صدر ويصدر فى أروبا فى هذا العصر عن المجامع العلمية من موسوعات ضخمة مثل لاروس القرن العشرين ، ولاروس العام ، ولاروس الطبى والتجارى والزراعى ، ومثل دائرة معارف تريقانى . ودعا المجمع إلى تشكيل لجان علمية ذات اختصاصات متنوعة لوضع معاجم من هذا النوع على مراحل .

ولم تفت الأستاذ على الفقيه حسن العناية بالشعر وتقييمه بل تقويمه فى عصره وببلاده : فقد أظهر شديد قلقه لما مس القريض من لوثة وضعف وواجه ذلك بقوله : « وهؤلاء الشبان الذين ينادون بتحرير الشعر من الأوزان ، والقوافى ينشرون سخافات بين الناشئة ويفسدون ملكات طلاب الأدب العربى وكان الأحرى بأنصار الأدب وحماة لغة العرب الذين نبغوا فى هذا العصر من الشعراء بليبيا أن يسددوا ويقوموا هذا الفن ليعود رائعا جميلا كما كان على عهد المولدين والمجددين الموهوبين فى عصور الازدهار ، وكما تظهر آياته رائعة لدى المترسمين بخطى شعراء الصدر الأول فى الإسلام من أمثال شيخ شعراء طرابلس أحمد الشارف والأديب الكبير أحمد رفيق المهدوى .

وقد ترجم الفقيد بهذا القول عن الموقف الذى كان يلتزمه الأصلان من رجال البيان فى أكثر البلاد العربية والذى رفع عقيرته به أحمد الفقيه حسن حين قال عن الشعر العربى :

خاض الفحول بحوره وتمكنوا
منه فكان كلامهم كالبلسم
واستخرجوا درر المعانى فانجلت
عن كل متسق لها ومنظم

سنوا بذوقهم السليم طريقة
للشعر ضاق بها الغبى الأعجمى

هى رائد الشعراء قبلُ ولم تزل
للناشئين اليوم خيرَ مقوّم

دع مايقول الأدعياء ولا تشق
يوما بما قد زينوه فتندم

فئة أخلت بالقريض وأصبحت
بهرائها هدفا لكل تهكم

شذت عن اللغة الفصيحة وانتأت
عنها فما انصاعت لها بتكلم

حادت عن التجديد فيما تدعى
وتنكبت عن كل معنى قيم

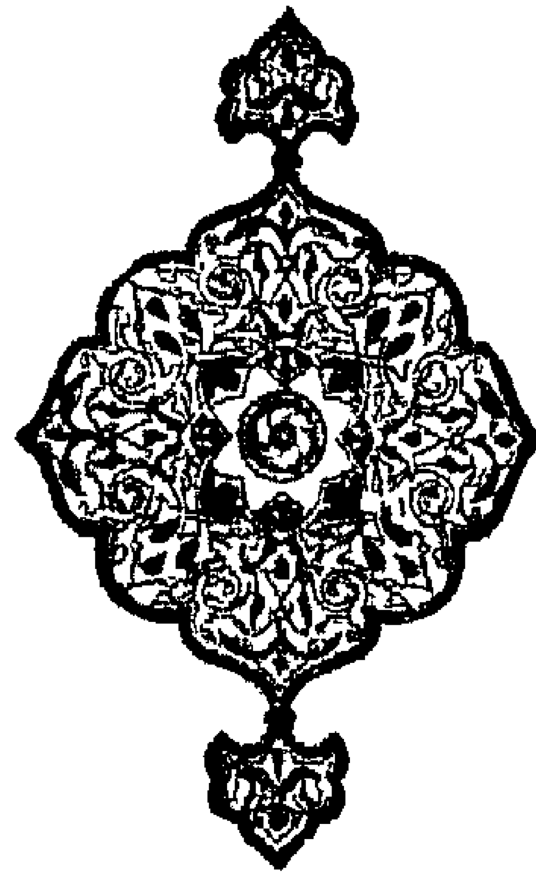
وبقدر ما كان راحلنا الكريم يظهر من ضيق بالشعر الجديد فى بلده ، كان أساه وحزنه مضاعفين بسبب ما نال الصحافة من مسخ . فإنها وإن لم تحتجب لم تكن المرآة المجلوة التى تنعكس عليها صورة المجتمع والحياة العامة كما أنها لم تكن أبدا لسان الحق الذى يعبر عن الرأى العام فى البلاد . أجل إن المتتبع لتاريخ الصحافة فى ليبيا فيما بين ١٨٦٦ أو عهد الاستقلال يجد أولا صحيفة طرابلس الغرب الجريدة الرسمية الأولى ، ثم مجموعة من الصحف والمجلات قبل الاستقلال يصدرها كتاب لا معون من رجال العلم والأدب والسياسة مثل مجلة الفنون وجريدة الترقى والعصر الجديد والكشاف والمرصاد ، وأصدر حزب الإصلاح الوطنى اللواء الطرابلسى ، وتبعت ذلك مجموعة أخرى منها : الرقيب والوطن والبلاغ وفى عهد الاستقلال ظهرت عدة جرائد ومجلات ، مثل : برقة الجديدة والرائد والطليعة والحرية والميدان ، ولم تعمر جريدة صوت الأحرار لسان حزب الكتلة الوطنية . وكانت أكثر هذه الصحف تتمشى وسياسة الحكومة فى كل طور شبرا بشبر وذراعا بذراع . وخانت هذه الصحافة الأمانة أو لم تقو على تحملها لعدة أسباب . ومن أجل ذلك اغتنم الفقيد على الفقيه حسن فرصة الحديث عن النهضة العلمية والأدبية فى ليبيا ، فشكا بثه وحزنه وصدع بقوله :

والخلاصة إن حرية الرأى العام مفقودة بتاتا فى ليبيا فى كل الفترات التى

تولت فيها حكومات صورية وطنية .
فإلى الله أشكو عجرى وبجرى من تعسف السلطات فى الديار الليبية ، والتى لا تقيم وزنا لما نص عليه الدستور فيها . فقد منعت أى نشاط سياسى أو قيام أى حزب يمثل الشعب ويدافع عن حقوقه فى اجتماعاته ونشراته وبياناته .

هكذا يمضى المجاهد المناضل من أجل حرية الكلمة والرأى ،والأسى يملأ جوانحه وصوت الحق مكبوت . ولعل الكلمات الطيبة التى دعا بها ، والسجلات الكريمة التى دونها والروح البناءة والعزيمة الصادقة التى نفخها فى الشباب الذى عاصره وأخذ عنه وتأثر به ، تؤتى ثمارها فى بلده وخارج بلده فى المجتمعات العربية والإسلامية كلها ، ولعل ذلك يُكتب لعلى الفقيه حسن حسنات فى صحيفته ويتقبل الله روحه راضية مرضية لما قدمت فيدخلها جنته ، ويرفعه بفضله وواسع رحمته مكانا عليا .

محمد الحبيب ابن الخوجة
عضو المجمع من تونس



فى الساعة الخامسة من مساء الأربعاء ٤ من رجب ١٤٠٧ هـ (الموافق ٤ من مارس سنة ١٩٨٧ م) اقام المجمع حفل تأبين للمرحوم الدكتور حسنى سبح عضو المجمع .

وفيما يلى ما ألقى من كلمات فى الحفل :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

أيها السادة

لقد سعدت فى مجمعنا هذا بصحبة نفر من شيوخ سوريا وعلمائها وأكتفى بأن أشير إلى من انتقل منهم إلى رحمة الله وفى مقدمتهم. محمد كُرد على ،وعبد القادر المغربى ، وكم كان لهما من جولات وصولات فى التحليل والنقد أو فى الرد والمناقشة ،وتلاهما زميلان آخران هما : الأمير الشهابى والدكتور حسنى سبح كانا مثال الهدوء والأخذ والرد المثمر ، ولعل ذلك راجع إلى أن العقلية العلمية كانت الحكم الأول فيما يقولان ويقرران ، وكم كان كلام الأمير أمير الكلام ، وكان زميله وصديقه حسنى سبح يسبح فى عمق لتحقيق الدلالة العلمية واختيار اللفظ الملائم له . وأحرص على أن أُقرر أن لغتنا العلمية أفادت كثيراً من تحقيقه وتعليقه ، وكان يتابع مصطلحاتنا على القرب والبعد ويحمل معه جعبته فى كل لقاء فيغذينا بأجود غذاء .

تغمده الله برحمته

وجزاه أحسن الجزاء

وسيقول كلمة المجمع فيه زميلنا وصديقه الدكتور عدنان الخطيب فليتفضل .

(*) أبن المغفور له الدكتور حسنى سبح فى الجلسة الحادية عشرة لمؤتمر الدورة الثالثة والخمسين (مساء الأربعاء ٤ من رجب ١٤٠٧ هـ الموافق ٤ من مارس ١٩٨٧ م)

كلمة المجمع فى تأبين الدكتور حسنى سبح

للدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

فجأنا الناعى فى الحادى والثلاثين من كانون الأول (ديسمبر) سنة ست وثمانين وتسعمئة وألف ، بخطب جلل ورزء أليم . إذ أعلن انتقال الزميل الكبير الدكتور حسنى سبح إلى الرفيق الأعلى ، وكان رحمه الله بيننا ، قبل أربع وعشرين ساعة ، جم النشاط ، كعادته ، دائب الحركة يصرف الشئون المجمعية بدمشق ، بما عرف عنه من جد وحزم ، ويهيئ للمجمع اشتراكا فعالا بندوة اتحاد المجامع العربية التى كانت على وشك الانعقاد فى عمان بدعوة كريمة من مجمع اللغة العربية الأردنى .

لقد كان أليما وقع نعى الفقيد الدكتور حسنى سبح عضو مجمعنا هذا ورئيس مجمع دمشق علينا وعلى كل مجمعى عرفه ، وعلى كل من يعنى بمشكلة تعريب التعليم الجامعى ، وبخاصة تعليم الطب باللغة العربية فى مختلف جامعات الوطن العربى .

إن المقعد الذى خلا فى دمشق بوفاة الرئيس حسنى سبح لن يملأه أحد أبدا ، لا لأن حسنى سبح كان طبيبا حذق الطب ،فنا مارسه ،مهنة هام بحبها سبعا وستين سنة كاملة فحسب ، ولا لأنه كان طبيبا درس الطب علما فأتقنه ثم درسه أجيالا تلاحقت ، أستاذا أقر بفضله الأساتيذ العظام ، ولا لأنه كان أستاذا تقصى علوم الطب ، منقبا عن مصطلحاتها ، متتبعا جذورها اللغوية ، مضيفا إلى ثروته الضخمة منها ما فى كتب التراث العربى الإسلامى من مصطلحات تتصل بالطب وغيره من العلوم ، نعم ليس لكل هذا فحسب ، بل لأنه كان كل ذلك ، إضافة إلى أنه كان إنسانا مرهف الحس ، يألم لكل ما قد يلم بأخيه الإنسان ويعمل على تخفيف آلامه ما تمكن ، كما كان الوفاء جبلة فيه خبره القريب وعرفه البعيد .

لقد كان حسنى سبح عالما فذا ، وكان عصاميا بكل ما تتضمنه هذه الكلمة من معان ، صعد سلم العلم درجة درجة إلى أن أشرف عليه ، غير متكىء إلا على عزيمته الصلدة وقوة إرادته الفائقة وإلا على جلده على القراءة والبحث ، وصبره على المتابعة والنبش .

دخل أحد المتأدبين يوما على حسنى سبح ليتلقى منه نسخة عن ترجمة حياته بقصد نشرها فيما يعكف على إصداره من موسوعات تضم تراجم طوائف من العلماء السوريين ، ولاحظ المتأدب المؤرخ أنّ الترجمة التى تلقاها مقتضبة فى ذكر نشأة الفقيد وتحصيله العلوم غير الطبية ، فإذا به يسأله بإلحاف قائلا : أنا أريد تفصيلا أوفى عن طلبك العلم كما أريد أسماء شيوخك فيه ، فما كان من الفقيد إلا أن أجابه ، وفى نبرات صوته شىء من الحدة عُرف بها : أنا ليس لى شيوخ ، أنا علَّمتُ نفسى بنفسى . واستاء الأديب من هذا الجواب فترك الجلسة مغاضباً ، فاضطررت بعدئذ إلى بذل جهد لإقناعه بأن تلك الإجابة لا تتضمن أىّ إهانة ، كما توهم ،بل هى تعبير صادق عن حقيقة واقعة ، وأنّ حدة النبرات التى أزعجته ما كانت إلا ردة فعل لإلحافه فى السؤال عمالا وجود له .

ولد حسنى سبح حوالى منتصف العقد العاشر من القرن التاسع عشر ، قلت : « حوالى » وأنا أعلم أن قيود الأحوال الشخصية التى صُنعت سنة ١٩٢٢ بعد احتلال سورية من قبل المستعمرين الفرنسيين تشير إلى أنّ الفقيد ولد فى تمام القرن التاسع عشر ،تحويلا عن القيد العثمانّى المسجل بالتقويم الرومّى الذى ابتدعه الأتراك العثمانيون ، غير أن أدلة عديدة تؤكد لى أن خطأ وقع فى تلك القيود . فمن الثابت أنّ حسنى سبح التحق طالباً فى المدرسة الطبية العثمانية ببيروت سنة ١٩١٣ . فهل يصدق أحد أنّ يافعا فى الثالثةِ أو الرابعة عشرةَ من عمره كان يسجل فى مدرسة طبية ، مهما كانت درجة نبوغه ، قبل خمس وسبعين سنة من اليوم ؟ !

* * *

لقد كانت البلاد الشامية فى أُخريات القرن التاسع عشر جزءًا من الدولة العثمانية ، وكانت هذه الدولة قد استقرت تحت وطأة حكم السلطان عبد الحميد الاستبدادى ، بعد أنْ شرد كبار الولاة من الأحرار المطالبين

بإعادة الدستور مقصيا إياهم عن السلطة دون غيرهم، ممن كانوا يلونهم ويعملون سرًّا على تقويض حكمه ، بينما كان الأتراك الطورانيون الذين عُرفوا باسم جماعة « الاتحاد والترقي » ، متغلغلين في الجيش يتآمرون على خلع السلطان ، تساندهم في ذلك فئات من العرب كانت منخدعة بهم غافلة عن حقيقة أهدافهم وما كانوا يبيتونه لعرب الدولة العثمانية .

في بداية هذه الحقبة من حياة الدولة العثمانية كان فقيدنا حسني سبح قد رأى النور للمرة الأولى ، وما أن أتقن القراءة حتى أخذ يلتهم كل ما تقع يده عليه من منشورات وفصول مما كان يكتبه رجال النهضة العربية من تلامذة الشيخ طاهر الجزائري أمثال محمد كرد علي، وفارس الخوري وعبد الكريم الخليل وعبد الرحمن الشهبندر ، وغيرهم من الروّاد الأوائل ، الذين كانوا كلهم يدعون العرب إلى النهوض واليقظة والعمل على إعادة مجدهم المفقود مؤكدين أنّ ذلك لا يتم إلا إذا تمسكوا بلغتهم الفصحى وأعلوا شأنها ، وأقبلوا على تحصيل العلوم العصرية المختلفة وبرعوا فيها .

واستجابت نفسُ فقيدنا إلى تلك الدعوة ، فعزم على دراسة الطب ، ولما حان وقت الانتساب إلى المدرسة الطبية العثمانية القائمة منذ سنة ١٩٠٣ في دمشق ، كان من كيد الأتراك ، الاتحاديين للعرب أن أمروا سنة ١٩١٣ بنقل هذه المدرسة إلى بيروت . غير أن إبعادها عن دمشق لم يحل بين الفقيد وبين تحقيق رغبته ، فقصد بيروت ، وانتسب إلى المدرسة المنقولة إليها ، حتى إذا ما حلت سنة ١٩١٤ وزجَّ الأتراكُ الاتحاديون الدولةَ العثمانية في أتون الحرب المستعرة إلى جانب ألمانيا ، قاموا بإغلاق المدرسة ، تاركين طلابها يتشتتون ساهمين لا يعرفون ما يصنعون . على أنّ إغلاق المدرسة لم يكن ليفل من عزيمة فقيدنا أو يوهن إرادته أو يثنيه عما يطمح إليه من دراسة الطب فأخذ يتابع ما يُلقى من مقررات في مدرسة الطب اليسوعية يجمع ما استطاع جمعه من كتب أو محاضرات أو ملخصات طبيّة ، ويعكف عليها يقتلها درساً كأنه يتهيأ لدخول الفحص فيها ،

ونجح مع بعض زملائه بأخذ موافقة الدولة على أداء الامتحانات التى كانت تُجرى فى المدرسة الطبية الفرنسية ، فلما كانت سنة ١٩١٨ وضعت الحرب أوزارها ، وكانت الدولة العثمانية فى عداد خاسريها ، فقُطِّعت أوصالها وتوزَّع المنتصرون أسلابها . وكان الفقيد فى عداد طلاب السنة الخامسة

ودخل جيش الثورة العربيّة دمشق فى أخريات أيلول (سبتمبر) من عام ١٩١٨ ، وفى الشهر الذى تلاه أعلن عن قيام أول دولة عربيّة مستقلة فى سورية ، فأخذ طلاب الطب القدماء يسعون لدى الحكومة لتعيد فتح مدرسة الطب التى كانت بدمشق ،فاستجابت الحكومة العربيّة لهذا المطلب وقررت فتح مدرسة باسم المدرسـة الطبية العربيّة فى بداية عام ١٩١٩ كما سمحت بدورة خاصة للطلاب القدامى يُؤدّون فى نهايتها امتحان التخرج فى الطّب ، وما أن انقضى عام ١٩١٩ إلا وكان فقيدنا حسنى سبح فى مقدمة الناجحين بتلك الدورة ، وكانت إجازته تحمل الرقم

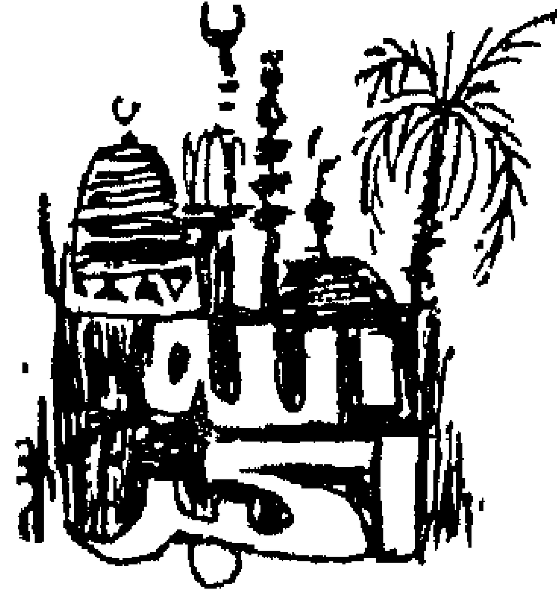
(٨) وما لبث أن مارس مهنة الطّب منذ سنة ١٩٢٠ م

كانت مهنـة الطِّبابة التى أسرت فقيدنا بحبها فمارسها مدة سبع و ستين سنة كاملة أكبر حافز له إلى القيام ، بتدريس العلوم الطبية فى جامعة دمشق مدة خمسة وأربعين عاما عُيّن أثناءها عميدا لكلية الطب كما أُسندت إليه رئاسة الجامعة مرتين غير متباعدتين ،

واقتضى التدريس فى كلية الطب من فقيدنا أنْ يستقصى كل علم كان يدرّسه كما كان يُلاحق كلّ جديد فى الطب دون كللٍ أو مللٍ ،متخذا من الشخوص بنفسه إلى منابع المعرفة فى البلاد الغربية بين الفينة والفينة ، ديدنا له إلى أن وافاه الأَجل المحتوم ، لم يتأخر يوما عن سماع محاضرة علميّة دُعى إليها ، ولم يتوان عن الكتابة والتأليف ونقد المصطلحات واقتراح الأَفضل فيها حتى آخر يوم من عمره المديد ؛ إذ كان قبل يوم واحد من انتقاله إلى الرفيق الأَعلى فى مكتبه بمجمع دمشق يُعدّ بحثا عزم على إلقائه فى مؤتمرنا هذا .

كان فقيدنا حسنى سبح مضربَ المثل بدمشق فى الوفاء لأصدقائه وبخاصة لأترابه ولداتِه ، لا يتأخر عن زيارتهم فى مساكنهم إذا ما لزم الواحد منهم بيته انزواء عن النّاس . أو لمرض ألم به ، أو قعـودا وعجزا عن تركـه رحم الله فقيدنا رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

عدنان الخطيب
عضـو المجمع من سورية



من أنباء المجمع

انتخاب أعضاء جدد للمجمع :

فاز بعضوية المجمع أربعة أعضاء جدد من المصريين ، هم السادة :

ـ الدكتور حسين مؤنس ، فى المكان الذى خلا بوفاة الدكتور محمد محمود الصياد .

ـ الدكتور عبد العظيم حفنى صابر ، فى المكان الذى خلا بوفاة الدكتور احمد عمار .

ـ الدكتور محمود على مكى ، فى المكان الذى خلا بوفاة الدكتور احمد الحوفى .

ـ الدكتور كمال بشر ، فى المكان الذى خلا بوفاة الأستاذ محمد خلف الله أحمد

كما فاز بعضوية المجمع من غير المصريين ثمانية أعضاء هم السادة :

ـ الدكتور احمد عبد الستار الجوارى (العراق)

ـ الدكتور حسنى سبح (سورية)

ـ الدكتور عدنان الخطيب (سورية)

ـ الدكتور عبد الكريم خليفة (الأردن)

ـ الدكتور احمد طالب الابراهيمى (الجزائر)

ـ الدكتور رودلف زيلهايم (المانيا)

ـ الدكتور جاك بيرك (فرنسا)

ـ الدكتور روبرت سرجانت (بريطانيا)

فوز الدكتور توفيق الطويلّ بجائزة الدولة التقديرية :

فاز الدكتور توفيق الطويل بجائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية لعام ١٩٨٤ م

فوز الدكتور تمام حسان بجائزة مؤسسة آل بصير بالكويت .

خبراء جدد للجان المجمع :

وافق مجلس المجمع على اختيار خبراء جدد لبعض لجان المجمع، وهم السادة

- الدكتور محمد عزت حجازى ، أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . (لجنة الفلسفة)
- الدكتورة سمحة الخولى رئيسة أكاديمية الفنون (لجنة ألفاظ الحضارة والفنون)
- المهندس محمد أبو العمايم ابراهيم (لجنة التاريخ)
- الدكتور فخر الدين على الفقى المدرس بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة (لجنة الاقتصاد)
- الأستاذ عبد الرؤوف يوسف مدير متحف الفن الاسلامى بالقاهرة
- الأستاذ محمود حلمى الأستاذ بكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية (لجنة التاريخ والآثار)

صلات المجمع الثقافية :

- أهدت جامعة القاهرة مئة وخمسين نسخة من الكتاب الذى أصدرته عن المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون بمناسبة الذكرى المئوية لمولده ، وهو يحتوى على مجموعة لقاءات تمت فى كلية الآداب بجامعة القاهرة والمركز الثقافى الفرنسى .
- قام الدكتور مهدى علام نائب رئيس المجمع بتمثيل المجمع فى الاحتفالات التى أقيمت فى تونس فى شهر نوفمبر ١٩٨٥ م احتفالا بالذكرى المئوية لمولد الأستاذ حسن حسنى عبدالوهاب عضو المجمع .

قام بمراجعة هذا الجزء من المجلة

* الأستاذ محمد مصطفى منصور

الباحث بالمجمع (بدرجة معيد)

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

رئيس مجلس الادارة
رمزى السيد شعبان

رقم الإيداع ١٩٨٨/٢١٠

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٢٠٠٢—١٩٨٧—٧٨٢٢

